رياح الشرق

دراسة تاريخية شاملة
للإحتلال المغولي للعراق

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

دار النهضة العربية

رياح الشرق

دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق

تأليف الدكتور

فتحي سالم حميدي اللهيبي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية العلوم الإسلامية / جامعة الموصل

قسم الحضارة الإسلامية

1433 هـ 2013م

دار النهضة العربية

رقم الكتاب :19168
اسم الكتاب :رياح الشرق/دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق
المؤلف :د. فتحي سالم حميدي اللهيبي
الموضوع :تاريخ
رقم الطبعة :الأولى
سنة الطبع :2013م. 1434هـ
القياس :17 × 24
عدد الصفحات :296

منشورات : دار النهضة العربية
بيروت - لبنان

الطريق الجديدة مقابل الجامعة العربية - كلية طب الاسنان - بناية اسكندراني 3 - ط/1
تلفون : 854161 - 1 - 961 +
فاكس : 833270 - 1 - 961 +
ص.ب : 0749 - 11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 - لبنان
بريد الكتروني: e-mail: darnahda@gmail.com

جميع حقوق الطبع محفوظة

ISBN 978-614-402- 568-0

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ

سورة الأنفال: الآية (60)

الإهداء

إلى من أفنى حياته كي أتعلم...

أبي الحبيب

إلى من سهرت حتى اشتد عودي...

أمي الغالية

إلى من بذلوا أرواحهم دفاعاً عن عراقنا الحبيب

شهدائنا (رحمهم الله)

اهدي ثمرة جهدي

قائمة المختصرات

المختصر	دلالتـه
ت	توفي
ج	جزء
ع	عدد
م	مجلد
ق	قسم
د.ت.	بدون تاريخ
د.م.	بدون مكان طبع، بدون مطبعة
ص	صفحة
P	صفحة
PP	صفحات
No. P	بدون مكان طبع، بدون مطبعة
No. D	بدون تاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أولاً : نطاق البحث

تعد الحقبة التاريخية التي ظهر فيها المغول كقوة عظمى على مسرح الأحداث من أهم حقب التاريخ الإسلامي، لا سيما أنها تمكنت من إزاحة أقوى الدول والإمبراطوريات التي شكلت منافساً قوياً لها أثناء عملياتها العسكرية التوسعية لاجتياح المنطقة، ابتداءً من القوى القائمة في منغوليا وبلاد الصين والقرة خطا، ومن ثمة الدولة الخوارزمية لينتهي الأمر باحتلال الأراضي العراقية، والقضاء على الخلافة العباسية التي مثلت رأس العالم الإسلامي لامتلاكها السلطة الدينية والدنيوية، كما أن دراسة تاريخ الإمبراطورية المغولية وعملياتها العسكرية، لا سيما في أراضي العراق، لازال بحاجة إلى مزيد من البحث العميق، إذ لم يتم البحث فيه بشكل مفصل وواضح بما فيه الكفاية، بسبب عدم وجود دراسة تاريخية شاملة لعملية الاحتلال المغولي للعراق بكل أجزائه، نتيجة لقلة المصادر الإسلامية التي تناولته وندرتها في ذات الوقت، فضلاً عن تناثر الروايات التاريخية التي تطرقت لموضوع الدراسة في المصادر التاريخية.

من هذا المنطلق بدأت فكرة الكتابة والبحث تراودني في هذا الموضوع، كلما طرق سمعي ذكر المغول واحتلالهم لبغداد الذي اخذ يتردد كثيراً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في سنة 2003م، ودخول قواته إلى بغداد الحبيبة وتدميرها، لذا فقد جاءت الدراسة تحت عنوان ((رياح الشرق دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق))، وبناءً على هذا العنوان تحتم علينا دراسة تاريخ المغول، من خلال التطرق لأصولهم وموطنهم وقيام دولتهم وتوسعها، أما الجزء الأكبر من خطة الدراسة، فقد ركز على تفاصيل الاحتلال المغولي للعراق بشكل كامل من شماله إلى جنوبه، والقضاء على الخلافة العباسية القائمة فيه، لتظهر الدراسة بشكل لائق ذات

طابع أكاديمي علمي.

لقد تمكن الإمبراطور جنكيزخان وخلفاؤه من تأسيس إمبراطورية مغولية مترامية الأطراف ضمت كلاً من بلاد الصين والقرة خطأ وبلاد القفجاق والإمارات الروسية وإقليم خوارزم وبلاد فارس والعراق، واعتمدت هذه الإمبراطورية في تنظيم شؤونها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على قانون خاص بالمغول وضع جنكيزخان أسسه وقواعده، وكان له أثر كبير في تحديد طبيعة سلوك الفرد المغولي سياسياً وعسكرياً واجتماعياً واقتصادياً، ولم تلبث إمبراطورية جنكيزخان الواسعة أن انقسمت بين أبنائه الثلاثة، لتقوم ثلاث ممالك مغولية هي مملكة القفجاق (القبيلة الذهبية)، ومملكة المغول الإيلخانيين في بلاد فارس، ومملكة مغول الجغتاي، إلا أن هذه الممالك جميعها كانت تخضع للخان الأعظم المقيم في العاصمة المغولية قرة قورم.

إن موضوع الكتاب يسلط الضوء على دراسة حقبة مهمة من تاريخ العراق في العصر العباسي، فتعرض خلالها للاحتلال المغولي، الذي استهدف طمس هويته العربية واستنزاف خيراته، فاجتاح جميع أجزائه من الشمال إلى الجنوب دون استثناء، واستباح جميع مدنه،وعلى رأسها بغداد عاصمة الخلافة، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، ليقضي بذلك على الخلافة العباسية في العراق بشكل نهائي بعد مدة دامت أكثر من خمسة قرون، فأصبح العراق ولاية تابعة إدارياً لدولة المغول الإيلخانيين في بلاد فارس.

أصبحت مدينة بغداد التي مثلت قلب العالم الإسلامي النابض بشكل عام والعراق بشكل خاص تحت الحكم المغولي، فنصّبوا عليها وعلى سائر مدن العراق الأخرى حكّاما تابعين لهم كمكافأة لما قدمه هؤلاء الأمراء من طاعة وولاء وتبعية، إلا أنهم كانوا تحت إشراف ومراقبة دقيقة من لدن أمراء مغول عسكريين.

لقد بذلنا جهداً كبيراً من أجل الإحاطة بموضوع الكتاب، على الرغم مما اعترضنا من صعوبات، كقلّة المصادر التاريخية التي تحدثت عن الاحتلال المغولي للعراق بشكل كامل، إلا ما تناول احتلال بعض مدنه، وهي روايات قليلة ومختصرة

في بعض الجوانب ومفصلة في جوانب أخرى , ولم يقتصر هذا على العراق بل تعداه إلى الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي بسبب عدم عناية المؤرخين العرب والمسلمين به نتيجة لتأثرهم بتلك الأحداث المؤلمة، وخير من عبر عن ذلك ابن الأثير الذي أشار قائلاً : ((لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين،ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا...))[1].

وقد تم بناء خطة الكتاب وفق المنهج التاريخي القائم على استقراء المعلومات التاريخية الواردة عن المغول وعملية احتلالهم للعراق في المصادر الأولية، وفي ضوء ذلك تم تناول بغداد والقضاء على الخلافة العباسية، وبغية ذلك فقد تضمن نطاق الكتاب مقدمة وسبعة فصول :

تناول الفصل الأول دراسة كيفية قيام الإمبراطورية المغولية والظروف السياسية والاجتماعية التي قامت في ظلها، وأشرنا خلاله إلى أصل المغول وموطنهم، والأوضاع السياسية في منغوليا آنذاك، وأهم أسباب نشأت إمبراطوريتهم المترامية، ومكونات المجتمع المغولي، ثم دراسة الناحية الدينية الخاصة بهم، فضلاً عن التطرق إلى حياة جنكيزخان، ودوره الكبير في تأسيس إمبراطورية المغول وتنظيم شؤونها الداخلية، ودوره في تأسيس مجلس القوريلتاي ووضع قانون الياسا المغولي الذي مثل النواة الأساسية لنشوء دستور الإمبراطورية المغولية، لينتهي الفصل بموت جنكيزخان ودفنه في رمضان سنة624هـ/ خريف 1227م.

وركز الفصل الثاني الحديث في عملية التوسع المغولي في آسيا في عهد جنكيزخان وخلفائه، إذ ابتدأ بالدولة القرة خطائية، ومن ثمة الدولة الخوارزمية، ليختم بعملية القضاء المغولي على الحركة الإسماعيلية في بلاد فارس.

1- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق : عبد الله القاضي (دار الكتب العلمية، 1415هـ) : ج 10 / ص399.

وتضمن الفصل الثالث من الكتاب دراسة الأوضاع السياسية في العر
قبيل الغزو المغولي، مشيراً في المبحث الأول إلى الأوضاع السياسية التي كا
تعيشها الخلافة العباسية قبيل عملية الغزو، والحديث عن الأوضاع الداخلية في
بغداد وعلاقة الخلافة العباسية بالقوى الإسلامية الأخرى، أما المبحث الثاني منه
فتناول دراسة الأوضاع السياسية في إمارة إربل، في حين جاء المبحث الثالث
ليركز على الأوضاع السياسية في أتابكية[1] الموصل التي تحتم تناولها على قسمين
الأول دراسة الأوضاع الداخلية في أتابكية الموصل، وثانيها الحديث عن العلاقات
السياسية لأتابكية الموصل مع القوى الإسلامية، وتناول المبحث الرابع الأوضاع
السياسية في أتابكية سنجار.

أما الفصل الرابع فقد اختص بعملية الزحف المغولي لاحتلال العراق والقضاء
على الخلافة العباسية، فتم تناول موضوع احتلال مدن العراق حسب التسلسل الزمني
لسير العمليات ابتداء بالموصل، واقتضت الضرورة تقسيم هذا الموضوع إلى مرحلتين
الأولى ركزت على المحاولات المغولية الأولى لاحتلال الموصل، بينما تناولت الثانية
الحديث عن عهد تبعية الموصل للمغول في عهد الأمير بدر الدين لؤلؤ، وتم التعريج
خلال هذا الفصل إلى المحاولات المغولية الأولى لاحتلال إربل وسنجار، فضلاً عن
المحاولات الأولى لاحتلال مدينة بغداد وأعمالها، وختم الفصل بدراسة موقف الخلفاء
الأربعة المتأخرين من الغزو المغولي.

---

1 ـ نظام الأتابكية : ظهر نظام الاتابكيات في العهد السلجوقي، وخاصةً بعد انقضاء فترة السلاطين الأقوياء، وتولي سلاطين ضعاف، ونشوء الصراعات على السلطنة، مما أدى إلى انقسام الممتلكات السلجوقية بين ابناء البيت الحاكم، فكان يمنح كل امير إقطاع خاص به على الرغم من صغر سنه، ويعين احد قادة الجيش السلجوقي للإشراف على تربيته، وإدارة إقطاعاته، ويطلق على هذا القائد لقب أتابك ومعناها الأمير الوالد، وأصبح هؤلاء الأتابكة أصحاب نفوذ فعلي يغلب على نفوذ الأمراء السلاجقة في كثير من الأحيان ينظر : القلقشندي، صبح الأعشى :ج6/ص3 ؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (مكتبة النهضة العربية، القاهرة : 1957م)، ص122 - 123.

في حين تناول الفصل الخامس عملية الاحتلال المغولي لبغداد سنة 656هـ/1258م بشكل مفصل، واستهل الفصل بمبحث تناول عرض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بغداد قبيل دخول المغول اليها، وثنى بالاستعدادات اللازمة التي قام بها هولاكو قبل الزحف إلى بغداد سنة655هـ/1257م، فضلاً عن سرد المراسلات التي تمت بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله وما أدت إليه من نتائج، كما تتبع المبحث الرابع منه خط سير الحملة المغولية المتوجهة إلى بغداد، وتم تناول العمليات العسكرية لاحتلال بغداد ضمن المبحث الخامس، الذي قسم إلى قسمين حسبما تطلبته طبيعة الموضوع، فجاء القسم الأول ليفصل في معركة بغداد والاستيلاء على ضفتها الغربية، أما الثاني فقد دار حول حصار ضفة بغداد الشرقية واحتلالها، وختم الفصل بالحديث عن دخول مدينة بغداد واستباحتها، واستشهاد الخليفة المستعصم بالله .

وخصص الفصل السادس لدراسة العمليات العسكرية المغولية لاستكمال احتلال أجزاء العراق الأخرى، واعتمد أيضاً على التسلسل الزمني في عمليات احتلال كل منها ابتداءً بإمارة إربل التي احتلت أثناء زحف القوات المغولية لاحتلال بغداد، ومن ثم عمليات استكمال احتلال الأعمال التابعة لبغداد والموصل وسنجار.

وقد عني الفصل السابع بالتفصيل في أسباب ونتائج احتلال العراق وانهيار الخلافة العباسية في بغداد وانتقال مقرها إلى القاهرة، فقسمت الأسباب إلى داخلية وخارجية، أما نتائج الاحتلال وسقوط الخلافة فقد قسمت أيضا إلى قسمين، الأول: تناول نتائج الاحتلال المغولي على العراق، والثاني : تناول نتائجه على العالم الإسلامي.

ثانياً : عرض المصادر والمراجع

أ. المصادر الأولية

لقد اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التاريخية

العامة والمتخصصة منها بتاريخ المغول، فكان مؤرخو بعضها معاصرين لتلك الحقبة، والبعض الأخر قريباً زمنياً منها، فضلاً عن المصادر التاريخية المتأخرة التي لا تقل أهمية عن سابقتها , كما أدت المراجع الحديثة العربية منها والمعربة دوراً بارزاً أيضاً في إضفاء نوع من التكامل على هذه الدراسة، من خلال ما أوردته من تحليلات واستنتاجات ومعلومات تم انتقاؤها من مصادر لم يتسن لنا الاطلاع على رواياتها بسبب عدم العثور عليها.

شكلت المعلومات الواردة في هذه المصادر أهمية واضحة في تحديد طبيعة التغييرات التي طرأت على المنطقة في حقبة الغزو المغولي، وذكر العلاقات السياسية بين قواها، ولعل من أهمها كتاب (الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير(ت630هـ/1232م)، الذي عاصر ظهور المغول وقيام إمبراطورتهم، وأورد فيه معلومات قيمة عنهم، بالاخص فيما يتعلق بالزحف المغولي واجتياحه لمناطق نفوذ القوى السياسية في الشرق كالدولة القرة خطائية والخوارزمية، فضلا عن العلاقات التي ربطت القوى الإسلامية مع بعضها البعض كالأتابكة في إمارة إربل والزنكيين في الموصل وسنجار والأيوبيين في بلاد الجزيرة.

وانفرد ابن العبري (ت 685هـ / 1286م) في كتبه (تاريخ مختصر الدول) و (تاريخ الدول السرياني) و(تاريخ الزمان) بروايات مفصلة عن علاقة المغول بالقوى الإسلامية القائمة في إربل والموصل وسنجار، وأورد معلومات دقيقة عن أتابكية الموصل وإربل وسنجار في عهد بدر الدين لؤلؤ وأبنائه، وثورتهم على المغول، كما أورد معلومات عن الحصار المغولي للموصل واحتلالها، فضلاً عن الغارات المغولية على الأعمال التابعة لبغداد، وفصل في احتلال بغداد والقضاء على الخلافة العباسية، وقتل الخليفة المستعصم بالله، ومما يزيد من أهمية رواياته انه كان شاهداً على تلك الوقائع. أما ما يخص كتاب (تاريخ فاتح العالم «جهانكشاي») لعلاء الدين عطا ملك الجويني (ت681هـ/1282م) إذ يعد هذا المؤلف من مؤرخي الفرس المعروفين في

العصر المغولي، إذ كان كل من أبيه وأخيه أصحاب ديوان جوين، كما عمل هو في بغداد أربعاً وعشرين سنة بعد الاحتلال المغولي لها، وتم بعدها إلقاء القبض عليه بوشاية وزير اباقا خان، فيعد كتابه من المصادر التاريخية القيّمة والمختصة بدراسة تاريخ المغول بصورة عامة من خلال أحوالهم السياسية منذ عهد جنكيزخان وتأسيس إمبراطوريتهم.

ويعد كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت718هـ /1318 م) من أهم المصادر المختصة بتاريخ المغول وتوسعهم، إذ لم يتم الدخول في مبحث أو الخروج منه دون الاستفادة من هذا الكتاب وفي مختلف السنوات منذ عهد جنكيزخان وحتى عهد أبنائه.

كما أفدت من كتاب (ذيل مرآة الزمان)، لقطب الدين اليونيني (ت726هـ/1325م) الذي أورد معلومات مهمة انفرد بها أثناء الحديث عن الأوضاع السياسية للخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي، والغارات المغولية على الموصل وسنجار ومرحلة تبعيتها للمغول قبيل الاحتلال المغولي لها بشكل نهائي.

ويعد كتاب أبي الفدا (ت 732هـ/1331م) الموسوم بـ (المختصر في أخبار البشر) من المصادر المهمة، إذ إنفرد بروايات من أهمها الغارات المغولية على أراضي الدولة الخوارزمية واجتياحها في نهاية الأمر، والقضاء على السلطان جلال الدين خوارزم شاه، فضلاً عن الأوضاع الداخلية في بغداد في عهد الخليفة المستعصم بالله، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لا يتعدى كونه ملخصاً لكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، إلا أن أهميته تظهر بشكل واضح بعد عام 640هـ/1242م، إذ إنه أورد الكثير من الروايات المهمة عن الأيوبيين وأتابكية الموصل وإمارة إربل.

وقدم ابن أيبك الدويدار (المتوفى في القرن الثامن الهجري) في كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) معلومات قيمة، تسنى لنا الاستفادة منها بشكل كبير، حيث قدم روايات دقيقة عن العلاقات السياسية بين أتابكية الموصل والمغول في حقبة تبعيتها لهم في عهد حاكمها بدر الدين لؤلؤ، وثورة أبنائه على المغول ولجوئهم إلى مصر، وفصل في

الحصار المغولي للموصل واحتلالهم لها ولسنجار في سنة (660هـ/1262م). أما كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي (ت 845هـ/1441م)، فله أهمية كبيرة جدا، خاصة فيما يتعلق بأوضاع الخلافة في عهد الخليفة المستعصم بالله وبالاحتلال المغولي للموصل وثورة أبناء بدر الدين لؤلؤ على المغول، ومن المصادر الأخرى التي أفادت الدراسة (مرآة الجنان وعبر اليقضان) لليافعي (ت768هـ/1366م)، وكتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي الأتابكي (ت 874هـ/1496م) وغيرها من كتب التاريخ العام، التي تم اعتمادها في بعض المعلومات التي زادت في أهمية هذه الدراسة، والتي سيرد ذكرها في ثبت المصادر، كما أنني أفدت من كتب الجغرافية والبلدان ككتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) وغيره، فضلاً عن كتب التراجم التي أفادتني في إغناء دراستي بمعلومات وافية عن شخصيات ملوك وأمراء وقادة كان لهم دور كبير في تلك الحقبة الزمنية، وان كانت هذه الكتب محدودة ككتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت 681هـ/1286م)، وكتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي (ت764هـ/1362م)، وكتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت771هـ/1369م)، كما أفدتُ من كتب أخرى في تخصصات مختلفة، قام مؤلفوها بذكر معلومات جغرافية مهمة ككتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت821هـ/1418م) فهو يذكر معلومات جغرافية من حيث تحديد الأماكن والمواقع.

أضافت المراجع الحديثة مادة متنوعة في النواحي السياسية والعسكرية والجغرافية، وتكمن أهميتها في بعض التحليلات والآراء والاستنتاجات، مما أورده المؤرخون المعاصرون لفترة الدراسة، ولعل من أهم هذه المراجع الكتب المتخصصة في مجال مادة المغول، حيث يعدّ كتاب (المغول في التاريخ) للصياد، الذي أورد فيه معلومات قيمة عن المغول من حيث أصولهم وموطنهم وحياتهم الاجتماعية والدينية وتأسيس إمبراطوريتهم على يد جنكيزخان، فتمت لي الإفادة منه في مباحث الكتاب جميعها إلاّ القليل منها. كذلك الحال مع كتاب (المغول) للباز العريني، الذي تناول

فيه دراسة تاريخ المغول وقيام إمبراطوريتهم وحروبهم في الشرق وغزوهم للعالم الإسلامي، وأفرد فيه فصلاً مستقلاً عن احتلالهم لبغداد وقضائهم على الخلافة العباسية.

ويعد كتاب (تاريخ الدولة المغولية في إيران) لعبد السلام عبد العزيز فهمي من المراجع المهمة بالنسبة لتاريخ دولة المغول الإيلخانيين التي قامت في بلاد فارس، والذي تمت الإفادة منه في معظم فصول الدراسة دون استثناء، ومن المراجع المهمة التي أغنت الدراسة أيضاً لا سيما في فصل الاحتلال المغولي لبغداد والقضاء على الخلافة العباسية كتاب (محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على يد المغول) لمصطفى طه بدر، الذي تناول عملية احتلال بغداد والقضاء على الخلافة العباسية بشكل مفصل، فأثرى الدراسة بالتحليلات والاستنتاجات التي وردت فيه، فكانت فائدته كبيرة جداً.

ومن المراجع الأخرى التي أغنت الدراسة بمعلومات قيمة وتحليلات علمية كتاب (إمارة إربل في العصر العباسي) لسامي بن خماس الصقار، وكتاب (أربيل في العهد الأتابكي) لمحسن محمد حسين، إذ قدم كل منهما في دراسته معلومات قيمة أفادت الدراسة في المباحث التي تناولت الغارات المغولية والأوضاع السياسية التي سادت الإمارة في عهد الأمير مظفر الدين كوكبري وغيرها من المراجع الأخرى التي تمت الإفادة منها في هذه الدراسة. ومن الدراسات الأكاديمية التي اعتمدنا عليها في دراستنا رسالة الدكتور علاء محمود خليل قداوي الموسومة بـ (المغول في الموصل والجزيرة) التي قدم فيها معلومات قيمة عن أصل المغول، واحتلالهم للموصل وسنجار واربل، والأوضاع السياسية السائدة فيها، فضلاً عما قدمه من تحليلات واستنتاجات أغنت الدراسة.

وتعد الكتب الأجنبية من المراجع التي أغنت موضوع الدراسة بمعلومات علمية ذات قيمة كبيرة، لأنها مثلت وجهات نظر غربية، فعن تاريخ المغول وتأسيس إمبراطوريتهم كتاب *The secret history of the Mongols* لـ *Urgunge Onon*. أما الكتاب

الآخر فهو (*The History of the Mongols from 9th to 19th Century*) لـ *Haworth*، كما يعد كتاب *The Mongol World Empire* لـ *Boyle* ، - فضلاً عن مراجع أجنبية أخرى ورد ذكرها في ثبت المصادر والمراجع.

والله ولي التوفيق

المؤلف

أ.م.د. فتحي سالم اللهيبي

2013 /01 /25

الفصل الأول: إمبراطورية المغول

أولا : أصل المغول وموطنهم

1. أصل المغول

ليس من السهل تحديد أصل المغول بدقة، فقد ذهبت المصادر العربية والإسلامية القديمة إلى أنهم يرجعون إلى الجنس التركي [1]، وينتمون بلهجاتهم المختلفة إلى الأسرة اللغوية التائية – أي التركية – المغولية[2]، ويمكن القول بأن المغول كانوا قبائل متعددة، وكانت بعض هذه القبائل تعرف بالتتار، والبعض منها بالأتراك، وكان هناك كثير من القبائل الأخرى كقبائل الكرايت ومركيت واويرات ونايمان [3]، وحدث أن أطلقت عليهم هذه الأسماء كاسم المغول بشكل جماعي، ولم يكن هناك أي حكم موحد لهم، فكانت الصراعات بينهم لا تتوقف[4] وقد عرف المغول بأسماء مختلفة منها المغل والمغول والتتر والتتار، وهي مسميات وإن تعددت فإنها جميعاً أطلقت على شعب

---

1 ـ رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، تعريب: محمد صادق نشأت وآخرون (دار إحياء الكتب العربية، مصر: د.ت.): مج2/ج1/ص212؛ الملك الأشراف إسماعيل بن عباس الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك (دار البيان، بغداد: 1975م): ج1/ ص212؛ احمد محمود الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها (دار الفكر، القاهرة: 1979م)، ص192؛ خليل إبراهيم السامراني، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ط2 (دار الكتب، موصل: 1988م)، ص352 ؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط15 (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة : 2001م): 4ج/ص126.

2 ـ محمد يونس فلح القصاب، مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك الايلخانيين، (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - موصل: 2004م)، ص13.

3 ـ فواد عبد المعطي الصياد، المغول في تاريخ (دار النهضة العربية، بيروت : 1980م) :ج1/ ص30-25؛

Stephen Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 (OSPREY, Great Britain : 2003) , P.12.

4 ـ هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة : اشرف محمد كيلاني (المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة: 2002م)، ص219.

واحد يتكون من قبائل متعددة، ويعدن جميعاً من الترك[1]، والذي يمكن ملاحظته بشكل جلي، أن اسم التتر هو الذي طغى على هذه الأسماء جميعاً، فأصبحت جميع هذه الأقوام تعرف به أمام العالم الخارجي آنذاك، فضلاً عن أسمائهم الخاصة، واستخدم اسم التتر منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في جميع المصادر المعاصرة باختلاف أصولها صينية كانت أم تركية أو روسية أو بلغات أوربا الغربية[2]، ففي اللغة الروسية تعني كلمة تتر (الشيطان)، أما في اللغة اليونانية (عالم الجريمة) [3] أو (الجحيم) [4]، فهي تجمع على أن لفظ التتار شاملاً لكل من القبائل المغولية والتركية معاً[5]، وعلى الرغم من أن الأتراك والمغول بفروعهم يتشابهون، وأطلق عليهم في الأصل لقب واحد، وان المغول صنف من الأتراك، إلا أن هناك تفاوتاً كبيراً واختلافاً شاسعاً بينهم، فقد أطلق البعض على المغول أعراب الترك [6]، ويرجع سبب ذلك الاختلاف إلى التنقل من مكان لآخر، فالمغول يتكونون من عشائر كثيرة العدد

---

1 ـ فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في العصور المتأخرة (د.م.، د. م: 1983م)، ص119؛ بارتولد شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة : خالد اسعد عيسى، راجعه، سهيل زكار (دار حسان، دمشق: 1982م)، ص19.

2 ـ محمد صالح داود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، (مطبعة القصاء، النجف: 1970م)، ص6.

3 -*Gülügjab Tangghudai ,General Concepts In Mongol Persona (viahistoria.com (No. p. : 2001) , P.2.o*

4 -()*Urgunge Onon , The secret history of the Mongols the life and times of chinggis Khan, (Routled Curzon , London :2001) , p.16.*

5 ـ راغب السرجاني، الموسوعة المسيرة في التاريخ الإسلامي، (مؤسسة إقرأ، القاهرة: 2005م):ج2/ ص5.

6ـ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص212؛ ابو العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: عبد القادر زكار (وزارة الثقافة، دمشق :1981) : ج4/ ص464 ؛ ارمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة : احمد محمود الساداتي، مراجعة : يحيى الخشاب (مكتبة نهضة الشرق، القاهرة : 1978م)، ص 161، 295 -296 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص20.

يصعب التمييز بينها لكثرة بطونها واتساع رقعة أرضها المفتوحة، فمنهم التتار والكريت وقيات وغيرها من العشائر[1]، وقد استوطنت تلك القبائل في بلاد عرفت عند القدماء باسم بلاد التبت، ثم أطلق عليها سكان الصين اسم بلاد التتار[2].

2. موطن المغول

استوطن المغول منذ أقدم العصور في هضبة منغوليا [3] الواقعة في الجزء الشمالي من صحراء جوبي[4]، والتي تمتد في أواسط آسيا وجنوبي سيبريا، وشمالي التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان بين جبال التاي[5] غرباً، وجبال خنجان شرقاً[6]، والمغول في الأصل قبائل رحل سكناها في الخيام وموطنها الأصلي مغولستان

---

1 - رشيد الدين الهمذاني، المصدر نفسه : مج2/ج1/ص 212 ؛ عباس إقبال، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة : عبد الوهاب علوب (المجمع الثقافي، أبو ظبي: 2000م)، ص47 - 48؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، (د.م.، بغداد: 1953م):ج1/ ص48.

2 - الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية، ص85.

3 - الصياد، المغول في التاريخ :ج 1/ص30؛ السيد الباز العريني، المغول (دار النهضة العربية، بيروت : 1986م)، ص11 ؛ حافظ احمد حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (دار الفكر العربي، مصر: 1950م)، ص137؛ الدولة الخوارزمية والمغول (دار الفكر العربي، مصر: 1949م)، ص108؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (مطبعة القضاء، النجف: 1971م)، ص297؛ السرجاني، الموسوعة المسيرة : ج2/ص5 ؛ خالد يوسف صالح، الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة العباسية (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية – موصل : 2005م)، ص154.

4 - صحراء جوبي : يطلق عليها اسم شامو ايضاً، وان لفظ جوبي مغولي معناه الصحراء الجدباء الخاوية أو الجدب والفقر، ينظر: فامبري، تاريخ بخارى، ص 161،هامش 1 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص4.

5 - ان جبل التاي من الجبال المقدسة عند الشعوب التي عاشت في بلاد الصين.

6 - الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص30 - 31.

وتركستان[1]، وأقامت هذه القبائل حول بحيرة بيقال (أو بيكال) في جنوبي سيبريا[2]، وتعد هضبة منغوليا الموطن الرئيس لها، بقسميها الشمالي الغربي المعروف بطبيعته الجبلية الذي تتخلله أودية كثيرة وهضاب متعددة، والأخر الجنوبي الشرقي المعروف بطبيعته الصحراوية [3]، وهو عبارة عن منخفض سهلي متسع ضم صحراء جوبي أو شامو التي شكلت مناطق رعي جيدة لهذه القبائل، حيث كانت تستقر في الشتاء في سهولها ومناطقها الدافئة، بينما تستقر صيفاً في المرتفعات وأعالي الجبال، كما أنها اتصفت بقلة البحيرات فيها إلى جانب تدفق بعض ينابيع المياه، وذلك لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض [4] .

أما طبيعة المناخ في هضبة منغوليا فهو مناخ قاري يمتاز بشتاء طويل بارد جداً إلى درجة القساوة، وتجمد فيه الأنهار والبحيرات لمعظم فصول السنة، كما أن الرياح فيها شـــديدة وتهب من المنطقة الجليدية في سبيريا الواقعة في الجزء الشمالي منها [5]، في حين أن فصل الصيف فيها لا يكاد يبدأ حتى ينتهي فهو قصير جداً، وترتفع فيه درجات الحرارة بشكل ملحوظ، كما تهب فيه رياح قوية، سرعان ما تتحول إلى أعاصير عاتية محملة بالرمال والحصى، تبلغ شدتها إلى أعلى المستويات، بحيث لا يقوى الفارس على أن يبقى ثابتاً على حصانه. أما درجة الحرارة في فصل الشتاء، فتنخفض لتصل الى إلى (58) درجة مئوية تحت الصفر في بعض الجهات. أما في فصل الصيف القصير فتصل درجة الحرارة أحياناً إلى 60 مئوية [6]، وفي مثل هذه

---

1 - العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين : ج1/ص51.

2 - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة : حسين مؤنس (دار الهلال، القاهرة: د. ت):ج 4/ص239.

3 - مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول،ط2(الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة : 1999م)، ص74.

4 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص4 ؛ الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص31.

5 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص4.

6 - عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران (دار المعارف، القاهرة : 1981م)،ص12؛ الصياد المغول في التاريخ : ج1/ص 31 32- ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 75.

البيئة القاسية كانت تلك القبائل تجري وراء الحصول على المياه القليلة في الصحراء التي يعنى اسمها الجدب والفقر[1]، فلا غرابة اذا انعكست هذه الظروف على سلوك ابناء هذه القبائل سواء في التعامل فيما بينهم أو في علاقتهم مع الآخرين[2].

أن تلك الظروف الطبوغرافية والمناخية الصعبة التي عاشها أبناء القبائل المغولية جعلت نمط الحياة المعاشية لهم قائماً على البداوة والرعي ، والتنقل من مكان إلى أخر سعياً وراء الرزق المتمثلة بالبحث عن الماء والكلأ [3]، فالترحال من مكان إلى آخر، وعدم الاستقرار في مكان واحد، قد أصبحا أهم صفتين يمتاز بها الشعب المغولي، فهو شعب يكره الزراعة كرهاً شديداً ويعتمد على رعي وصيد الحيوانات، فعلى الرغم من أن المغول كانوا يحتلون بعض مناطق السهول الخصبة أحياناً، فإنهم لم يحاولوا زراعتها قط، بل كانوا يهاجرون منها إلى الجبال في فصل الصيف، ولا يتركونها، إلا إذا انعدم العشب فيها، وأصبح من المتعذر عليهم البقاء مع ماشيتهم [4]، كل هذه الظروف كانت تقف مجتمعةً وراء تحرك المغول ودفعهم لغزو العالم الإسلامي والسيطرة عليه.

ثانياً : مكونات المجتمع المغولي

يتميز المجتمع المغولي بأنه مجتمع قائم على النظام القبلي، الذي يعتمد على الصيد والرعي في معيشته، لا سيما انه يتكون من اختلاط واتحاد عديد من القبائل

---

1 ـ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص4.

2 ـ القزاز، المرجع نفسه، ص4 - 5 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص31؛
Tangghudai ,General Concepts In Mongol Persona, P. 3.

3 ـ حمدي، الشرق الإسلامي، ص137؛ طارق فتحي سلطان، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي (ابن الأثير، موصل: 2005م) :ج 2/ص241؛ علاء الدين عطا ملك الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي «، تحقيق : محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة : السباعي محمد السباعي (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة : 2007م) : مج1/ص 61 - 62 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية.

4 ـ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص126 - 127.

الرعوية ذات الأصول المختلفة كالمغولية والتونغوزية التركية، وجمع هذه القبائل من الجنس الثاني الذي يقطن في الأقاليم العليا من آسيا، وتعتمد على الترحال وراء العشب والماء[1]، ويتشابه أفراد هذه القبائل في كثير من الصفات الجسمانية، إذ امتاز الجنس المغولي بالأنف الأفلطس، والشعر السبط غير المجعد ذي اللون الأسود البراق، كما تميز بالعيون المنحرفة التي يشوب سوادها زرقة ، فضلاً عن صفرة الوجه والبشرة، وبعضهم تميزت بشرته بالسمرة أو البشرة البرونزية أو النحاسية [2].

تعيش القبائل المغولية في شمال منشوريا ومنغوليا وتركستان، كل ذلك جعل من الصعوبة على أي باحث ان يفصل بينها، بسبب الاتصال والاختلاط الكبير الذي جعلها متشابهة كثيراً من حيث العادات والتقاليد والأسماء واللغة التي تعرف بالتانية المغولية مع اختلافات بسيطة في لهجاتها، لذا فإننا سنقتصر على ذكر أشهرها كما سيأتي:

1- قبيلة قيات أو المغول:

قبيلة صغيرة غير متشعبة يطلق عليها أيضاً اسم (بورجقين) [3]، وهي قبيلة جنكيزخان مؤسس إمبراطورية المغول جنكيزخان التي ولد وتربى فيها، وكان والده يوسوكاي بهادر زعيماً وخاناً لها [4]، وقد أطلق عليها ابن كثير اسم (قيان) [5]، كما أن هذه القبيلة كانت تدين بالديانة الوثنية، وعلى الرغم من قلة عدد أفرادها مقارنة

---

1 - الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص25.

2 - ثروت عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان »، ط5 (دار الشروق، القاهرة : 1992م)، ص 18 .

3 - بورجقين : اسم مغولي يطلق على قبيلة قيات المغولية، وتحديداً على أبناء يسوكاي، ويعني الأشهل، وهي صفة من صفاتها، فضلاً عن زرقة العينين. ينظر: إقبال، تاريخ المغول، ص 117.

4 - إقبال، تاريخ المغول، ص 48 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص30.

5 - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية (مكتبة المعارف [illegible]) ج13/ ص117.

بالقبائل المغولية الأخرى[1]، إلا أنها حققت مكاسب مادية وسياسية على حساب تلك القبائل، وصنعت لنفسها مكانة مرموقة بينها، لا سيما بعد ظهور جنكيزخان على مسرح الأحداث في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، وترُ عمه لقيادتها[2]، كما أنها قطنت المنطقة الواقعة ما بين نهري اونن وكيرولين وسفوح جبال قرة قورم [3].

2- قبيلة أويرات:

وهي من القبائل ذات الأصول المغولية، وكانت تقيم في منطقة منابع نهر ينسى الواقعة بين نهر أونن وبحيرة بيقال أو (بيكال) [4]، وامتازت هذه القبيلة بكثرة عدد أفرادها، وتكلمها بلغة تختلف قليلاً عن لغة القبائل المغولية الأخرى [5]، وعلى الرغم من تفرع هذه القبيلة إلى عدة بطون، إلا أنها كانت تتبع لزعيم أو ملك واحد وتأتمر بأمره في جميع المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية [6]، وعندما تولى جنكيزخان زعامة القبائل المغولية، عارضوا ذلك وناصبوه العداء، إلا أنهم لم يلبثوا أن خضعوا لطاعته، لا سيما بعد أن اتبع أسلوب المصاهرة السياسية، وتزوج من إحدى نساء هذه القبيلة من اجل كسب تأيدها وطاعتها[7].

---

1 - *Erin Mccoy,Chinggis Khan: Conquering the army that conquered the world, P.2.*

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

http://www.csa.com/discoveryguides/discoveryguides-main.php

2 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص13 ؛ فاسيلي فلاديمير بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة : احمد السعيد سليمان (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة : 1958م)، ص152.

3 - إقبال، تاريخ المغول، ص48.

4 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص13-14 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص152.

5 - ابن كثير، البداية والنهاية :ج13 /ص82.

6 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص 29 ؛ إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي (مكتبة الفلاح، الكويت :1984م)، ص 27.

7 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2 / ج1/ ص222، 230؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص14.

3- قبيلة النايمان:

وهي إحدى قبائل المغول التي اعتنقت النصرانية على المذهب النسطوري[1] بعد أن كانت تدين بالشامانية [2] حالها حال قبيلة الكرايت، [3]، وتعد تسميتها دليلاً على أصلها المغولي، إذ إن لفظ كلمة نايمان يعني ثمانية باللغة المغولية، إلا أن الكثير من القابهم وأسمائهم يغلب عليها الطابع التركي - لذا فمن الأصح أن يطلق عليهم عنصر تركي مغولي - كانت قبيلة النايمان تستوطن المنطقة الواقعة إلى الغرب من منطقة سكنى قبيلة الكرايت في جبال التاي وحتى نهر ارتيش، لا سيما حول البحيرات الواقعة في تلك المنطقة، كما كان لهذه القبيلة جيوش خاصة امتازت بالقوة[4]، فضلاً عن ملوك أقوياء عرفوا بسمعتهم الجيدة ونفوذهم الكبير، وكان يطلق عليهم لقب (كوشلوك خان) أي الملك العظيم أو الملك القوي، كما أطلق عليهم لقب (بويروق خان) أي معطي الأمر أو صاحب الأمر، وكان لكل ملك منهم في ذات الوقت اسم خاص، يطلقه عليه والده منذ الولادة [5].

---

1 - المذهب النسطوري : واحد من المذاهب النصرانية ينسب إلى نسطور ظهر في أيام المأمون وتصرف في الإنجيل برأيه وهو رجل نصراني زعم أن الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد . ينظر : علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (دار المعرفة،بيروت:1400هـ):ج1/ص218.

2 - الشامانية : ديانة وثنية اشتملت على مجموعة من الديانات القديمة، التي دعت إلى عبادة كل شيء خارج الإدراك العقلي للمغول ويخشون من بطشه، وجعلوا لكل منها آلهة كالنهر والجبل والشمس والقمر، وتقربوا إليها تجنباً لشرها وطلباً لرضاها. ينظر: شبولر، العالم الإسلامي، ص 21 .

3 - إقبال، تاريخ المغول، ص 48 ؛

Stephen Andrew Missick , The Assyrian Church in the Mongolian Empire as Observed by World Travelers in the Late 13th and Early 14th Centuries , in Journal of Assyrian Academic Studies ,P.85,90.

منشور على شبكة الانترنيت على الموقع : WWW.googl.com .

4 - ي. ا. كيتشانوف، حياة تيموتشجين (جنكيزخان)، ترجمة : طلحة الطيب (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي : 2005م)، ص 44 - 45 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص 29 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 27.

5 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص30 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص14.

4- قبيلة الكرائيت:

من القبائل المغولية القوية، وقد نجحت في أقامة مملكة مغولية خاصة بهم في جنوب بحيرة بيكال أي منطقة الواحات الشرقية من صحراء جوبي[1] التي تمتد من نهر أرخون وسلسلة كنتاري الجبلية إلى سور الصين بعد أن دخلت في صراع رابح تغلبت خلاله على جميع العناصر المغولية، ودانت بالنصرانية على المذهب النسطوري في سنة 398هـ/1007 م [2]، بواسطة أسقف نسطوري من سكان مدينة مرو الواقعة في بلاد فارس، واتخذ ملوكها من الديانة النصرانية ديناً رسمياً لهم في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي [3]، ومن أسباب دخول الكرائيت في النصرانية، لا سيما المذهب النسطوري اتصالهم المباشر بالترك الاويغوريين[4]، الذين كان بينهم عدد كبير من النساطرة، مما أسهم في امتداد مدنيتهم إلى الكرائيت[5].

لقد كان طغرل واحداً من بين أشهر ملوكها الأقوياء، لا سيما بعد أن نجح في طرد عمه المدعو كورخان الذي يعد من أقوى المنافسين له على العرش، وبمساندة من يوسوكاي بهادر زعيم قبيلة قيات الذي بقي بعد ذلك تابعاً له [6]، فاخضع قوم النايمان رغماً عنهم [7]، كما تمكن طغرل من إلحاق الهزيمة بالتتار كنوع من الإرضاء لأسرة

---

1 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص212 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص27 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص14.

2 - كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 44؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 48.

3 - الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 26.

4 - الإويغوريون : أقوام من أصول تركية كانت تقطن في شمال شرق تركستان الحالية، وشما نهر تاريم أي مدن جوتشن الحالية وبرقول وقرة شهر، وهم من أكثر الأقوام التركية تمدناً، وكانوا يدينون بالديانة المنوية والبوذية والنصرانية ينظر : فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، ص18 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص-48 49، 58 - 61.

5 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص14.

6 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص 28 ؛ الخالدي، العلم الإسلامي والغزو المغولي، ص 27.

7 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 105.

كين[1] الإمبراطوريـــة في الصين [2]، فأصبح بعد هذه الانتصارات أقوى ملك مغولي في منغوليا، فمنحه الإمبراطور الصيني لقب (وانج) أو (أونك) الذي يعني (ملك) في اللغة الصينية، فعرف فيما بعد بـ (وانج خان) أو (أونك خان)، وبقيت هذه القبيلة من أقوى القبائل المغولية طيلة القرن الخامس والسادس الهجريين /الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، حتى تمكن جنكيزخان من محاربتها، وإخضاعها لطاعته، بعد أن دان بالطاعة لملوكها في بداية الأمر اقتداءً بالعلاقة الطيبة التي ربطت والده بهم [3].

5- قبيلة المركييت:

واحدة من القبائل المغولية المشهورة، ويطلق عليها اسم مكريت أيضاً [4]، وقد استوطنت في هضبة منغوليا، وتحديداً في المنطقة الواقعة إلى الشمال من موطن قبيلة الكرايت في حوض نهر سلنجا (سيلينغ) الذي يجري إلى الجنوب من بحيرة بيكال[5]، ويعتمد أفرادها على الصيد في الغابات، والمعروف عنها أن والدة جنكيزخان وزوجته كانتا من هذه القبيلة [6]، وامتاز مقاتلو هذه القبيلة بقوتهم وجلدهم وصبرهم على الأهوال والمصاعب، فضلاً عن ميلهم الكبير إلى إثارة الفتن والتمردات[7]، ونتيجة لذلك دخل

---

1 - أسرة كين : تزعم ملوك أسرة كين الصينية طائفة من شعوب منتشو الصفراء، وحكموا بلاد الخطا إي الصين الشمالية، وهم بالنسبة للصينيين قوم غرباء، وكانت عاصمة هذه الأسرة مدينة (بكين) تارة، ومدينة (كافيونج) على ضفتي النهر الأصفر (هوانجهو) تارة أخرى. ينظر : إقبال، تاريخ المغول، ص47؛ محمد فتحي الشاعر، مصر قاهرة المغول في عين جالوت (دار المعارف، القاهرة : 1995م)، ص 9.

2 - للتفاصيل عن ممالك الصين ينظر : رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ :مج2/ج1/ص-110 111.

3 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص 28 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 27.

4 - الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ 28.

5 - كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص43 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص15.

6 - الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص27.

7 - كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 43 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج 1/ 28.

جنكيزخان في حروب معهم في سنة 594هـ/1197م، واستمرت سبع سنوات يسانده فيها حليفه وانج خان زعيم قبيلة الكرايت،اضطر خلالها جنكيزخان إلى استخدام أقوى المقاتلين وأشدهم بأساً، كما اتبع معهم اشد أساليب القسوة والبطش من أجل التغلب عليهم وتحقيق النصر، فتم له ذلك في سنة 601هـ/1204م، واصدر أمرا يقضي بقتلهم جميعاً دون استثناء، فلم ينجُ من سيوف مقاتليه إلا من فر أو اختفى عن عيونهم وهم قليل جداً [1].

6- قبائل التتار:

من القبائل التي استوطنت في منغوليا، واتخذت اسم المغول تسميةً لها فيما بعد، على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما، وانقسم التتار منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد إلى قسمين رئيسين ضم القسم الأول تسع قبائل، بينما اشتمل القسم الثاني على ثلاثين قبيلة، كانت جميعها تقطن في المنطقة الواقعة في جنوب غرب بحيرة بيكال الشهيرة [2]، وينقسم القسم الثاني إلى ثلاث مجاميع :

المجموعة الأولى : التتار البيض وهم أبناء القبائل التي كانت تقطن خارج سور الصين مباشرة، وتأثروا بالحضارة الصينية بشكل كبير.

المجموعة الثانية : تتار الغابة كانت قبائل هذه المجموعة تقطن حول الروافد العليا لنهري اونون وكيرولين، واعتمدت هذه القبائل على الصيد في معيشتها.

المجموعة الثالثة : التتار السود كانوا يقطنون الجزء الشمالي من صحراء جوبي وكانوا يتنقلون خلاله، وما هم إلا قبائل بدو رحل تسعى من اجل الحصول على الكلأ والماء،

---

1 - غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الملطي المعروف بابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة : انطوان صالحاني اليسوعي ط2(دار الرائد اللبناني، لبنان :1983م)، ص394؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص-104 105.

2 - العريني، المغول، ص 33 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 25 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص 5-6.

وتعيش على رعي الحيوانات [1].

لقد كانت قبائل التتار من أكثر قبائل المغول المتنقلة ثراءً ورفاهيةً وتنعماً [2]، وعلى الرغم من ذلك كانت قبائل التتار في صراع دائم فيما بينها ولأتفه الأسباب، وليس لهم قانون أو شريعة تحكمهم، فضلاً عن أن خضوعها للملوك الخطائيين (الصينيون) اتسم بالتذبذب بين الخضوع التام ودفع الجزية، والتمرد عليهم في أوقات أخرى، فيتم إخضاعها بالقوة [3]، ولما كانت قبائل التتار تكن العداء للمغول، وتقوم بدعم القبائل الثائرة ضدهم، كما حدث في سنة597هـ/1200م و598هـ/1201، فقد عدهم جنكيزخان ألد عدو له، فشن عليهم حرباً ضروساً في سنة599هـ/1202م[4]، استأصل خلالها شأفتهم، واصدر أمراً يقضي بأن لا يُترك أحد منهم على قيد الحياة، فقطع بذلك دابرهم، وأقدم المغول على الزواج من بنات التتار، فكان من بين الجيل الجديد كبار زعماء المغول وأمرائهم [5].

أطلق اسم التتار على القبائل المغولية التي غزت العالم في القرن السابع الهجري/ الثالث الميلادي، وشملت هذه التسمية المغول من أسلاف جنكيزخان ، فضلاً عن قبائل النايمان،على الرغم من أن التتار غير المغول، وهم مستقلون عن بعضهم البعض، فقد أطلق اسم المغول على جميع القبائل التي خضعت بالقوة لجنكيزخان بعد قهرها، كنوع من أنواع الإذلال، إلا أنها لم تلبث أن تغلب عليها اسم التتار، لا سيما على القبائل التي تقطن في الجهات الغربية من الإمبراطورية المغولية، كما يجب أن نؤكد حقيقة هامة للقارئ الكريم، وهي ان كلا من اسمي المغول والتتار هما لقبيلتين، كانتا تعيشان في

1- محمود سعيد عمران، المغول وأوربا (دار المعرفة الجامعية، القاهرة : 1997م)، ص 32 ؛ كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 48 - 49.

2 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : ج1/ص61 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص26.

3 - إقبال، تاريخ المغول، ص48.

4 - ابن أبي الحديد المدائني، فصل من شرح نهج البلاغة (دار لارماتون، باريس : 1995م) ، ص 24 - 25 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص106 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص 7.

5 - الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص27.

الجزء الشرقي من أسيا الوسطى، وفي شمال غرب الصين [1]

لقد ضمت القارة الأسيوية آنذاك العديد من الدول والقبائل الأخرى إلى جانب القبائل الأنفة الذكر كأسرة (كين) وأسرة (سونج) [2] اللتين تقاسمتا حكم الصين فيما بينهما، والأتراك الأويغوريون الذين استوطنوا في شمال شرق تركستان[3]، فضلاً عن الأتراك القرة خطائيين الذين أقاموا لهم دولة قبل الغزو المغولي، شكلت حاجزاً بين الدولة الخوارزمية[4] في الغرب وموطن المغول في الشرق، وأصولهم من قبائل الخطا التي نزحت من شمال الصين بسبب اضطراب الأوضاع السياسية واستقرت في شرق تركستان[5].

أما الخوارزميون فقد أقاموا دولة ضمت منطقة نفوذها جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد فارس تقريباً، وهم من أصول تركية ويدينون بالإسلام، وذوو ثقافة عربية فارسية، فضلاً عن قوى أخرى تقع في غرب بلاد خوارزم كالسلاجقة وغيرهم [6].

هذه أشهر المكونات التي تشكل منها المجتمع المغولي في النصف الثاني من

---

1 - الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص26.

2 - أسرة سونج : إن أسرة سونج من الصينيين الأصليين، وكانت تحكم منطقة جنوب الصين، وعاصمتها مدينة (هانج تشو)، الواقعة على سواحل المحيط إلى الجنوب من شنغهاي.ينظر : رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص110-111؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 47 ؛ *Urgunge Onon , The secret history of the Mongols the life and times of chinggis Khan, (Routled Curzon , London :2001), P.14.*

3 - إقبال، تاريخ المغول، ص48 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 21 - 24.

4 - بلاد خوارزم: هي منطقة محصورة بين نهر جيحون وبحر قزوين وعاصمتها الجرجانية او كركانج وهي مدينة ذات تجارة واسعة كانت تابعة للملك خوارزم شاه. ينظر: سلطان، تاريخ الإسلامي: ج2/ص248؛ للمزيد من التفاصيل عن هذه الدولة. ينظر: حمدي، الدولة الخوارزمية، ص14 - 15؛ نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، (مطبعة الجامعة، بغداد: 1978م)، ص-34 35.

5 - ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص19 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص48.

6 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، ص19 ؛ *Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 20.*

القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي والقرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

ثالثاً : الديانة المغولية

لم تشر المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت دراسة تاريخ المغول إلى أية معلومات مفصلة عن الديانة المغولية ومبادئها، سوى بعض الإشارات البسيطة التي لا تكفي لإرواء عطش المختصين، وتجعلهم في حيرة من أمرهم في التعامل مع هذا الجانب، وتشكل عقبة أمامهم في التوصل إلى المبادئ الصحيحة للديانة المغولية، كما أن الروايات التاريخية لم تحدد ديانة موحدة خاصة بالمغول، وأكدت على أن هذه الأقوام التي تَكَوَّنَ منها المجتمع يختلف بعضها عن البعض الآخر في الاعتقاد الديني، فمنها من هو يهودي أو نصراني نسطوري أو مسلم شيعي أو بوذي[1] أو منوي [2] شاماني وغيرها، أي إن شعوب الإمبراطورية المغولية تمتعت بالحرية الدينية منذ بداية تأسيسها[3]، ويبدو أن ذلك يرجع إلى العامل الجغرافي، كقرب كل منها من المناطق التي تنتشر فيها إحدى هذه الديانات، فضلاً عن عامل التأثير والتأثر الذي ينجم عن الاختلاط

---

1 ـ البوذية: ديانة أسسها بوذا الهندي (564 ق م - 483 ق . م) وكانت واسعة الانتشار في الهند و الشرق الأقصى، وأصبحت ديانة الطبقة الحاكمة. للمزيد عن الديانة البوذية ينظر : كامل سعفان، موسوعة تاريخ الأديان القديمة (دار الندى، القاهرة : 1999م).

2 ـ المانوية : وقد ظهر في القرن الثالث الميلادي في إيران سميت بالمانوية نسبة إلى ماني الزنديق الذي ادعى النبوة، فتبعه خلقٌ كثير، وانتقل إلى الهند للتبشير بمذهبه، إلا أن ملك الهند سابور الثاني قام بإعدامه، ومذهبه مزيج من معتقدات الزرادشتية والنصرانية والبوذية، كالإيمان بالصراع بين الهين اثنين: إله الخير والنور، وإله الظلمة والشر، كما إباحة نكاح الأخوات والبنات...ولقد انتشرت المانوية في فارس والهند والتبت والصين وتركستان، حيث بقيت حتى القرن الحادي عشر الميلادي. ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ :ج1/ص299 ؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأخر، ط9(مؤسسة الرسالة، بيروت : 1413هـ) : ج11/ص274-273.

3 ـ *Tangghudai , General Concepts In Mongol Persona ,P.6.*

مع أتباع هذه الديانات، في أثناء التنقل لكسب العيش أو ممارسة التجارة والسفر إلى تلك البلاد.

كانت الديانة الشامانية أوسع انتشاراً بين القبائل المغولية مقارنة بالديانات الأخرى، وهي من الديانات الوثنية القديمة، التي ظلت منتشرة بينهم حتى القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، حيث حلت مكانها الديانة البوذية التي نمت وانتشرت في بلاد التبت [1]، وبموجب العقيدة الشامانية ظل المغول يعبدون كل شيء لا تصل إليه مداركهم، ويتعدى حدود وعيهم وفهمهم، فضلاً عن عبادتهم لكل المظاهر الخارقة التي تدخل الخوف والرهبة إلى قلوبهم، فهم لا يتقربون لهذه الآلهة إلا لخوفهم منها، وطمعاً في إبعاد غضبها، وكسب رضاها عليهم، من أجل حماية أنفسهم وحيواناتهم وأبنائهم وأموالهم [2]، فقد عبدوا كل مظاهر الطبيعة كالسجود للشمس عند الشروق [3]، فضلاً عن القمر والأنهار والأشجار الكبيرة، كما أنهم جعلوا آلهة للرعد والبرق [4]، فضلاً عن عبادة الجهات الأربع، وان تقربهم للجنوب يدل على احترامهم للنار، في حين أن التقرب إلى الشرق يدل على احترامهم للهواء، أما لجهة الغرب فيدل على احترام الماء، والى

---

1 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص24 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص 12؛ *Tangghudai ,General Concepts In Mongol Persona ,P.5; Onon , The secret history of the Mongols , P.16.*

2 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص82.

3 - تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخر، ط2 (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م, : 1413ه):ج1/ ص330 ؛ عبد الملك بن حسين ابن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية، بيروت : 1998م) :ج3/ ص 526.

4 - المكين جرجيس المعروف بابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق : كلود كاهن، (د.م.، دمشق : 1958)، ص129، القلقشندي، صبح الأعشى : ج4 / ص 314 - 315 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص33 ؛ رجب محمد عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول (دار النهضة العربية، القاهرة : 1986م)، ص 27.

الشمال احتراماً لأرواح الأموات من أجدادهم القدامى [1]، لا سيما أن ديانتهم كانت تعظم أرواح وقبور الأجداد [2].

لم يكن للديانة الشامانية معابد خاصة بها، كما هو الحال عند العرب قبل الإسلام واتباع الزرادشتية وغيرها من الديانات الوثنية الأخرى، فأكثر ما كان عندهم أكوام من الحجارة والخرق البالية وعظام وشعر الحيوانات الميتة وجلودها التي تنتشر بالقرب من مجرى الأنهار، أو في المناطق المرتفعة كالتلال وتحت الأشجار الكبيرة التي كانوا يقدسونها، إذ تقدم فيها القرابين للآلهة المختلفة التي يعبدونها، كما كان أتباع الديانة الشامانية من المغول يقومون بصناعة الأشكال الآدمية من الصوف يضعونها في داخل منازلهم وأمامها، معتقدين أنها تطرد الأرواح الشريرة، فضلاً عن أنها تضع البركة في حيواناتهم ومنتجاتها من الألبان وغيرها [3].

وفي حديث لأحد ملوكهم وهو منكوخان (649-648هـ/1251-1250م)، الذي يقول نحن قوم نعبد إله واحد، ونحيا ونموت من أجله، ونفني أنفسنا في حبه، ويشير إلى أن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة، فكذلك أعطى الله الكتب السماوية للنصارى واليهود، إلا أنهم حرفوها ولم يحافظوا عليها، وأن الله منح للمغول الشماناس، وهم يفعلون ما يأمرون من خلاله[4]، ومن المعروف عن أتباع الديانة الشامانية أيضاً تقديسهم الكبير لرجال الدين والكهنة،الذين تمتعوا بمكانة كبيرة في المجتمع المغولي بمختلف طبقاته ابتداءً من العامة والنبلاء وانتهاءً بالخانات العظام والملوك والأمراء وزعماء القبائل، فكانوا يمثلون طبقة متنورة مثقفة مقارنة بفئات المجتمع الأخرى لا سيما في

---

1 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 82 ؛ م.م. الرمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار (المطبعة الكريمية الحسينية، اورنبورغ : 1908م) : مج1/ص38 - 39.

2 - *Onon , The secret history of the Mongols , P.64.*

3 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص335 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص25 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص12.

4 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص21-20. ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 33.

مجال الفلك والتنجيم، فهم من كان يحدد أوقات وقوع الكسوف والخسوف، فضلاً عن تحديد الأيام التي تصلح للقيام بالأعمال اليومية كالزراعة وغيرها، والأيام التي لا تصلح للقيام بأي عمل كان، كما كانوا من حيث مكانتهم المقدسة كالكهنة المصريين في المعابد الفرعونية والعرافة الإغريق، على الرغم من أن نفوذهم لم يرق إلى ما وصل إليه الكهنة المصريون من نفوذ سياسي [1]، وكذلك إذا ما قارنا مكانتهم بمكانة الكهنة عند عرب اليمن في الجاهلية [2]، فكان المغول لا يقدمون على القيام بأي عمل مهم كالإعداد للحروب أو الدخول فيها إلا بعد رجوعهم إلى هؤلاء الكهنة [3].

وعلى الرغم من عمق وقدم انتشار هذه الديانة بين المغول، إلا أن مبادئها لم تصمد أمام تعاليم الديانات الأخرى التي احتك المغول بأتباعها كالإسلام والنصرانية واليهودية والبوذية[4]، لا سيما أن مؤسس إمبراطوريتهم جنكيزخان لم يكن تابعاً لأي دين أو مذهب، لذا لم يكن متحمساً لدين معين، أو متعصباً لأمة على حساب أخرى أو مرجحاً بعضها على بعض[5]، ونتيجة لذلك اتبع أبناؤه أدياناً مختلفة كل حسب ما تمليه عليه رغبته ومصالحه،فمنهم من دخل الإسلام، ومنهم من دان بالنصرانية، بينما عبد آخرون منهم الأصنام والأوثان، حسب قاعدتهم المشهورة والموروثة في الاعتقاد [6].

وفي نهاية الحديث وبعد ما تم عرضه من العقائد والمبادئ الدينية للمجتمع المغولي،كما أشارت المصادر نخلص أن معظم قبائلهم كانت تقر بالوحدانية لله سبحانه

---

1 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص83 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص25.

2 - القلقشندي، صبح الأعشى : ج4/ ص 398.

3 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 84.

4 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص 335 ؛ عادل إسماعيل محمد هلال، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة:1997م)، ص 168؛

5 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 66 ؛

Tangghudai ,General Concepts In Mongol Persona,P.5.

6 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص19 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 33.

وتعالى، وأنه خالق السموات والأرض على الرغم من اختلاف أديانها ومبادئها .

رابعاً : جنكيزخان وتأسيس الإمبراطورية المغولية

لقد كانت قبائل التتار من أشد القبائل التي قطنت منغوليا بطشاً وجبروتاً في أقاليم آسيا الشمالية، وكانوا يتمتعون باحترام كبير بسبب قوتهم، فضلاً عن أنهم كانوا من أكثر القبائل المغولية رفاهية وتنعما، كما عاشت قبائل التتار في صراع ونزاع دائم وشديد مع قبائل المغول الأخرى حتى ظهرت شخصية قيادية كبيرة، كانت مؤهلة لزعامة تلك القبائل، وتوحيدها تحت رايةٍ واحدةٍ وخضوعها لطاعته، متمثلةً بجنكيزخان، الذي قاد جيوشه وأجهز عليهم واستأصل شأفتهم، فأصدر أمراً قاطعاً بألا يترك أحد منهم على قيد الحياة، وعلى أثر انتصاره عليهم أطلق اسمه عليهم ؛ ربما لما كانوا يتمتعون به من القوة والشجاعة والثراء والنبل [1].

1- جنكيزخان

كان جنكيزخان يدعى في بداية حياته تيموجين [2]، ذلك الاسم استمده والده يسوكاي من اسم أمير مغولي من قبيلة المركييت اسمه تيموجين أيضا [3]، كان معجباً به اشد الإعجاب لشجاعته وقوته الجسمانية التي رآها، بعد أن انتصر عليه وأسره [4].

---

1 - ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص 25 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص27.

2 - إن لفظة تيموجين تعني الحديد أو القوي الصلد او الصلب المتين. العريني، المغول، ص43 ؛ إبراهيم احمد العدوي،العرب والتتار(المكتبة الثقافية،القاهرة :1963م)،ص27؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص14.

3 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « :مج1/ص 74 ؛السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص330 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص57.

4- *Paul D. Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire (The Scarecrow Press, Oxford : 2003) , P. 7; Paul Kahn, the secret history of the Mongols (north point press ,San Francisco : 1984),P.13.*

فتوافق ذلك الانتصار مع ولادة تيموجين، التي أشارت بعض الروايات إلى أنه ولد في سنة 561هـ/1167م [1] إلا أن التاريخ الدقيق هو سنة 549هـ/1155م[2] في منغوليا في إقليم دولون تحديداً على الضفة اليمنى لنهر اونون [3]، وذلك لإجماع الروايات التاريخية عليه .

كان والده يوسكاي زعيماً لقبيلة قيات المغولية المعروفة التي مر ذكرها آنفاً، ودخل في حروب مع قبائل التتار وانتصر عليها، فأدى ذلك إلى التفاف العديد من القبائل المغولية حوله[4]، كما أنه تزوج من نساء عديدات من تلك القبائل، إلا أن أشهرهن وأقربهن إلى قلبه كانت الأميرة (هولون فوجين) أو (اولون ايكه) والدة تيموجين[5]، ويعني اسمها السيدة الحسناء بلهجة قبائل الخطأ [6]، وهي تنتسب إلى قبائل المركييت، وقد تزوجها غصباً بعد أن رآها في ليلة زفافها من (يك شلاو) زعيم قبيلة المركييت،

---

1 ـ ادوارد بروي، تاريخ الحضارات العام، ترجمة : يوسف اسعد داغر (منشورات عويدات، بيروت: 1965م): ج3 /360؛ عبد القادر احمد اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، (د.م.، بيروت: 1969م)، ص 198؛

Bertold Spuler, Die Golden Horde Die Mongol in Rubland (No. P., Wiespaden: 1965) ,P. 615-616.

2 ـ الرمزي، تلفيق الأخبار : مج 2/ص345 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق»جنكيز خان»، ص29،31؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص 162 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص15 ؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ؛ ج1/ ص73.

3 ـ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص33 ؛ هشام محمد، دولة التتار الشروق والغروب (دار طيبة، القاهرة، 2008م)، ص7.

4 ـ منصور عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم (دار الكتاب العربي، القاهرة : 2008م)، ص 57 ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص 57.

5 ـ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص 6-5 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص 29.

6 ـ أشار الجويني إلى أن اسمها هو يسونجين بيكي، وهذا الاسم في اللغة المغولية يعني المرأة الحسناء، ويبدو ان يسونجين كان لقباً لها وان اسمها الحقيقي هو ما أورده رشيد الدين الهمذاني، وهناك احتمالات الأول أن الجويني خلط بين اسمها ولقبها، والثاني ربما أنه خلط بينها وبين زوجة هولاكو والدة اباقا، فقد كان اسمها يسونجين. ينظر : الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي»: مج1/ ص78.

وكان ذلك بمساعدة أخويه اللذين أعلمهما بالأمر، فأنجبت ليوسكاي أربعة أبناء وبنتاً واحدة بعد زواجها منه [1].

توفي والديوسكاي مسموماً على ايدي أعدائه من التتار في سنة 561هـ/1167م[2]، ولم يكمل تيموجين الثالثة عشرة من العمر [3]، فترك له زعامة القبيلة، ورئاسة حلف عقده والده كان قد هزم بواسطته الصينيين، إلا أن أعضاء هذا الحلف لم يلبثوا أن حلوه بعد وفاة يسوكاي،وانفض من حوله جميع أقاربه وأتباع أبيه، الذين شقوا عصا الطاعة عليه بسبب ضعفه وصغر سنه[4]، فاضطر تيموجين إلى ترك القبيلة مع أمه وأشقائه، ليعيشوا على صيد الحيوانات، والتفت القبائل المغولية حول زعامة شخص أخر [5]، الذي لم يكن ليهدأ له بال وهناك وريث شرعي ليوسكاي، وللتخلص منه قام بإلقاء القبض عليه، إلا انه فر من سجنه بمساعدة احد الحراس، واتجه إلى قبيلة الكرائيت مستفيداً

---

1 ـ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان «، ص27 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص-40 41؛
Mccoy,Chinggis Khan ,P. 4 ; Kahn, the secret history of the Mongols , P.14; Onon , The secret history of the Mongols , P.58.

2 ـ كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 37؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص18 ؛ عمران، المغول، ص32؛ *Mccoy,Chinggis Khan ,P. 4.*

3 ـ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص29 ؛ وللمزيد ينظر : عكاشة، إعصار من الشرق " جنكيزخان "، ص40 ـ 57 ؛ عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي (دار الفكر العربي، القاهرة :1976م)، ص 195.

4 ـ الجويني ؛ تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 79 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 57؛ *Jean-Pierre Bongila , Shaping Influences on the Leadership of Genghis Khan , George Washington, and Nelson Mandela: Applications for Educators, in Journal of Leadership Education Volume 10, Issue 2 – Summer 2011 , P.139.*

5 ـ الجويني ؛ تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 79 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 57؛ *Bongila , Shaping Influences on the Leadership of Genghis Khan , P.140 Onon ,The secret history of the Mongols , P.66 -67.*

من العلاقة الحسنة التي تربط والده بزعيمها طغرل، الذي كان يعده بمثابة الابن لأنه شرب مع أبيه نخب الصداقة الأبدية[1]، وتميزت قبيلة الكرايت بالثراء والقوة وإمكانية مساعدة تيموجين، إذ تعهد كلا الطرفين خلال ما سمي بنخب الصداقة الأبدية بمساعدة أبناء الطرف الآخر، إذ ما اقتضت الضرورة، إلا أن تيموجين قرر عدم طلب المساعدة منه من موقع القوة والثقة بالنفس [2].

نجح تيموجين في الحفاظ على مراعي أسرته بمساعدة أمه وأشقائه، فضلاً عن عدد قليل ممن حبذ البقاء معه، وما أن بلغ السابعة عشرة من العمر حتى بدأت تظهر عليه ملامح وصفات الزعامة الفذة، فبدأت بعض القبائل بالتوافد إليه، فأصبحت لديه القوة الكافية على إعادة المنشقين من أبناء قبيلته، فأخضعهم لطاعته بالقوة [3]، ووصفه ابن أبي الحديد ((كان شجاعاً عاقلاً موفقاً منصوراً في الحرب)) [4]، وبعد أن خضع لطاعته جميع أبناء قبيلة قيات تزوج من خطيبته بورتاي أي ذات العينين الرماديتين[5]، ثم توجه إلى صديق والده القديم طغرل خان، فتحالف معه ضد قبيلة مركييت - أخواله -، التي اختطفت زوجته بورتاي، ثأراً لامه التي خطفها والده يوسكاي قبل ثمانية عشر عاماً، فنجح في إلحاق الهزيمة بهم واستعاد زوجته المخطوفة[6].

---

1 - عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، ص58.

2 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 29؛ عكاشة، إعصار من الشرق "جنكيزخان"،ص40 - 57؛

Bongila , Shaping Influences on the Leadership of Genghis Khan , P.140

3 - فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 31 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص195.

4 - فصل من شرح نهج البلاغة، ص 24.

5 -*Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P.9.*

6 - عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيز خان «، ص 58 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص18.

2- تأسيس الإمبراطورية المغولية (الحروب الداخلية) [1]

ما أن اعتلى تيموجين عرش قبيلته في سنة 597هـ/1201م[2]، فضلاً عن انضمام القبائل المغولية الأخرى، حتى أصبحت لدية قوى عسكرية كبيرة، فأخذ باستكمال ما بداه والده من سياسة توسعية على حساب المناطق المجاورة، مستفيداً من تحالفه مع قبيلة الكرائيت وإمبراطورية كين الواقعة في الشمال الصيني، فحقق نصراً حاسماً على عدوه اللدود تركوتاي زعيم قبيلة التايجوت المغولية[3]، كما نجح في بسط سيطرته على الأقاليم الجنوبية من منغوليا من أجل اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من البلاد الصينية، وضمها إلى مناطق نفوذه، فضلاً عن التوسع في الأقاليم الغربية من أجل تعقب بعض القبائل المغولية التي أبت الرضوخ لطاعته والاعتراف بسلطته، ففرت من مواجهته والاصطدام بجيوشه، وفي الوقت الذي كان يستعد فيه لتوسيع دائرة ملكه إلى مناطق بعيدة، قرر وضع دستور خاص لشعبه، كي تلتزم به جميع القبائل المغولية وغير المغولية من التي خضعت لسلطته، فيسيرون وفق قواعده في حياتهم اليومية، لقد كان لهذا الدستور دوره الكبير في تنظيم الحياة العامة للشعب المغولي بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وظل نافذاً لمدة طويلة بعد موته[4].

وبعد أن نظم جنكيزخان جميع الأمور الداخلية لدولته، واطمأن على استقرارها، أخذ بالزحف نحو المناطق الشمالية من بلاد الصين، فتمكن من إخضاعها لسلطته وعين عليها نواباً عنه لتنظيم أوضاعها الإدارية والاقتصادية وفقاً لدستور المغول[5]، كما نجح في الانتقام من أعدائه التتار، الذين فروا من مواجهته إلى غرب البلاد، فكان ذلك سبباً

1- *Mccoy,Chinggis Khan ,P. 1.*

2 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص330.

3 - فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 31 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص45.

4 - ريهام المستادي، رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحد- دورية كان التاريخية - العدد الرابع :يونيو200 ، ص 69 - 70. بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :WWW. historicalkan.com.

5 -*Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 29.*

في اصطدامه بالقوى الإسلامية الواقعة في تلك الأقاليم [1].

أدرك (أونك خان) زعيم قبيلة الكرايت خطورة تيموجين، لا سيما بعد أن بدأ الواشون يفعلون فعلهم، ويزرعون البغضاء بينهما، فاخذوا يقللون من قيمة أعماله [2]، إلا أن تيموجين شعر بما كان يحاك ضده من قبل حليفه، فأخذ أتباعه وانسحب عن مضارب قبيلة الكرايت، فلحق به (وانج خان) لإيقافه، ووقعت بينهما معركة في سنة599هـ/1203م، كان النصـر فيها حليفاً لتيموجين الذي نجح في قتل زعيم قبيلة الكرايت [3]، واستولى على مدينة قرة قورم[4]، واتخذها عاصمة له [5]، وبذلك

---

1 - عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، 62 ؛ اشرف صالح محمد سيد، الغزو المغولي صفحة دموية في تاريخ الحضارة الإسلامية، بحث منشور في مجلة الزيتونة (تونس:ابريل/2011م)،ص3.

2 - القلقشندي، صبح الأعشى:ج4/ص310 ؛ عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم،ص58.

3 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 75 ؛ محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (دار صادر، بيروت : د.ت.)، ص22 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 / ص 117؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 57 ؛

Bongila , Shaping Influences on the Leadership of Genghis Khan , P.144 ; Mccoy ,Chinggis Khan , P.7.

4 - قرة قورم: اسم لمدينتين تاريخيتين كبيرتين تقعان في منغولستان الغربية وفي الجزء الشمالي من منطقة قرة قورم، بنيت هذه المدينة لأول مرة على ضفاف نهر اورخون على يد أحد خانات الأويغور، ويدعى بوقوخان،وأصبحت عاصمة للدولة الاويغورية، وأطلق عليها أيضاً اسم (اردو باليق) وتعني مدينة الجيش، وظلت عاصمة للدولة الاويغورية حتى القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي، وكان يطلق عليها اسم (قرة بالقاسون) أي المدينة الكبرى، ولا يزال المغول يطلقون على أطلالها القديمة اسم خاراخروم أي القلعة الكبيرة ، وعلى بعد ستين كيلومتر من أطلال قرة قورم وحصونها، شيد الأويغور في سنة 1234م مدينة أخرى تحمل نفس الاسم، وبأمر من جنكيز خان، وشيد الصينيون حصونها، وكانت عاصمة لخانات المغول،وأصبحت من أكبر مدن منغولستان. ينظر : إقبال، تاريخ المغول، ص19.

5 - بدر،محنة الإسلام الكبرى، ص107 ؛ الصياد، المغول في التاريخ:ج1/ص47؛عمران، المغول، ص 33؛

Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P.43.

أصبح تيموجين أقوى زعيم مغولي، فنودي به خاناً أعظم [1] للمغول من قبل جميع زعماء القبائل المغولية والتترية التي دانت له بالطاعة[2]،كما اعترف به إمبراطور كين الصيني، واتخذ لقب جنكيزخان [3] ،أي ملك الملوك أو إمبراطور العالم [4] في سنة602هـ/ 1206م[5]، وأشار البعض إلى أن لقب جنكيزخان يعني ((جريء وثابت وقوي))[6]، وقال آخرون انه يعني ((خان ما بين كل المحيطات))[7].

---

1 ـ الخاقان الأعظم : إن لقب الخاقان أطلقه المغول على الرئيس الأعلى لدولتهم، ويكون جميع الخانات تابعين له، لان الخان هو من يحكم جزءاً من المملكة والخاقان يحكم جميع أجزاء المملكة، وأطلق لقب الخان على بعض الخاقانات عند بعض المغول، وذلك من باب الاختصار. ينظر : تقي الدين احمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة :1970م) : ج1/ق2/ص307، هامش 4 ؛

K. Sar , Mongol in the12 and 13 centuries , A.D. Encyclopaedia Britannica (U.S.A. ,1966), P. 730.

2 ـ العريني، المغول، ص48 - 49؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص14 - 15؛ سلطان، التاريخ الإسلامي: 2ج/ص243.

3 ـ القلقشندي، صبح الأعشى: ج4/ص309 ؛ وأشار الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد إلى أن اسم جنكيزخان مأخوذ عن الكلمة الصينية سنج – سز، والتي تعني ابن السماء. ينظر: الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي، مجلة آداب الرافدين، (الموصل: 1971م): ع2/ ص5 - 6 ؛ في حين أشار فامبري إلى أن جنكيز كلمة ذات أصل أويغوري تتكون من مقطعين جنك بمعنى مستقيم أو ثابت أو قوي، وكيز تعني جبار، وإذ ما جمعنا المقطعين في كلمة واحدة فإنها يعطي معنى الشديد القوي أو الجبار. ينظر : تاريخ بخارى، ص 162؛ أو حاكم عالمي. ينظر :

Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P.13; Missick , The Assyrian Church in the Mongolian Empire , P.90.

4 ـ عكاشة، إعصار من الشرق جنكيزخان، ص68، 94؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص32.

5 ـ كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 129 - 205،130 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 107.

6 ـ *Mccoy ,Chinggis Khan , P. 8.*

7 - *Morris Rossabi , The Mongols in World history "All the Khan's Horses" (Columbia University , Columbia : 1994) , P. 1.*

لقد اخضع جنكيزخان لسيطرته مناطق عديدة وواسعة وفقاً للإستراتيجية العسكرية للمغول، وعلى الرغم من الاستعدادات التي قام بها لإخضاع قبيلة النايمان المغولية منذ سنة 600هـ/1204م، إلا أنها لم تخضع له إلا في سنة 602 هـ/1206م [1]، بسبب وفاة ملكهم (كوشلوك) وتولية العرش لولده الصغير، الذي لا يملك أي خبرة في إدارة أمور مملكته[2]، كما أعلن ملك الأويغوري عن خضوعه التام لجنكيزخان في سنة 606هـ/1209، فزاره حاملاً معه الهدايا الفاخرة ومقدماً له فروض الطاعة، لا سيما بعد أن أدرك أنهم سيخضعون لجنكيزخان لا محالة أجلا أم عاجلاً [3].

أما فيما يتعلق ببلاد الصين، فإنها كانت من أهم المناطق التي استولى عليها جنكيزخان، لأن التوسعات المغولية انطلقت منذ البداية من منطقة الاستبس الواقعة في أواسط أسيا، لا سيما منغوليا، وسارت حملاتهم في خطين أحدهما نحو الشرق والآخر غرباً، وكان الاستيلاء على بلاد الصين احد أهداف الحملة التي توجهت نحو الشرق، وفعلاً نجحت في احتلالها،ودخول عاصمتها بكين في سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، وقضى على حكم أسرة (كين)[4].

إن استيلاء جنكيزخان على العاصمة الصينية بكين، وإخضاعه لتلك البلاد، جعل جميع تلك الثروات الكبيرة التي حرم منها مناوئيه تحت تصرفه المباشر بلاد

---

1 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : ج1/ص97 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 57 - 58 ؛ *Bongila , Shaping Influences on the Leadership of Genghis Khan , P.141 .*

2 - زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (دار الكتب العلمية، بيروت:1996م) :ج 2/ص 135 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى : ج4 /ص311 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي :ج3/ ص523.

3 - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص399.

4 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص51 - 53 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص195 ؛ علي محمد الصلابي، المغول والتتار بين الانتشار والانكسار(الأندلس الجديدة، بيروت : 2009م)، ص 52؛ للمزيد من التفاصيل عن الحروب التي دارت بين أسرة كين الصينية والإمبراطورية المغولية ينظر :

Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 35.

منازع، وتعد مرحلة توسع جنكيزخان وقواته إلى الشرق مرحلة إعداد واختبار لقوة المغول، وما هي إلا حملة استطلاعية، فقد اتسمت التوسعات المغولية في منطقة الصين بكثرة الدماء التي سفكت بحق سكان تلك المناطق دون تمييز بين طفل صغير أو شيخ كبير أم امرأة أم رجل عاجز مجرد من السلاح، فالجميع كانوا ضحية لسيوف المغول التي لا تعرف الرحمة والإشفاق، فارتكبوا مذابح فظيعة، إذ وصفها بعض المؤرخين بسيلان الدماء على الأرض كالأنهار[1].

أما الحملة المغولية التي توجهت نحو الغرب ؛ فقد اتسمت بكونها عمليات عسكرية ناجحة بشكل كبير، إذ حققت القوات المغولية خلالها انتصارات ساحقة على أعدائها، وتمكنت من تدمير تلك الدول والقضاء على أنظمتها الحاكمة، لا سيما التي حاولت التصدي للجيوش المغولية[2]، كبقية قبائل الخطائيين الذين زالت دولتهم على يد قبائل النايمان المغولية وزعيمها كوشلوك وجيوش الدولة الخوارزمية التي هاجمتها في سنة 606هـ/1209م[3].

*** *** ***

1 ـ كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 263 - 264 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص116- 109 .

2 ـ حسن الأمين، الإسماعيليون والمغول ونصر الدين الطوسي(الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت : ،) ١٩٩٧ ص٥ .

3 ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص339 - 340 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص398؛

Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , pp. 19-20.

خامساً : دور جنكيزخان في تنظيم الشؤون الداخلية

لقد كان لجنكيزخان دور كبير في تنظيم الجانب الإداري لدولته، لا سيما بعد أن تم له إخضاع القبائل المغولية لطاعته، وتوحيد البلاد تحت قيادته، فخطا خطوتين هامتين كانتا من العوامل الرئيسة التي أدت إلى تعزيز قوة الإمبراطورية المغولية وهما.

1 ــ تأسيس القوريلتاي

بدأ جنكيزخان يعد العدة ويتخذ التدابير اللازمة لتنظيم الشؤون الداخلية لمملكته الناشئة، فعقد أول اجتماع للمجلس الأعلى للمغول أو المؤتمر المغولي العام، والذي عرف بالقوريلتاي في سنة 603هـ/1206م [1]، كما أشار فامبري إلى أن القوريلتاي ما هو إلا مجلس شورى للمغول[2].

كان القوريلتاي أو المجلس الأعلى للمغول يعقد للبت في الحوادث الهامة، والتشاور من اجل اتخاذ القرارات فيها كالإرث، واختيار خان جديد بعد وفاة الخان الأول، أو القيام بحملات عسكرية [3]، ويبدأ الإعداد لعقد هذا المجلس عادة بدعوة كبار أمراء المغول وزعماء القبائل وأقاربهم إلى الاجتماع بوساطة مبعوثين يطلق على كل

---

1 ـ كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص205 - 206 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص37؛ عمران، المغول، ص34 ؛

Denise Aigle , Iran under Mongol domination (Orient et Méditerranée, Paris : No. D) , P. 68.

2 ـ تاريخ بخارى، ص 181 ؛ عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، ص67.

3 ـ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 65؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 113،

Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P.36.

منهم اسم (إيلجي) إي سفير أو رسول[1]، ويعقد عادة في مستهل فصل الربيع [2]، لقد وضعت خلال هذا الاجتماع ولأول مرة القواعد الرئيسة للنظام الإداري المغولي، الذي تمثل بمجموعة من الوظائف والمهام الإدارية على رأسها الخان الأعظم، الذي كان واضعاً يديه على جميع السلطات، ويقوم بتوزيعها على أعوانه المخلصين. أما بقية الوظائف فكان يولي أمرها لأشخاص مقربين منه امتازوا بالحنكة، لا سيما انه كان يحيط نفسه بمجموعة من صفوة أتباعه الذين يضع ثقته بهم [3]، فيرجع إليهم في جميع الأمور، ويوزع عليهم أفضل الغنائم وأحسن السبايا، أما الوظائف الحساسة منها، فقد ولى أمرها لأحد أقاربه[4]، ووضع دستوراً نظّم بموجبه الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشعبه، كما شرع هذا المجلس مجموعة من القوانين العسكرية الصارمة التي حددت واجبات وحقوق الجندي المغولي، وأطلق على هذا الدستور بجانبيه الاجتماعي والاقتصادي والعسكري اسم (الياسا) [5] أو الياسق، وطبقت قوانينه على المغول، ومن خضع لسيطرتهم من

---

1 ـ الصياد، المغول في التاريخ، ص352 ؛ محمد التونجي، التيارات الأدبية أبان الزحف المغولي (دمشق :1987م)، ص 35 ؛ صبحي عبد المنعم محمد، سياسة المغول الإيلخانيين تجاه المماليك في مصر والشام (العربي للنشر والتوزيع، القاهرة : 2000م)، ص 15.

2 ـ عكاشة، إعصار من الشرق «جنكيزخان»، ص 235.

3 ـ للمزيد عن النظام الاداري المغولي الذي وضعه جنكيزخان ينظر: كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص226-208.

4 ـ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص37 ؛ عمران، المغول، ص34.

5 ـ إن أصل كلمة الياسا وردت في المصادر المغولية برسم دز أساك، وفي المصادر العربية والفارسية بأشكال مختلفة مثل ياسا وياسه ويساق وياساق ويسق، وكانت تطلق أصلا على الفرمان أو الحكم الذي يصدره كل من الملك أو الأمير، ولما كان أحد أقسام الياسا التي وضعها جنكيزخان تتعلق بالعقوبات المفروضة على معظم الجرائم ينص على عقوبة القتل، فقد أصبح من المعاني الشائعة لكلمة ياسا القتل والموت، والمصدر من هذه الكلمة ياساميشي معناه السياسة وإدارة دفة الأمور، كما وردت أحكام جنكيزخان أيضاً بلفظ (توره)، ومعناها في اللغة المغولية العادات القومية ودستور الأجداد، وترد كلمة يوسون مع كلمة ياسا في كتب التاريخ الخاصة بالمغول، وهي كلمة مغولية تعني النهج والطريقة. ينظر : إقبال، تاريخ المغول، ص 138، هامش رقم(6)، وأشار الرحالة ابن بطوطة إلى أن قسماً يطلق عليه خطأ السياسة. ينظر : حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل (دار المعارف، القاهرة : 1980م)، ص150.

الشعوب الأخرى بكل صرامة، وقدسوه تقديس الكتب السماوية عند أصحاب الديانات المقدسة [1]، وقد أشار المقريزي إلى إن الدستور الذي وضعه جنكيزخان أطلق عليه اسم اليسق، وقد تم نقشه على صفائح من الفولاذ للحفاظ عليه من الضياع، ووجدت نسخة منه في المدرسة المستنصرية في بغداد [2].

2 ـ دستور الإمبراطورية المغولية (الياسا) [3]

أدرك جكيزخان بعد أن أسس إمبراطوريته التي أخذت بالاتساع بشكل كبير، إن ما كان سائداً من الأعراف والعادات والتقاليد القبيلة المغولية غير المدونة، لا تكفي لتنظيم الشؤون الداخلية لدولته الجديدة بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والدينية، فقرر وضع دستور منظم للشعب المغولي وتدوينه، فأخذ العادات والتقاليد المعروفة والدارجة بين الشعوب المغولية، فاعتمد على ما هو جيد منها، لا سيما التي تتناسب مع حياة الفرد المغولي، وشذب البعض الأخر، وألغى كل ما لا يخدم مُحَرِماً التعامل به، ومستبدلاً إياها بقوانين جديدة أقرها هو شخصياً بناءً على خبرته ومهارته الإدارية من ناحية [4]، كما اقتبس قسماً منها من شرائع الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية والإسلام [5]، أو بالاعتماد على أعضاء القوريلتاي من ناحيةٍ أخرى، مما شكل أول دستور مغولي مدون، وكان قائماً على ثلاثة مبادئ، أولها : الخضوع التام لجنكيزخان، وثانيها: الوحدة المغولية لابناء الشعب كافة، وثالثهما : العقاب الصارم لكل

---

1 ـ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص36 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص34 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى : ج4/ص310 - 311.

2 ـ الصياد المغول في التاريخ : ج1/ص340 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص27.

3 ـ *Mccoy ,Chinggis Khan , pp. 8 - 9.*

4 ـ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي» : مج1/ص64، 66 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 113؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص338 ؛ عمران، المغول، ص36 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص38 ؛ *Tangghudai ,General Concepts In Mongol Persona, P.6.*

5 ـ علي بن نايف الشحود، موسوعة الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم. الكتاب موافق للمطبوع ومنشور على موقع الوراق :. *WWW. alwarraq. com*

مرتكب لأي خطأ مهما كان نسبه ومنصبه [1].

أطلق على هذا الدستور اسم (الياسا) ولفظ كلمة الياسا يعني قانوناً أو حكماً، ومن اجل تدوينه وضمان استمراره دون تحريف أو تلاعب، فقد أمر أفراد المجتمع المغولي، لا سيما الأطفال منهم بتعلم الخط الاويغوري الذي دونت به الياسا، كما أمر جنكيزخان بان يحتفظ كل من زعماء المغول وأعيانهم وأمرائهم بنسخة منه في خزانته للمحافظة عليه من الضياع [2].

أن الياسا أو دستور المغول الذي وضعه جنكيزخان، وهدف من ورائه تحقيق جملة أمور منها تنظيم حياة شعبه من ناحية، فما هي إلا مجموعة قوانين مختصرة بسيطة [3]، إلا أنها كانت صارمة ولا يمكن الاستهانة بها في ذات الوقت، ونسخت كل ما سبقها من قوانين كانت سائدة في منغولية، ولكي يربط قبائلها ويوحد أقاليمها من ناحية أخرى ، وعلى الرغم من دكتاتورية جنكيزخان واستبداده، إلا انه التزم بتطبيقه هو وخلفاؤه فيما بعد، وجعل له قدسية تعلو على قدسية الإمبراطور [4]، كما أنها تركز

---

1 ـ القلقشندي، صبح الأعشى : ج4/ ص 314 - 316 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص27.

2 ـ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ ص65 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 113 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص338 ؛ عمران، المغول، ص36؛ علي حسني الخربوطلي، غروب الخلافة الإسلامية، (مؤسسة المطبوعات الحديثة،القاهرة: د. ت): ص162؛ السادتي، تاريخ الدول،ص192.

3 ـ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص118 - 119؛ الخربوطلي، ص162؛ السادتي، تاريخ الدول الإسلامية، ص192؛ للمزيد من التفاصيل حول قوانين الياسا ينظر :

Poliak , The Influence of Chingiz-Khan Yasa , upon The General of the Mamluk state (University of London , London : 1942) : Vol. 10 /P. 826-863.

4 ـ نجم الدين ابراهيم بن علي الحنفي الطَرَسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط 2، ص12. الكتاب موافق للمطبوع ومنشور على موقع الوراق : WWW.alwarraq. com.

ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : الباز العريني (دار الثقافة، بيروت :1997م) : ج3/ق2/ص 416 - 417.

بشكل كبير على احترام الشعب المغولي وإعلاء مكانة الجنس المغولي، وتفوقه على غيره من الأجناس الأخرى، على الرغم من طبائعه القبلية وتعطشه لسفك الدماء البريئة دون مبالاة من أجل تحقيق مكاسب مادية[1]، وكان المغول يعودون إلى الياسا بشكل مباشر في ثلاث حالات :

1. يعقد عندما يتولى خان جديد عرش الإمبراطورية المغولية.
2. يتم عقد المجلس الأعلى للمغول لمناقشة السياسة العامة للإمبراطورية.
3. يعقد عندما تتم تعبئة الجيوش لخوض الحروب [2].

لقد كان لدستور جنكيزخان (الياسا) دوره الكبير في تحقيق الانتصارات المغولية في مختلف أرجاء البلاد، وعلى مختلف الأمم والشعوب والقبائل، وتأسيس إمبراطورية واسعة الأرجاء، كما طبقت قوانين الياسا الصارمة على جميع رعاية الإمبراطورية المغولية على اختلاف أعراقهم وأديانهم دون استثناء، واتصفت العقوبات التي تفرض بموجبها على المخالفين بشدتها وقساوتها التي لا تعرف الرحمة أو الشفقة [3].

لم تسن قوانين الياسا لتنظيم جانب معين من جوانب الحياة في المجتمع المغولي بل شملت جوانب عدة، كان في مقدمتها بل وأهمها على الإطلاق التطرق للمعتقدات، فأكدت على مبدأ التوحيد لله فاطر السموات والأرض، على الرغم من ديانتهم الوثنية، فضلاً عن منحها مكانة خاصة للرهبان والوعاظ والمؤذنين وغسالي الموتى، وإعفائهم من المسؤوليات الحكومية والإدارية، بسبب تفرغهم التام لخدمة الدين[4]، كما منعت الياسا أفراد المجتمع المغولي من التعصب لدين أو مذهب على حساب مذهب آخر، فضلاً عن منع استخدام الألقاب قبل الأسماء مهما كان منصب الفرد أو منزلته [5].

---

1 - فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 33.

2 - الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص 339.

3 - القلقشندي، صبح الأعشى : ج4/ ص314 ؛ فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 33.

4 - ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 /ص119 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى:ج 4 / ص 314.

5 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص67 ؛ عمران، المغول، ص37 ؛ هلال، العلاقات بين المغول وأوربا، ص 168.

اهتم جنكيزخان من خلال دستوره الياسا بتحديد العقوبات على المتمردين والعاصين والمخالفين للأوامر الإمبراطورية، ومنها يحكم بالإعدام على كل من يشق عصا الطاعة على الإمبراطور المغولي، ويعلن نفسه إمبراطوراً دون موافقة وإقرار القوريلتاي، كما يمنع منح الألقاب الفخرية أو التشريفية لأي شخص من غير المغول حتى وان كان زعيماً لقبيلة. أما في المجال الدبلوماسي فقد تقرر عدم عقد الصلح أو الهدنة مع أي أمة أو شعب أو ملك أو أمير إلا بعد تقديمه كافة فروض الطاعة لإمبراطورية المغول، كما قرر الحكم بالإعدام على كل أمير أو زعيم من زعماء القبائل المغولية في حالة التهاون في تأدية الواجب أو عدم الامتثال وتنفيذ أمر الحضور أمام الخاقان[1].

أما فيما يتعلق بالجانب العسكري، فقد أصدر جنكيزخان مجموعة من القوانين الخاصة بالجندي المغولي كعنصر، والجيش كمؤسسة، ودونها كجزء من الياسا، وبذلك نجح في تحويل جيوشه إلى جيوش نظامية، تسير وفق خطط عسكرية دقيقة ومنظمة بعد أن كانت همجية كقطعان الماشية ، مما سهل عليه اكتساح العالم كإعصار مدمر، وتحقيق الانتصارات المتتالية[2]، فقد أكد من خلال الياسا على مراعاة القاعدة العسكرية في تعبئة الرجال،وتنظيمهم إلى مجاميع مقسمة حسب الأعداد إلى عشرات ومئات وآلاف وعشرات الآلاف [3]، كما يستلم الجندي المغولي سلاحاً خاصاً به، ومن قائده المباشر أثناء نشوب الحرب، وعلى القادة والأمراء الاحتفاظ بالأسلحة سليمة، والتأكد من صلاحيتها للاستعمال قبل الدخول في أي معركة،، وعلى كل من لا يشارك من المغول في الحرب، أن يقوم مقابل ذلك بتأدية خدمات أخرى للإمبراطور دون مقابل، ومهما كان نوعها، فضلاً عن إصدار حكم الإعدام، وتنفيذه بشكل مباشر بحق كل من يخالف الأوامر العسكرية التي تتعلق بالسلب والنهب لأموال الأعداء واستباحة مدنهم

---

1 - القلقشندي، صبح الأعشى : ج4 /ص 314 - 316 ؛ فهمي،تاريخ دولة المغول في إيران،ص34-35.

2 - الصياد، المغول في التاريخ، ص339 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 31.

3 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 70؛ نائف بن حمود بن محمد أبو قريحة، النظم الحربية عند السلاجقة (د.م. د.م. :1423هـ)، ص ؛ العريني، المغول، ص56 .

قبل صدورها، ولغرض إدامة التدريب العسكري الذي يحافظ على جاهزية الجندي المغولي ولياقته العالية، وتوفير الأرزاق اللازمة، فقد قرر في الياسا إجراء عملية صيد شاملة في شتاء كل سنة، على ان تراعى فيها جميع الأوامر الخاصة بالنظام العسكري المغولي، وكأن الجنود في ساحة معركة [1]، وتستمر فترة الصيد ثلاثة أشهر فقط [2]، وفي أثناء الصيد لا يجوز ذبح الحيوانات التي تم اصطيادها، بل يتم ربطها، ويشق صدرها لإخراج القلب منها وتناوله، فضلاً عن أكل الأطراف والأحشاء ومص الدماء على الرغم من تحريم هذه العادة السيئة في الأعراف المغولية سابقاً [3].

على الرغم من الايجابيات التي اتصفت بها الياسا، وما قدمته من دورٍ كبيرٍ في تقوية المجتمع المغولي، فقد دعت إلى الإباحية، فمن العادات المغولية المقيتة الموجودة فيها، والملزمة أن يقوم كل فرد مغولي عند رأس كل سنة بعرض بناته الأبكار على الخان وأبنائه ليختار منهن لنفسه وأولاده وحاشيته [4]، فضلاً عن عدم وجود عقد نكاح بل كانت المرأة يأتيها جماعات كالقردة [5]، هذه من الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى هدم الأسرة والمجتمع.

لقد سن جنكيزخان مجموعة من العقوبات لمختلف الجرائم، ووضعها في الياسا لتطبق على جميع المواطنين في إمبراطوريته، فحدد عقوبة سارق الحصان[6] مثلاً

---

1 ـ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص67 -68 ، 70؛ إقبال، تاريخ المغول، ص118.

2 ـ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص54 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص117.

3 ـ فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 34.

4 ـ المكي، سمط النجوم العوالي : ج3/ ص526.

5 ـ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 / ص119 ؛ العدوي، العرب والتتار، ص 33 .

6 ـ ان الخيول لها مكانة كبيرة عند المغول، اذ يعد المحور الرئيس الذي تقوم عليه حياتهم القبلية فيستخدم للنقل والعمل، والاستفادة من لحومها وحليبها. للمزيد من التفاصيل عن المكانة الكبيرة والمهمة للخيول عند المغول. ينظر:

Rossabi, The Mongols in World history, PP.1-3 ; Mccoy ,Chinggis Khan , P. 1.

أو ما يعادل قيمة بشطر جسده إلى شطرين، أما عقوبة غيرها من المواد المسروقة، فتتحدد بنوعية المادة من سبع إلى سبعمائة جلدة، وبالإمكان تحويل العقوبة من الجلد إلى الغرامة المالية، من خلال مضاعفة قيمة تعوض المادة المسروقة إلى تسعة أمثالها (1)، كما وضع جنكيزخان عقوبة الموت كجزاء لمن يرتكب جريمة الزنا واللواط والكذب والسحر والتجسس، ودخل بين متخاصمين فأعان احدهما، ومن بال في الماء أو اشترك في جريمة قتل، أو اطعم أسيرا أو سقاه أو كساه دون إذن أهله، فضلاً عن الحكم بالموت على كل من يؤوي عبداً هارباً من سيده، ومن يعرف مكان العبد الهارب ولا يقوم بالإبلاغ عنه يعرض نفسه لأشد العقوبات(2).

ومن أجل الحفاظ على مكانة الفرد المغولي كمواطن من الدرجة الأولى، فقد اصدر جنكيزخان قانوناً حرم فيه على أي شخص من غير الجنس المغولي، مهما كانت مكانته أن يستخدم شخصاً مغولياً كأجير في أعماله مهما كان نوع العمل، كما حرم غسل الملابس والاستحمام في مياه الأنهار في أوقات الرعد والبرق (3). وفيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فقد وضع قوانين نظمت التجارة، والأمور المالية للإمبراطورية المغولية كالضرائب التي اقر لها نظاماً متكاملاً (4)، كما أقام جنكيزخان بموجب الياسا نظام بريد محكم، ليسهل وصول الأخبار إلى الخان بدقة وبأسرع ما يمكن، لا سيما بعد اتساع دولته شرقاً وغرباً (5).

1- *Onon , The secret history of the Mongols , P. 11,13.*

2 - ابن كثير البداية والنهاية:ج13 /ص 118 - 119 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص32؛ *Tangghudai ,General Concepts In Mongol Persona , P.6.*

3 - المفضل ابن ابي الفضائل، النهج السديد والعقد الفريد في تاريخ ما بعد ابن العميد، تحقيق : بلوشيت (د.م، باريس : 1932م)، ص116 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص121؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص178 ؛ فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 34.

4 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 73 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج3/ق2/ص417.

5 - الجويني، تاريخ فاتح العالم»جهان كشاي»: مج1/ص 72؛الخالدي،العالم الإسلامي والغزو المغولي،ص 38.

كما وضع جنكيزخان مجموعة من القوانين التي تتعلق بالحرية الشخصية للفرد منها عدم جواز الزواج والمصاهرة مع الأقارب من الدرجة الأولى والثانية، في حين جوز الجمع بين الأختين كزوجات لذات الشخص في آن واحد، كما يحق للزوج امتلاك الجواري[1]. أما بالنسبة للنساء، فقد منحن بموجب قانون الياسا استقلالية تامة، إذ سمح لهن بممارسة جميع الأعمال التجارية، وحسب رغبة كل منهن، كما شاركت في تسيير أمور الدولة والجيش مشيرة ومشرفة ومقاتلة[2]، كما منح للأولاد الذين يولدون من أصل عبودي نفس الحقوق التي يتمتع بها الأولاد الشرعيون، باستثناء الشرف الأول الذي يكون لأبناء الزوجة الأولى، فضلاً عن امتلاكهم حق وراثة كل شيء يتركه الأب[3].

إن من أهم إيجابيات الياسا أنها نجحت في توحيد المغول، ونظمت علاقة الحكام بشعوبهم من ناحية، ونظمت علاقة المحكومين فيما بينهم من ناحية أخرى، فضلاً عن تنظيمها لعلاقة الفرد بالمجتمع [4]، وظلت الياسا محتفظة بمكانتها في عهد جنكيزخان وأبنائه وأحفاده، ووصلت الى حد التقديس اذ لا يجوز التبديل فيها، وكانوا يرجعون الى نصوصها، واذ خالف احد خاناتهم ما جاء فيها جاز لهم خلعه، ان هذا الدستور دليلٌ على عبقرية جنكيزخان وإبداعه إذ لا يقل عن أي من قادة الثورات التي أحدثت تغيرات في التاريخ العالمي، وأجبروا العالم على الخضوع لهم [5].

*** *** ***

1- عمران، المغول، ص 37 ؛ فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 34.

2 - الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص 12.

3 - عمران، المغول، ص 37 ؛ فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 34.

4 - حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص 212 ؛

A.K. S. Lambton , Iran In The Encyclopedia of Islam (No. P. , London : 1965): Vol. I / P.31.

5 - الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص 33.

سادساً : موت جنكيزخان

لكل بداية نهاية ولكل إنسان حياة، ونهاية الحياة هرم وموت، عندما أدرك جنكيزخان ذلك المحارب الصنديد والزعيم الذي لا ينافسه زعيم، أنه هرم، لا سيما بعد أن بدأت علامات الكبر تظهر على وجهه، وعرف النحول طريقه إلى ذلك الجسد القوي، الذي أخذت قواه بالضعف، وأن منيته قد دنت دعا أعضاء القوريلتاي او ما يعرف بالمجلس الأعلى في ربيع سنة620هـ/1223م إلى الحضور على ضفاف نهر سيحون[1] لعقد اجتماع، لا سيما بعد أن دمر الدولة الخوارزمية، واستولى على أراضيها، وسفك دماء السكان ونهب أموالهم [2]، فحضر أبناؤه وأمراؤه وجميع زعماء القبائل التي تحالفت معه أو خضعت له بالقوة [3]، وابتدأ الاجتماع بفقرة تقديم الهدايا، كما جرت العادة في كل قوريلتاي يعقد، إلا أن هذا الاجتماع اختلف عن غيره من حيث الضخامة، ومما يدل على ذلك حجم السرداق[4] الذي عقد تحت سقفه الاجتماع، فبلغت سعته ألف رجل [5] .

افتتح جنكيزخان القوريلتاي مرحباً بالحضور، واخذ يقص عليهم أخبار

---

1 - نهر سيحون : يجري في بلاد الترك في المنطقة المعروفة ببلاد ما وراء النهر، بالقرب من مدينة خجندة في تركستان، والى الشرق من سمرقند، يتجمد في فصل الشتاء من شدة البرد، ويصب في بحيرة خوارزم. ينظر : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (دار صادر، بيروت : 1977م) : ج1/ص218، 351 ؛ ج3/ص 294.

2 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص79.

3 - عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان»، ص 35.

4 - سرادق : مفردها سرداق وهي نوع من أنواع المساكن التي يعيش فيها المغول، وهي عبارة خيام تصنع من الصوف أو الشعر والوبر، وتختلف في شكلها وطريقة إقامتها من منطقة إلى أخرى، ففي الوقت الذي كانت بيوت الترك مدببة من الأعلى، اتصفت بيوت المغول بالشكل النصف دائري لكي تقاوم شدة الرياح والأعاصير، مثبتة على هياكل من الخشب المربوطة مع بعضها بواسطة جلود الحيوانات. ينظر : فهمي، تاريخ دولة المغول في إيران، ص 22 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص79.

5 - عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان»، ص 35.

انتصاراته التي أحرزها في أثناء حروبه مع مختلف الأمم، وناصحاً الجميع بالالتزام بالقوانين التي وضعت في الياسا، ومؤكداً لهم على أن التزامه بالياسا كان السبب الرئيس في تحقيق كل منجزاته من تأسيس إمبراطوريته وتقويتها، وتنظيم شؤونها الداخلية، ثم توجه إلى أبنائه محذراً إياهم من الاختلاف فيما بينهم من أجل السلطة او من اجل اي مطامع مادية، وبعد ذلك انتهى عقد الاجتماع [1].

عاد المجتمعون كل إلى ولايته، بينما قضى جنكيزخان فصل الصيف بالقرب من نهر سيحون، وبمعية قائده (سابوتاي)، ولم يغادر المكان حتى سنة 622هـ/1125م، حيث عاد إلى منغوليا [2]، وقبل مغادرة المكان أمر قائده (سابوتاي) بالتوجه إلى شمال الصين للقضاء على خصومه الذين تمردوا على حكمه في تلك المنطقة [3]، بينما توجه هو شخصياً على رأس جيش إلى التبت للقضاء على ألد خصومه فيها، وهي مملكة (هسيا) التي تقع غرب النهر الأصفر، إلا أن الأخير اعد العدة اللازمة للتصدي لجنكيزخان بمجرد معرفته بأخبار تلك الحملة، إلا أن تلك الاستعدادات لم تجدِ نفعاً أمام الجيوش المغولية التي يقودها الخان،فألحقت بمملكة (هسيا) هزيمة منكرة خسر فيها عدداً كبيراً من رجاله، واضطر على أثرها إعلان خضوعه لجنكيزخان الذي وافق لكنه بقي يضمر له الشر، وبعد أن حقق هذا النصر على مملكة (هسيا) توجه إلى جنوب الصين [4] وبينما هو في الطريق وصله خبر وفاة ولده (جوشي) أو (جوجي) في الأراضي الروسية في سنة 624هـ/1227م [5]، فحزن عليه كثيراً، إلا انه كان يتظاهر بالقوة وعدم الاهتمام،

---

1 ـ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 137 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان» ، ص236.

2 ـ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص162 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 413-411؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص137.

3 ـ *Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P.31.*

4 ـ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص 320 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج/ ص137

5 ـ *T.Golubeva,Early Russia theussr historical shetchers (Moscow:1976),P.14.*

استمر في مواصلة حملته، وفي أثناء سيره أرسل إلى أولاده [1]، وعندما وصلوا إلى معسكر والدهم توجهوا للقائه فوجدوه، راقداً في فراشه متدثراً بفرو بالقرب من موقد النار، وعليه علامات التعب والضعف، وكان يدرك قرب منيته [2]، فخاطبهم قائلاً : ((... وصيتي إليكم أنكم تشتغلون بعدي بدفع الأعداء ورفع الأصدقاء وتكونوا جميعاً رأياً واحداً حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال وتتمتعوا بالمملكة)) [3] كما أمر بحضور كبار أمرائه، وتكلم معهم في أمور الملك بعد وفاته، كما أكد على الانتقام من ملك (هسيا)، وبينما هو يتكلم معهم، تلفظ أنفاسه الأخيرة[4]، وزهقت روحه في النصف الأول من شهر رمضان سنة624هـ/ خريف 1227م[5]، بعد معانات مع مرض أصابه أثناء مطاردته للسلطان الخوارزمي جلال الدين، وكان سبباً في وفاته [6]عن عمر يناهز الاثنين والسبعين،مارس خلالها شتى أنواع القتل وأعمال التخريب والتدمير والسلب والنهب[7]تاركاً عرش إمبراطورية المغول لولده وولي عهده اوكتاي(639-625هـ/ 1241-1227م)[8].

لقد كان الجميع مجتمعين أمام خيمة الخان المتوفى، وحضر ملك (هسيا) للقائه،وهو يظن انه حي، فأجهز عليه حرس جنكيزخان، وقتلوه مع من حضر برفقه من الجنود بناءاً على الوصية التي تركها جنكيزخان [9].

---

1 - فامبري، تاريخ بخارى، ص 179 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيز خان «، ص 237.

2 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 197 ؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين :ج1/ ص 128.

3 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : ج1 / ص385.

4 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 113 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان «، ص237.

5 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج 1/ ص198؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص117 ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر : كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص327 - 333.

6 - إقبال، تاريخ المغول، ص103؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 81 .

7 - فامبري، تاريخ بخارى، ص 179؛ السرجاني، قصة التتار من البداية إلى عين جالوت (سلسلة قصة الإسلام، د.م. :2006م)، ص237.

8 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ص 198 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى : ج4/ ص312 ؛ عمران، المغول وأوربا، ص 41.

9 - عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان «، ص237.

لقد كان موت جنكيزخان صدمة كبيرة للشعب المغولي، الذي لم يصدق الخبر في بداية الأمر، لما له من مكانة كبيرة في نفوسهم، وهو الذي حقق لهم الكثير من المنجزات، وأسس لهم إمبراطورية سادت معظم أرجاء المعمورة آنذاك، وكان الجميع يهابها، وقرروا عدم دفنه إلا بعد عرض جثمانه على أبناء شعبه، ثم يحملونه بعدها إلى مقره الأخير بالقرب من قبر زوجته الأولى (بورتاي)[1].

اعتاد المغول على القيام بجملة إجراءات عند وفاة الخان الأعظم، كان في مقدمتها غرس سهمٍ في الأرض أمام خيمة الخان المتوفى كدلالة على الحدث، ويدفن خاناتهم على قمة جبل شاهق يسمى جبل (التاي) مهما كانت علاقتهم به سيئة أم حسنة، حتى وان كانت المسافة عنه تبعد مائة يوم سيراً على الأقدام، وكجزء من معتقدهم الديني، أن كل من يقتل أو يموت أثناء حمل جثمان الخان الراحل إلى مثواه الأخير يكون خادماً للخان المتوفى في حياة ما بعد الموت، ويتساوى في تلك المنزلة الإنسان والحيوان، ومن عاداتهم اشتراك جميع أفراد قبيلته في حفر القبر، الذي يكون تحت شجرة سنديان كبيرة، ويقوم جميع أفراد القبيلة بإشعال البخور الذي يغطي أرجاء تلك الغابة ويخفي القبر [2]، وبتلك الخاتمة يكون الستار قد أسدل على حياة رجل كان له دور كبير في مجريات الأحداث في حقبة العصور الوسطى، لينتقل حكم الإمبراطورية إلى ولده حسبما هو مدون في دستورهم الياسا في وراثة العرش [3]، إلا أن هذه القاعدة لم تحدد الابن الأكبر أو أي منهم، فكان انتخاب احد أبناء الخان المتوفى حتى وان كان أصغرهم[4].

*** *** ***

---

1 - المرجع نفسه، ص238.

2 - كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص 330 - 333 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان »، ص238.

3 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : مفيد قمحية وآخرون (دار الكتب العلمية، بيروت : 2004 م): ج 27/ص271.

4 -*Onon , The secret history of the Mongols , P.15.*

الفصل الثاني

التوسع المغولي في آسيا في عهد جنكيزخان وخلفائه

لقد بدء التوسع المغولي وخاصة في عهد جنكيزخان الذي استطاع أن يوحد القبائل،ويقضي على المناوئين له، على الرغم من المشاكل التي واجهته، إلا أنه استطاع التخلص منها، وهذا ما أدى إلى تمكنه من ضم المغول [1].

بعد أن أصبح جنكيزخان خاناً أعظم، وتولى زمام السلطة بيده، بدأ يسعى من أجل تحقيق طموحاته في التوسع والسيطرة، فوجه قواته أولاً نحو الجنوب على حساب البلاد الصينية حتى تمكن من السيطرة عليها بشكل كامل، ومن ثم التوجه غرباً لإخضاع قبائل الخطا[2]، وبعد عقد مجلس (القوريلتاي) بحدود سنة 603هـ/1206م سيطر جنكيزخان على معظم الشطر الغربي من منغوليا[3]. كما اجتاح أراضي جيرانه وصولاً إلى شمال السور العظيم[4]، من ثمة امتدت لتشمل جميع الأراضي الواقعة جنوب السور العظيم سنة 608هـ/1211م[5] فسقطت العاصمة الصينية بكين بيد جنكيزخان سنة 612هـ/1215م[6]، واتخذ المغول منها حاضرة لهذه المستعمرة المغولية الجديدة

---

1 ـ العريني، المغول، ص54 - 55 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص14 - 15؛ سلطان، التاريخ الإسلامي : ج2/ ص243.

2 ـ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص110؛ حسن الأمين، الغزو المغولي، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت: 1976م)، ص29 - 30.

3 ـ اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص191؛ العريني، المغول، ص54؛ سلطان، تاريخ الإسلامي: ج2/ص243.

4 ـ هوخام، تاريخ الصين، ص221.

5 ـ للمزيد من التفاصيل عن حروب جنكيز خان في الصين ينظر : العريني، المغول، ص64-65.

6 ـ محمد بن أحمد النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق : حافظ أحمد حمدي (مطبعة الاعتماد، القاهرة : 1953م)، ص 83-84 ؛ هوخام، تاريخ الصين، ص221؛
Ctifford Edmund Bosworth , The Islamic Dynasties (No. P. , Edinburghat 1967), P.141 ; Spuler , Die Golden Horde, P. 616.

مدة نصف قرن تقريبا[1]، وقد أفاد المغول من احتلال مدينة بكين فائدة عظيمة، إذ سيطروا على مصانع البارود وتعرفوا على كيفية استخدامه في الحروب، كما كان لاحتلال بكين من قبل المغول صدى كبير في جميع أنحاء العالم الإسلامي لما تمتلكه من مكانة وأهمية كعاصمة لإمبراطورية الصين، فعظم شأن المغول في نفوس المسلمين، وازاد الرعب في قلوبهم، لا سيما في المناطق المحاذية للصين، التي كانت تعرف ببلاد القرة خطائيين آنذاك (تركستان حالياً)[2]، أن النجاح المغولي في السيطرة على بلاد الصين، كان مؤشرا واضحاً، ونقطة انطلاق لانتصارات متتالية للمغول، فبعد سنتين فقط من انتهاء الحملة على الصين، وجه جنكيزخان اهتمامه للسيطرة على مناطق نفوذ الدولة الخوارزمية، التي كان يحكمها السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه (596هـ 617هـ/1219-1199م) ووصلت إلى قمة مجدها آنذاك[3].

إن تحقيق هذا الهدف كان يحتم على جنكيزخان أن يتفرغ للقضاء على الدولة التي أقامها عدوه القديم كوشلوك زعيم قبيلة النايمان المغولية الذي فر من مواجهته[4]، ولجأ إلى أراضي الدولة القرة الخطائية في جهة الغرب [5]، وسمح له زعيمها أن يجمع أتباعه لمواجهة جنكيزخان والانتقام منه، إلا أنه اخذ بتدبير المؤامرات للاستيلاء على السلطة في بلاد القرة خطائية، فضلا عن التحالف مع الخوارزميين لتحقيق ذلك، فتمكن

---

1 ـ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص113؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص29.

2 ـ الصياد، المغول في التاريخ : ج1 / ص53 ؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص113. للمزيد من التفاصيل عن الخلفية التاريخية والموقع الجغرافي لدولة القرة خطائيين التي نشأت في بلاد الشرق. ينظر: بارتولد،تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله من الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، (د.م.، الكويت: 1981م)، ص694.

3 ـ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 / ص117 ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر : حمدي، الدولة الخوارزمية؛ عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية (دار الكتاب الجامعي، القاهرة : 1987م) ؛ العبود، الدولة الخوارزمية ؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص30.

4 ـ كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 199 - 200 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 39؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان »، ص139 - 140.

5 ـ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهـان كشاي « : مج1/ ص94 - 95 ؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص77.

من الاستيلاء على السلطة،مقيماً بذلك دولة ذات كيان سياسي يتراسها هو شخصياً [1].

أولا : المغول والدولة القرة خطائية

بعد أن استولى كوشلوك خان على السلطة وأقام دولته، بدأ في إخضاع المناطق التي تمردت على حكمه، واعترف بطاعته جميع سكان بلاده من المسلمين على الرغم من الاختلاف العقائدي بين الطرفين، إذ إنه كان نصرانياً ثم ارتد عنها، وأصبح بوذياً بإلحاح من زوجته [2]، إلا انه لم يلبث أن أخذ بالإساءة إلى رعاياه، لا سيما إجبارهم على ترك دياناتهم، وإتباع البوذية، فضلاً عن إجراءات أخرى كإجبارهم على ارتداء زي القرة الخطائيين وغيرها [3]، مما أدى إلى إضعاف دولته، وتزامن ذلك مع بدء تحرك جنكيزخان للقضاء عليه، اذ إنه لم ينس العداء القديم بينهما [4].

أرسل جنكيزخان جيشاً بقيادة ابرز أمرائه وهو(جبة نويان) إلى منطقة كاشغر وختن الواقعتين في شرق تركستان الحالية، مستقلاً سوء العلاقة بين السكان وكوشلوك خان، نتيجة الاضطهاد الذي مارسه جنوده بحقهم كأعمال السلب والنهب للمحاصيل الزراعية والأقوات [5] فتمكن نويان من دحر كشلوك خان، فاستولى على ملكه وأطلق الحرية الدينية للرعايا، مما افرح المسلمين في تلك البلاد، فاستقبلوا المغول كمحررين

---

1 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10 /ص339 - 340 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج22/ ص226 ؛حمدي، الدولة الخوارزمية ، ص87 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران،ص 43.

2 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ ص95 96- ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : مج3/ق2/ص419 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان »، ص142.

3 - كيتشانوف ؛ حياة تيموتشجين، ص 275 ؛ صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص 126؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص164.

4 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : مج1/ ص95 - 96 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان» ، ص142.

5 - عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، ص 105؛
Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P.33.

لهم من الظلم والاستبداد الذي عانوا منه في عهد كوشلوك، الذي فر أمام القوات المغولية، إلا انه وقع بأيدي مجموعة من الصيادين، فسلموه للجيش المغولي، فتم قتله، وأرسل رأسه إلى جنكيزخان في قرة قورم، ونكل بالبقية المتبقية من أتباعه من النايمان في سنة 615هـ/1218م[1]. وبعد الانتصارات التي حققتها القوات المغولية على القرة خطائيين، تمت لجنكيزخان السيطرة على القبائل التركية التي كانت خاضعة لهم، فضلاً عن جميع المناطق التي أخضعها كوشلوك خان لسيطرته، مما أدى بالتالي إلى تآخم حدودي بين المغول والدولة الخوارزمية، وبذلك ازداد الخطر المغولي على أراضي الدولة العربية الإسلامية، وأصبحت المواجهة حتمية [2].

ثانياً : المغول والدولة الخوارزمية

سعى جنكيزخان منذ البداية إلى إقامة علاقات ودية مع الدولة الخوارزمية [3]، إلا أن السياسية العدائية التي انتهجها تجاههم السلطان علاء الدين خوارزم شاه، أغضبت جنكيزخان،وجعلته يترك سياسة المهادنة والسلم، ويعد العدة لغزو الدولة الخوارزمية [4] التي كانت تضم بلاد ما وراء النهر وأكثر أقاليم الأفغان وبلاد فارس[5]، لا سيما بعد أن أدرك تماماً أن الضعف قد بدأ ينخر في جسم الدولة الخوارزمية، مقارنة بدولته القوية

---

1 - حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص80 ؛ عبد الحكيم، جنكيزخان امبراطور الشر وقاهر العالم، ص 105.

2 - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص46 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1 / ص 57 ؛ عكاشة، إعصار من الشرق « جنكيزخان» ، ص 143.

3 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص330؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط وآخر(دار بن كثير، دمشق:1406هـ):ج1/ص61.

4 - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص85؛ فهمي، تاريخ الدولة، ص48؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ق2/ص420.

5 - جعفر حسين خصباك، العراق في عهد المغول الأيلخانيين، (مطبعة العاني ، بغداد: 1968م)، ص1.

والحديثة النشأة، فكان الاصطدام المغولي الخوارزمي سنة 616هـ/1219م بدايةً للغزو المغولي للعالم الإسلامي[1].

لم يتوقف الغزو المغولي عند بلاد ما وراء النهر أو خرسان بل استمر لتحطيم المشرق الإسلامي كله بما فيه العراق مركز الخلافة العباسية وعاصمته بغداد[2]. لذا تعد سنة 616هـ/ 1219م سنة شؤم بالنسبة للعالم الإسلامي بشكل عام والدولة الخوارزمية بشكل خاص ؛ لابتداء الغزو المغولي فيها [3] وما ارتكبه هؤلاء المغول من مجازر وحشية، ومختلف أعمال التخريب من قتل وإحراق وتدمير لكل مظاهر الحضارة في المجتمع الإسلامي آنذاك[4].

بلغت الدولة الخوارزمية التي تنتسب إلى منطقة خوارزم أقصى اتساعها في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارم شاه [5]، إذ أصبحت مناطق نفوذها محاذية لبلاد الصين لا سيما بعد انهيار الدولة القرة خطائية [6]، التي كانت بمثابة السد المنيع الذي يفصل بين المغول والخوارزميين [7]، وبدأت الأوضاع السيئة تنذر بالخطر، علما بأن السلطان علاء الدين محمد خوارم شاه لم يكن بالحاكم المتهاون أمام جيرانه المغول،

---

1 - ابن الأثير،، الكامل في التاريخ: ج10 / ص401 - 402؛ الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي المعروف بابي الفدا، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم (دار المعارف، القاهرة : 1999م) :ج3/ص153 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت: 1985م):ج3/ص168؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين : ج1/ ص107؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص191.

2 - فوزي، الخلافة العباسية، ص119؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص191.

3 - رشاد، الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي: ع 2/ ص8.

4 - فوزي، الخلافة العباسية، ص ؛119 ؛ عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، ص 143.

5 - حمدي، الشرق الإسلامي، ص140؛ القصاب، مغول القفجاق، ص23.

6 - الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج3/ص141؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص67-63؛ للمزيد من هذه الدولة القرة خطائية. ينظر: فهمي، تاريخ الدولة، ص40 - 41.

7 - سلطان، تاريخ الإسلامي:ج2/ص25؛القصاب، مغول القفجاق، ص23.

على الرغم من إتباعه سياسة المهادنة معهم، إلا انه لم يلبث أن انقلب عليهم [1]، فمنع التجار المغول من دخول بلاده لمنع وصول أخبار بلاده إلى جنكيزخان [2]، الذي أرسل إليه رسالة ذمه فيها،واحتوت على كلمات من نوع السخرية لا تليق بحاكم ذي منزلة كبيرة كخوارزم شاه، كما أشار بكلامه إلى الخضوع والوعيد والتهديد[3].

كانت الدولة الخوارزمية تشكل عائقا كبيراً أمام جنكيزخان وجنوده لتحقيق طموحاته التوسعية، فوجد في حادثة أترار 615هـ/1218م[4] التي قتل فيها التجار المغول الذين أرسلهم للتجارة مع بلاد خوارزم[5] ضمن معاهدة مسبقة[6]، وبأمر من السلطان علاء الدين خوارزم شاه، خير ذريعة ومبرر للانقضاض على الدولة الخوارزمية[7].

---

1 ـ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص85؛ فهمي، تاريخ الدولة، ص48.

2 ـ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص329، 332.

3 ـ عن محتوى الرسالة. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص85؛ الحنبلي، شذرات الذهب:ج5/ص61 ؛ فهمي، تاريخ الدولة، ص50؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص-99 100.

4 ـ أترار: تقع على الضفة الشرقية لنهر سيحون في بلاد ما وراء النهر، كانت تسمى قديماً فاراب، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج1/ص218 ؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2 (مؤسسة الرسالة، بيروت : 1985م)، ص285 ؛ *Aigle , Iran under Mongol domination, P. 66 ; Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 20.*

5 ـ السبكي، طبقات الشافعية : ج1/ص332 ؛ الغساني، العسجد : ج 2/ ص370 ؛ الأمين، الإسماعيليون والمغول، ص82.

6 ـ إقبال، تاريخ المغول، ص63؛ فهمي، تاريخ الدولة،ص48؛الصياد،المغول في التاريخ:ج1/ص98 - 101.

7 ـ عندما أرسل جنكيزخان مجموعة من التجار إلى أترار، كان حاكما عليها آنذاك أينال خان خال السلطان إذ كان نائبه فيها، ولما رأى ما يحمله هؤلاء التجار من بضائع وأموال طمع فيها، وأراد السيطرة عليها، فأرسل إلى السلطان رسالة يخبره فيها، بأن هؤلاء التجار الذين أرسلهم جنكيزخان ما هم إلا جواسيس أرسلهم للإطلاع على أمور البلاد، فرد عليه السلطان، بأخذ الاحتياط في ذلك، ولكن بعد مدة قتلهم إينال خان، وصادر ما عندهم من أموال وبضائع. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص85 - 86؛ القصاب، مغول القفجاق؛ وللمزيد من التفاصيل عن هذه الحادثة. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص401-402 الجامع ؛ النويري، نهاية الأرب:=

لم يكن من أرسلهم جنكيزخان إلى أترار تجاراً بل كانوا جواسيساً أرسلهم للاطلاع على إمكانية الدولة الخوارزمية، ولتقدير قوتها وتحصيناتها التي بلغتها مبلغاً كبيراً نتيجة لاتساعها، لا سيما بعد بسط نفوذها على بلاد القرة خطائية، فجاءت هذه الحادثة نتيجة لإطماعه، وليست حجة حقيقة[1]، غضب جنكيزخان، وأرسل إلى علاء الدين خوارزم شاه طالباً منه تسليم أينال، إلا انه رفض، وبعد عدة مراسلات دارت بينهما حول تسليم أينال[2]، ليعاقب على ما ارتكبه[3].

أصبح وقوع الغزو المغولي للدولة الخوارزمية أمراً لا محالة منه، فكان لحادثة التجار في أترار دورها الكبير في إشعال فتيل الحرب، وفجر طموح جنكيزخان، وجعله يسرع في تجهيز جيشه للقيام بحملة عسكرية، فزحف بجيوشه الجرارة[4]، يساعده في قيادتها أبناؤه الأربعة، فضلاً عن بعض حلفائه وأعوانه من زعماء القبائل التي كانت خاضعة له آنذاك، وبقدر ما كان جنكيزخان في زحفه متحفزاً قوي العزيمة شديد الرغبة في الانتقام، كان السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه متردداً، لا يدرك ما يفعل بعد

= ج27/ص210 - 211؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج 13/ص72 - 73؛ الغساني، العسجد : ج1/ ص271-270؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين : ج1/ص210 - 211؛ العريني، المغول، ص119-118؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص26 - 27.

1 - القصاب، مغول القفجاق، ص23 - 24؛

Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 20.

2 - حاكم مدينة أترار خال السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه. ينظر: القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص27.

3 - عن هذه المراسلات. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص403 - 404؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص87 - 88 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ ص61 ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق : سعيد محمود عقيل، (دار الجيل للنشر والطباعة، بيروت: 2003م)، ص431؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص104؛ العريني، المغول، ص118 - 119؛ سلطان، تاريخ الإسلامي : ج2/ص 260.

4 -*Aigle , Iran under Mongol domination, P. 66; Kahn, the secret history of the Mongols ,P.173.*

مذبحة التجار[1] ، فندم على قتل التجار ، وأخذ يفكر في خطرهم، فاستدعى الفقيه الشهاب الحيوفي، واستشاره في الأمر الذي وقع والخطر الذي يهددهم، فأشار عليه بخطة قد تنقذه من المأزق الذي وضع نفسه ورعيته فيه، فلما استشار أمراءه أشاروا عليه براي آخر ، فبينما هو في الاستشارة، قدم عليهم رسول جنكيزخان يتهددهم فرد عليه الجواب بالاستعداد للحرب[2]، مما زاد الموقف تعقيدا وأدى إلى الارتباك والانهيار بسبب سوء التدبير في رفع الخطر ، فلم يعد خوارزم شاه قادرا على وضع الخطط اللازمة للتصدي لزحف جنكيزخان، ودفع خطره ومما زاد الطين بلة وسهل على المغول النجاح في مهمتهم، تردد خوارزم شاه وعدم جرأته على التصدي لهم والدخول معهم في معركة واحدة بل قسم قواته ووزعها على المدن لحمايتها، وانسحب هارباً إلى داخل البلاد، وهو يحمل إليها الهلع والتخاذل المشينين، معلناً عزمه على جمع قواته لإنجاد تلك المدن، ودامت حملة جنكيزخان خمس سنوات تقريبا، إذ بدأت في خريف سنة 616هـ/1219م[3] أجتاح خلالها المغول معظم مدن الدولة الخوارزمية[4] مرتكبين كل أنوع التخريب من قتل وتدمير وإراقة دماء[5]، ولم يكن أمام السلطان علاء الدين محمد خيار سوى

---

1 ـ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص30؛ القصاب، مغول القفجاق، ص24.

2 ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص402 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج1/ص 333؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص30.

3 ـ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج1/ص332 - 334 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص31-30، الأمين، الإسماعيليون والمغول، ص83.

4 ـ للتفاصيل عن غزو المغول لهذه المدن. ينظر: النويري، نهاية الأرب:ج27/ص213 - 214؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج 2/ص138 - 139؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج 13/ص72 - 73؛ المقريزي، السلوك: ج1/ص323 - 324 ؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين : ج1/ ص112 - 113؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص119 - 126؛ فهمي، تاريخ الدولة، ص57 - 68؛ الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص129-111؛ الأمين، الغزو المغولي، ص54 - 55؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص354.

5 ـ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 / ص 117؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول ؛ صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ؛ العبود، الدولة الخوارزمية.

التقهقر أمامهم، ولجأ في نهاية المطاف إلى جزيرة (أبسكون)[1] في بحر قزوين طالبا الأمان[2]، ولما شعر علاء الدين خوارزم شاه أن المرض بدأ يشتد عليه يوما بعد يوم، وأن أمه تركان خاتون قد وقعت أسيرة في أيدي جنكيزخان استدعى أبناءه جلال الدين وازلاغ شاه وأواق شاه وأوكل أمور دولته إلى ابنه جلال الدين، بعد أن أعلن انه هو الوحيد الذي يستطيع حماية الدولة الخوارزمية، وبعد أن قضى علاء الدين خوارزم شاه في هذه الجزيرة شهراً، وافته المنية ودفن فيها سنة 617هـ/1221م[3].

بعد أن تولى ابنه جلال الدين خوارزم شاه عرش الدولة الخوارزمية، لم يكن وضعه مختلفاً كثيراً عن وضع أبيه، على الرغم من الشجاعة والصبر الذين تحلى بهما في أول الأمر،لا سيما بعد أن تمكن من إحراز بعض الانتصارات على الجيوش المغولية، وقتل تولوي بن جنكيزخان [4]، إلا أن الانقسام الذي دب بين قواته من ناحية، وزحف جنكيزخان على رأس جيوشه شخصياً من ناحية أخرى، جعله يعجز عن مواصلة القتال، فعبر نهر السند، إلا انه فقد معظم جيشه في المعركة ما بين قتيل على يد المغول وغريق في النهر[5].

---

1 - أشار ياقوت الحموي إلى أن بحر قزوين كان يسمى في بعض الأحيان أبسكون، إلا انه لم يذكر انه سمي نسبة إلى جزيرة أبسكون، أم أن الجزيرة سميت نسبة إليه ينظر: معجم البلدان : ج1/ص 342.

2 - للمزيد من التفاصيل ينظر:أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر:ج3/ص158 - 159، 184؛محمد، دولة التتار، ص 76 - 77؛

Buell,Historical Dictionary of the Mongol World Empire,P35.

3 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص407 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج22 / ص 327؛السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص339،336 ؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص129 - 130؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص73 - 74.

4 - أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ص159 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق:عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، بيروت :1987م) :ج45/ص187.

5 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص299 - 300؛ للمزيد من التفاصيل عن الحروب المغولية - الخوارزمية ينظر: عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، ص173 - 235.

وبعد أن اطمأن جنكيزخان إلى أنه ليس في البلاد ممن يستطيع الوقوف بوجه جيوشه رجع إلى بلاده بعد أن أباد من الخوارزميين ما أباده، وهرب من هرب منهم، وكانت وفاة جنكيزخان في سنة 624هـ/1227م، وانشغال المغول باختيارهم، خاناً جديداً يخلفه، فرصة ملائمة ساعدت على خروج جلال الدين خوارزم شاه من بلاد الهند التي التجأ اليها من المغول[1]، فعمل على إعادة نشر سلطته على بلاده وتنظيم أمورها من جديد، الا انه لم يتعظ مما حل بوالده، فلو انه سعى إلى جمع كلمة أمراء المسلمين ولم يعاديهم، وتعاون مع الخلافة لكان من المحتمل أن تستقر الأوضاع [2]، لا سيما أن المغول كانوا قد فقدوا روح الحماس والاندفاع التي كانوا عليها في بادئ الأمر، إذ إنهم انقسموا بعد وفاة جنكيزخان، الأمر الذي اضعف من عزيمتهم، وقلل من خطر هجماتهم، ولكن جلال الدين لم يفعل من ذلك شيئا، ولم يلق من بين الأمراء صديقاً يستعين به عندما فاجأه المغول فهرب أمامهم[3]، إلا انه قتل على أيدي أحد الأكراد سنة 628هـ/1231م مدعيا أن الخوارزميين، كانوا قد قتلوا أخاه، فقتله بثأر أخيه لكونه أبرز الشخصيات في الدولة الخوارزمية وقائدها [4]، وبمقتل جلال الدين زالت الدولة الخوارزمية، وانهار ذلك السور الذي كان بمثابة حاجزٍ بين المغول والخلافة العباسية،

---

1 ـ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ص159 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج45/ص307 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج 2/ص 152،143،139.

2 ـ أبو الفدا، المصدر نفسه : ج3/ص181 ؛السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ ص341.

3 ـ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص45 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص300 - 301؛ فهمي، تاريخ الدولة، ص102؛ الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص128؛ العريني، المغول، ص133 - 134؛ سلطان، التاريخ الإسلامي : ج2/ص266.

4 ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص496 ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ ص185؛ الغساني، العسجد : ج2/ص447 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص300 - 301؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص173؛ سلطان، التاريخ الإسلامي: ج2/ص266.

فاصبح الطريق أمامهم مفتوحاً للوصول إلى بغداد[1]، إلا أن عليهم قبل ذلك القضاء على الإسماعيلية[2] في بلاد فارس، ليصبح الطريق أكثر أمناً وسهولةً إلى بغداد.

ثالثاً : قضاء المغول على الإسماعيلية في بلاد فارس

بعد السيطرة المغولية على بلاد خوارزم، أصبحت منطقة أفغانستان وأذربيجان وجزء كبير من بلاد فارس تحت حكم المغول باستثناء الشريط الغربي منها الذي بقي بيد طائفة الإسماعيلية كولاية طالقان وروذبار وعاصمتهم قلعة آلموت[3] التي تبعد عن بحر قزوين ما يقرب ستة فراسخ [4]، واشتهرت هذه الطائفة بخطورتها [5]، وكانت على درجة كبيرة من المهارة في الحرب وأساليب القتال، وامتلاكهم للعديد من القلاع والحصون،

---

1 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص301؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص191؛ *Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P.43.*

2 - الإسماعيلية : يعد الحسن الصباح مؤسس طائفة الإسماعيلية التي نشأت في إيران، واخذ بالاستيلاء على القلاع والحصون في قوهستان، وأهمها قلعة ألموت في سنة 483هـ/1090م التي اتخذوها عاصمةً لهم، ولم يكتف بذلك بل فرض سيطرته على المنطقة الواقعة جنب بحر قزوين بأكملها، وسموا بعدة تسميات منها الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، والباطنية لأنهم يبطنون دعوتهم ويدعون لها سراً ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ط5(دار القلم، بيروت : 1984م) : ج4/ص125؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص51 ؛ صبرة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (دار الكتاب الجامعي، القاهرة : 1985م)، ص 107 - 261.

3 - قلعة آلموت : قلعة حصينة تقع في بلاد فارس على رأس جبل شاهق لا يبلغه النشاب، وهي من قلاع الإسماعيلية ومركزها وعاصمة نفوذها، ومن الصعوبة الاستيلاء عليها بسبب حصانتها، ويعني اسمها بلغة الديلم عش النسر أو ملجأ العقاب. ينظر : زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد(دار صادر، بيروت :د.ت)، ص301 - 302 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص316.

4 - الفرسخ = 3 أميال، والميل = 1,650 متر ينظر : فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة : كامل العسلي (مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمان : 1970م)، ص95، وبذلك تبعد 6 فرسخ × 3 ميل = 18 ميلاً.

5 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص111.

فضلاً عن الطبيعة الجبلية الوعرة لمناطق نفوذهم، مما جعل المغول ينظرون إليهم بحذر وعدم اطمئنان، لا سيما وهم من لا يرغب في بقاء قوة تشكل خطورة على مناطق نفوذهم [6].

عندما قرر المغول التوجه لغزو العراق والقضاء على الخلافة العباسية في عهد منكوخان (648 - 655هـ/1250 - 1257م)، وبقيادة هولاكو الذي أدرك أن طائفة الإسماعيلية التي تتمركز في المنطقة الجبلية في غرب بلاد فارس وشرق العراق، ستشكل خنجراً في خاصرة القوات المغولية المتوجهة للعراق، بسبب قوتها القتالية من ناحية، وحصونها المنيعة من ناحية أخرى [7]، فضلاً عن عدم التزامها بالعهود ولا أمان لها ، وعلى الرغم من علم المغول وتأكدهم من الخلاف الشديد بين الإسماعيلية والخلافة العباسية، إلا أنهم لم يأمنوا شرهم، إذ ما تحركت الجيوش المغولية لغزو العراق، وتبقى الإسماعيلية في خطوطهم الخلفية، فضلاً عن الحقد المغولي القديم على الإسماعيلية، والسعي للثأر منهم، على قتلهم للأمير لابن جغتاي بن جنكيزخان، في أثناء حملة والده على بلاد فارس، فكان اهتمام المغول بأخذ هذا الثأر يرجع إلى كون المقتول ابن الزعيم الأكبر لهم، كما أن أمراء المغول من أبناء الأسرة الحاكمة عدّوا الثأر من الإسماعيلية مسألة شخصية بحتة، فكانوا يصطحبون ابنة (جغتاي) في أثناء حملاتهم، للرفع من روحهم القتالية من ناحية وللقيام بأخذ ثأر أبيها شخصيا [8].

إن جميع ما تم ذكره آنفاً كان من أهم الأسباب التي دفعت المغول للتخلص من

---

6 - السرجان، قصة التتار، ص62.

7 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص232 ؛ 235 ؛الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص84

Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400. p.56 ; No. author, Iraq under Mongol and Turkoman rule 1258–1534 , P. 31.

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع WWW.google.com

8 - عبد الحكيم، جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم، ص 206 ؛السرجاني، قصة التتار،ص62، 82.

الإسماعيلية والقضاء عليهم بشكل كامل، فتحركت القوات المغولية بناءً على الأوامر التي صدرت من العاصمة المغولية لدك حصونهم، والسيطرة على معاقلهم[1]، ابتداءً بقلعة (الموت) الواقعة في غرب بلاد فارس، والتي تعد من أمنع معاقلهم، لذلك اتخذ منكوخان جملة إجراءات لضمان نجاح حملته البالغ تعدادها مائة وعشرون ألف جندي من أفضل مقاتلي المغول، كما أرسل إلى بلاد القرة خطائيين مستدعياً أمهر مستخدمي آلات الحصار كالمنجنيقات وقاذفات النفط والسهام، فضلاً عن انضمام قوات أرغون الحاكم المغولي في بلاد فارس إلى الحملة، كما اختار منكوخان بنفسه الحرس الشخصي لهولاكو، وأوصاه بتطبيق تعاليم وتقاليد جنكيزخان بالكامل[2].

أرسل منكوخان العيون والمرشدين إلى بلاد فارس قبيل انطلاق الحملة العسكرية، لاختيار الطريق الذي ستسلكه من العاصمة قرة قورم وحتى نهر جيحون، فسيطروا على جميع المزارع الواقعة على الطريق، كما أقاموا الجسور اللازمة للحملة[3]، وبعد هذه الإجراءات سار هولاكو بجنوده في سنة 651هـ/1253م ، فاستولت طلائع جيشه بقيادة كتبغا نويان البالغ عددها اثني عشر ألف مقاتل على عدد من القلاع الجبلية الحصينة الواقعة بين هرات ونيسابور[4]، وعبرت القوات المغولية نهر جيحون في شهر ذي الحجة سنة 653هـ/1256م وتوجه كتبغا نويان نحو القلاع التي عمد إلى تدميرها الواحدة تلو الأخرى، إلا أنه أدرك في نهاية الأمر أن هذه السياسة، ستستغرق وقتاً

---

1 - صبح الأعشى : ج4/ص313 - 314 ؛ الأمين، الإسماعيليون والمغول، ص154.

2 - للمزيد من التفاصيل ينظر : رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص235 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 108 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 148، 150 ؛ الأمين، الإسماعيليون والمغول، ص154 .

3 - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 460 - 461.

4 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج 2/ج1/ص 243؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص236 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 153؛

Nadia Eboo Jamal , Surviving the Mongols: Nizari Quhistani and the Continuity of Ismaili Tradition in Persia(The Institute of Ismaili Studies London : 2002),P.8.

طويلاً، فضلاً عن أنها ستكلفه المزيد من الخسائر المادية والبشرية، فآثر في نهاية الأمر إتباع سياسة الترغيب والترهيب في التعامل مع السكان وحكام تلك القلاع [1]، ونجح فعلاً حيث استسلم له عدد من حكام تلك القلاع، فعاملهم برفق ولين وأكرمهم، وما أن وصلت القوات المغولية الى قلعتي (ميمون دز) و(ألموت)، حتى قامت بفرض حصار شديد عليهما، وعندما أدرك حاكمهما ركن الدين خورشاه عدم قدرته على مواجهة الحصار، لا سيما بعد أن رأى الأعداد التي لا تحصى من مقاتلي المغول من ناحية[2]، ورسائل هولاكو التي أرسلها الى حكام بلاد فارس بما فيهم ركن الدين من ناحية أخرى، وقد تضمنت الرسالة أسلوب التهديد والوعيد [3]، لذا فقد طلب ركن الدين مقابلة هولاكو، الذي وافق بدوره لاختصار الوقت من جهة، ولإدراكه التام بصعوبة فتح القلعة من جهة أخرى، فالتقى بركن الدين خورشاه الذي وافق على تسليم القلعتين والدخول في تبعية المغول، وأعلن خضوعه لهم، فسلم قلعة ميمون دز في شهر ذي القعدة سنة 654هـ/1257م [4]، على الرغم من رفض قلعتي كردكوه وألموت على الاستسلام، وتصميمهما على القتال، مما كان سبباً في دخول المغول إلى القلعتين بالقوة بعد أيام من حصارهما، مرتكبين فيها أبشع المذابح، إذ قتلوا كل من فيهما [5].

---

1 - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 111؛

Aigle , Iran under Mongol domination , P.67.

2 - رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ق2/ ص 516؛

Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P.51.

3 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2 / ج1 /ص249 ؛ غسان محمود وشاح، موقف الشيعة من غزو المغول للعراق (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - غزة : 2008م)، ص 205.

4 - كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق: بشار عواد معروف وآخر، (دار الغرب الإسلامي، بيروت:1997م)، ص330-329؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 463-462 ؛ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 112.

5 - الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص216 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 242 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص344 ؛ السرجاني، قصة التتار، ص83.

طلب ركن الدين خورشاه من هولاكو أن يرسله إلى قرة قورم، حيث بلاط منكوخان ليتفاوض معه شخصياً على تسلمه جميع قلاع الإسماعيلية وحصونهم مقابل منحه بعض الوعود، فتم إرساله إلى منكوخان، الذي رفض مقابلته، ولم يكتف بذلك بل احتقره، قائلاً : ((لماذا تحضرونه وتشقون بذلك على الدابة التي يركبها))[1]، ثم أمر بإعادة ركن الدين خورشاه إلى بلاد فارس،إلا انه قتل في طريق العودة وسط ظروف غامضة، وعلى ما يبدو أن منكو خان هو من أوصى بقتله، ولكن خارج بلاطه إبعاداً للشبهة [2].

لم يكتف المغول بقتل ركن الدين خورشاه، بل قام قائدهم هولاكو باعتماد خدعة خبيثة للأهالي في مناطق نفوذ الإسماعيلية، فأظهر لهم تعاطفاً كبيراً، وأنه على استعداد تام لعقد اتفاق معهم، فضلاً عن التعاون سوياً من أجل احتلال العراق ودخول عاصمته بغداد للقضاء على الخلافة العباسية فيها، وبعد تأكده من اطمئنانهم إلى حسن نواياه وثقتهم به، طلب من زعماء الإسماعيلية وقادتهم، أن يستدعوا جميع رعاياهم في جميع مناطق نفوذهم، تحت ذريعة إجراء عملية إحصاء لأعداد الإسماعيلية، وبموجب هذا الإحصاء سوف يعقد الاتفاق بينهم، مقنعاً إياهم بخشيته من قيام الإسماعيلية بإعطاء أعداد أكبر من أعدادهم الحقيقية من أجل الحصول على مكاسب أكبر، لذا فقد انطلت الحيلة على الإسماعيلية فأخذوا بجمع كل أعوانهم، وبمجرد أن اجتمعت أعداد كبيرة، قام السفاح هولاكو بارتكاب أبشع مذبحة فيهم، فقتل كل من وقع بأيديهم، كما أخذ قسماً كبيراً منهم إلى ابنة عمه جغتاي لتقتلهم بيدها ثأراً لمقتل أبيها [3].

---

1 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ :مج2/ج1/ص258؛ الخالدي ؛ العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص86 ؛ *Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P.51*

2 - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 465 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 155 ؛ *Eboo Jamal , Surviving the Mongols , P. 9.*

3 - رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ق2/ص517 ؛ السرجاني، قصة التتار، ص83.

بهذه الحملة التي انطلقت في سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[1] تم استئصال شأفة الإسماعيلية في جميع بلاد فارس تقريباً، ولم ينج منهم إلا من فر منهم، أو الذي كان يعيش في الشام أو العراق، ولم يأت في عملية الإحصاء المزعومة ، وبذلك أصبح الطريق آمناً مفتوحاً إلى العراق، وبدأت الجيوش المغولية الرابضة في فارس تزحف ببطء، وبتنظيم كبير في الاتجاه نحو بغداد للقضاء على الخلافة العباسية، مخترقة الأراضي العراقية من طرفها الشمالي ابتداءً بمدنه الرئيسة، كاربل والموصل وديالى وتكريت وسامراء وصولاً إلى بغداد.

1 - محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية : العلاقات بين الشرق والغرب (د.م، الجيزة : 1999)، ص311 ؛ الأمين، الإسماعيليون والمغول، ص5 .

الفصل الثالث

الأوضاع السياسية في العراق قبيل الغزو المغولي

أولاً : الأوضاع السياسية للخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي

1ـ الأوضاع الداخلية في بغداد

لقد أخذت الأوضاع الداخلية في بغداد، وبجميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية تسير من سيىء إلى أسوأ منذ أن بدء عصر التسلط الأجنبي على مؤسسة الخلافة، كالأتراك الذين أخذت أعدادهم بالتزايد في عهد الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م)، ومن ثم البويهي (323 - 447هـ/935 - 1056م) والسلجوقي (447-590هـ/1056-1193م)، ليصل إلى أعلى مستوياته من الضعف قبيل الغزو المغولي للعراق، لا سيما في عهد المستعصم بالله (640 - 656هـ/1242 - 1258م) أخر خلفاء بني العباس في بغداد، مما أثر كثيراً في الاستعدادات العسكرية لمواجهة خطر الغزو المغولي، فعلى المستوى السياسي مثلاً، لم يكن الخليفة المستعصم بالله لا في صفاته أو مؤهلاته رجل الساعة الذي يرتجى لقيادة المسلمين في مثل هكذا ظروف حرجة [1].

لقد اتصف الخليفة المستعصم بالله بالضعف في إدارة مفاصل الدولة، فضلاً عن الانصراف عن إدارة شؤون البلاد، فكان هذا الضعف وبالاً عليه، وعلى الأسرة العباسية الحاكمة، اذ كان سبباً في القضاء على حكمها، كما يضاف إلى ذلك سببٌ آخر، وهو استخفاف أتباعه وتهاونهم في طاعته، وسعيهم للانفراد بالسلطة واتخاذ القرار نتيجة لضعف إرادته، فأدى ذلك في النهاية إلى النزاع فيما بينهم، والصراع على السلطة

---

1 ـ محمد الشيخ الساعدي، مؤيد الدين ابن العلقمي وأسرار سقوط الخلافة، (مطبعة النعمان، النجف: 1972م) ؛ ص60 - 61؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص252؛ الخربوطلي، غروب الخلافة، ص137؛ الإسلام والخلافة، (دار بيروت، بيروت : 1996م)، ص165.

وتولي المناصب العليا في الدولة، فلم يعد لمؤسسة الخلافة وزناً سياسياً في نظر العامة، مما أسهم بشكل كبير في ظهور الفتن، وانتشار الاضطرابات في عاصمة الخلافة [1].

إن عجز الخليفة المستعصم بالله ومؤسسته الإدارية عن اتخاذ إجراءات إيجابية كفيلة بحل المشاكل الداخلية في بغداد، دفعه إلى محاباة كبار رجال الخلافة تارة، وأمراء الجيش من الذين يحيطون به من ناحية أخرى، بغض النظر عن انتمائهم لهذه الفئة أو لتلك، مما أسهم في تفاقم المشاكل الداخلية، إذ ازدادت الصراعات بين المحال والأحياء بعضها مع البعض الأخر، لأدنى الأسباب وأتفهها نتيجة للاحتقان بين السكان بسبب اختلاف طوائفهم ومذاهبهم، كما كان الجند كثيراً ما يميلون إلى فئة من الفئات ضد فئة أخرى [2]، الأمر الذي أحدث الكثير من التناحر والاقتتال بين فئات السكان المختلفة، فضلاً عن انتشار العابثين واللصوص وقطاع الطرق، فعمت الفوضى في مدينة بغداد[3]، كما فقد المجتمع العباسي وحدته وتماسكه في الوقت الذي كان فيه المغول يستعدون للزحف نحو بغداد، فتفاقمت أزمة الخلافة، التي فقدت سيطرتها على الأوضاع الداخلية من ناحية، وعدم توجيه العناية لمواجهة الأخطار الخارجية من ناحية أخرى، حيث أصبح الخطر المغولي يشكل تهديداً حقيقياً لوجودها[4].

يرجع السبب في كل ذلك إلى سوء القيادات السياسية الإسلامية ، وقلة إحساسها بالمسؤولية، فضلاً عن انقسامها، وهي التي تمتلك مقاليد الأمور إلى قسمين متصارعين

---

1 - بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 132.

2 - أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج 3/ ص 202 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج3/ ص662؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص360.

3 - ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص331، 334، 339 - 340؛ قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، (مطبعة دار المعارف العثمانية، الداكن : 1955م) : مج1/ص 86؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص124.

4 - اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص199؛ رشاد، احتلال المغول لبغداد، مجلة آداب الرافدين، (الموصل: 1970م) : ع 1/ص6.

أولهما : تمثل بابن الخليفة أحمد ومجاهد الدين أيبك الدويدار[1] وسليمان شاه وشرف الدين إقبال الشرابي وآخرين، من الذين نسوا مسؤولياتهم في الحفاظ على مصالح الأمة، وانغمسوا في خلافاتهم وصراعهم من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة، فاضعفوا الجيش وشتتوا الجبهة الداخلية، وثانيهما : تمثل بمؤيد الدين ابن العلقمي[2] وزير الخليفة [3]، الذي يقع عليه جزء كبير من المسؤولية في إضعاف قوة الخلافة، وسقوطها على يد المغول [4]، حيث أخذ كل منهما يدبر المؤامرات والمكائد للطرف الآخر، ويسفه رأي خصمه عند الخليفة المستعصم بالله،الذي كان مسلوب الإرادة، ولا يستطيع أن يوقف كل واحد منهم عند حده، الأمر الذي أدى إلى اتساع شقة الخلاف بين هؤلاء، واستحكام العداء فيما بينهم، فكان كل منهم لا يتورع عن إثارة الفتن والاضطرابات ضد الخليفة شخصياً، إذا ما تطلب الأمر، من أجل مصلحته الخاصة لا بقصد خدمة الخلافة [5]، فضلاً عن عدم اتخاذ موقفٍ حازمٍ من لدن الخليفة المستعصم بالله في المواقف التي تتطلب ذلك، كإعفائه عن المتآمرين عليه من أجل خلعه، وتنصيب ولده أبي بكر[6].

---

1 - الدويدار : هو مقدم جيش العراق مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وأحد الأبطال المذكورين والشجعان الموصوفين، كان متزوجاً من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ومما عرف عنه انه كان يقول: لو مكنني أمير المؤمنين المستعصم لقهرت التتار ولشغلت هولاكو بنفسه، قتل مع الخليفة المستعصم بالله على يد هولاكو سنة 656هـ/1258م. ينظر الذهبي، سير أعلام : ج23/ ص322.

2 - ابن العلقمي: هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي، أستأزره الخليفة المستعصم بالله في سنة 642هـ/. ينظر : ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص164 ؛ 212.

3 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص263 - 264 ؛ خصباك، العراق في عهد المغول، ص25-24 ؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص362؛ الأمين، الغزو المغولي، ص122 ؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص194 - 195.

4 - اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1 /ص87 ؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص62.

5 - الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص253 - 254؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص124 ؛ سلطان، التاريخ الإسلامي: 2/274.

6 - الصياد، المغول في التاريخ:ج1/ص253؛ العريني، المغول، ص214 ؛ سلطان، تاريخ الإسلامي: ج2/ص274.

وبعد البحث والتمحيص في الروايات التاريخية التي أوردتها المراجع المتخصصة بدراسة التاريخ الإسلامي، يكاد يوجد شبه إجماع بينها على عجزه، وضعف عزيمته، وأشارت إلى أن أفضل ما يدلل على ضعف عزيمته، وعدم اتخاذ القرارات الحاسمة في المواقف المصيرية،كعدم اتخاذ التدابير والاستعدادات اللازمة على الرغم من وصول أخبار التقدم المغولي إليه تباعاً، فلم يتأهب لمواجهتهم قبل أن يداهم خطرهم المنطقة أو مداهنتهم ومصانعتهم على أقل تقدير، كما فعل غيره من الأمراء والسلاطين الذين اقترب منهم الخطر المغولي [1]، بل كان على العكس من ذلك، فإذا ما نبه إلى ما يجب فعله مع المغول، كان يقول: ((إن بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضا يهجمون علي وأنا بها، وهي بيتي ودار مقامي)) [2].

في الحقيقة بعد مراجعة مصادر التاريخ الإسلامي المعاصرة للخليفة المستعصم بالله أو القريبة زمنياً من عهده، والتي تناولت الغزو المغولي للعراق، واحتلال عاصمته بغداد، لم نجد فيها أي ذكر لهذه الرواية، التي لم يوردها سوى ابن العبري فقط، الذي لا يمكن أن يعول على روايته في مثل هكذا مواضيع حساسة فيها طعن للإسلام والمسلمين، لكونه من أتباع دين مخالف، فضلاً عن تحالف النصارى من أبناء دينه مع المغول للقضاء على الخلافة العباسية من ناحية، وانفراده دون غيره من المؤرخين في ذكرها من ناحيةٍ أخرى، مما جعلنا في حيرة تجاه موقف هذه المراجع، التي لا نعلم لماذا اعتمدت على مثل هكذا رواية، في الوقت الذي كان عليها أن تقف لتنظر ملياً في مصدرها، ومدى ثقته.

لقد أوردت بعض المصادر التاريخية رواية تفند ما أوردته المراجع الحديثة التي اتهمت الخليفة بعدم اتخاذ أي إجراء إزاء الغزو المغولي، وتؤكد على أن الخليفة لم

---

1 - الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص252؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص95؛ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص307 - 308؛ سلطان، التاريخ الإسلامي :ج2 / ص273.

2 - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص446.

يقف مكتوف الأيدي، إلا أن سوء حاشيته ورجال دولته كانوا سبباً في إحباط ما حاول القيام به، كما انه كتب إلى صاحب الشام يستمده، ويطلب منه إرسال جيش على رأسه الملك الناصر داود، فقدم إلى دمشق وأخذ يتجهز للتوجه إلى بغداد، لكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، إذ أجهز المغول على بغداد فدخلوها قبل مسير القوات الأيوبية إليها، مما حال دون قيام هذا المشروع[1].

لقد وُصِفَ الخليفة المستعصم بالله من قبل بعض المؤرخين القدماء ومن اعتمد عليهم من المحدثين بأنه ((كان متدينا متمسكا بأهل السنة والجماعة، على ما كان عليه والده وجده رحمهم الله، ولم يكن على ما كانوا عليه من التيقظ والهمة، بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ)) [2]، وأشار المكي إلى انه ((كان هينا لينا ضعيف الرأي)) [3]، فقد اعتقد أن الحكم باقٍ في أسرته لا يزول، وقد عبر عن ذلك بشكل جلي على لسان رسوله الذي أرسله إلى هولاكو : ((إذ إن كل ملك – حتى هذا العهد- قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد كانت عاقبته وخيمة، ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين،فإن بناء هذه البيت محكم للغاية، وسيبقى إلى يوم القيامة))[4]، لقد كان ذلك ما اعتقده المستعصم بالله وما عول عليه، ودفعه إلى مثل

---

1 - كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق:سهيل زكار (دار الفكر، عمان :د.ت.) :ج7/ص3455 ، 3460؛ الذهبي، تاريخ الإسلام:ج 48/ ص248؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخر (دار إحياء التراث، بيروت :2000م) : ج13/ص308، 394.

2 - محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وآخر (دار الكتب العلمية، بيروت : 2000م): ج1/ص237؛ الساعدي، أسرار سقوط الدولة العباسية، ص62؛ الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص252؛ إقبال، تاريخ المغول، ص197؛ سلطان، التاريخ الإسلامي :ج2/ص273.

3 - المكي، سمط النجوم العوالي : ج3/ص 516 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48 / ص259.

4 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص275؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص52؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص419؛ سلطان، التاريخ الإسلامي :ج2/ص274.

تلك التصرفات، حسبما أشار رشيد الدين الهمذاني الذي انفرد بهذه الرواية، ونقلها عنه المؤرخين المحدثين فيما بعد.

وهكذا أصبحت الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي في وضع لا تحسد عليه من الضعف والوهن، وهي تواجه أشرس هجمة عبر تاريخها الطويل، وانسحب سوء الأوضاع الداخلية في بغداد، على الجيش الذي لم يعد يمتلك أي دعم مادي أو معنوي من قبل الخليفة المستعصم بالله، إلا أنه سار على نهج الخلافة السابق التي كان اعتمادها على النفير العام في أوقات الخطر، وفتح باب التطوع واستنفار البدو من القبائل العربية، فضلاً عن الاستعانة بأمراء الأطراف، وما لديهم من جند، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ثم تسريحهم بعد زوال الخطر مباشرة [1].

إن الضعف الذي عانت منه المؤسسة العسكرية العباسية، كان نتيجة لتراكمات الماضي، وعدم اهتمام الخلفاء المتأخرين فيه، إذ أصبح الجيش مجرد قوة ثانوية يعتمد عليها في القضاء على الفتن والاضطرابات داخل بغداد فقط، وترك أمر التصدي للأخطار الخارجية لأمراء الأطراف كالسلاجقة والزنكيين والأيوبيين فيما بعد، واستمر ذلك طيلة عهد الخليفة الناصر لدين الله (575 - 622هـ/ 1279 - 1225م) وولده الظاهر (حكم تسعة أشهر وبضعة أيام) والمستنصر بالله (623 - 640هـ/ 1226 - 1242م)، واخذ بالتفاقم في عهد المستعصم بالله، وعلى الرغم من هذا الضعف فقد تمكن من تحقيق بعض الانتصارات على القوات الخوارزمية، والتصدي لغارات المغول في سنة 643هـ/1245م [2].

يرجع الضعف الكبير الذي لحق بالجيش في عهد المستعصم بالله إلى عدم اهتمامه الكبير بإعداده إعدادا كافياً، وتسليحه لتحمل أعباء الدفاع عن الأراضي الإسلامية، بسبب حبه لجمع الأموال وشحته في إنفاقها، وهناك العديد من المواقف

---

1 - فوزي، الخلافة العباسية، ص124؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص310.

2 - أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص 183.

التي أوردتها المصادر مؤكدةً على ذلك، ومنهم ابن كثير الذي أشار إلى أنه:((كان فيه لين وعدم تيقظ ومحبة للمال وجمعه))[1]، وقد أورد الأستاذ بدر في كتابه محنة الإسلام الكبرى، الحوار الذي دار بين الخليفة المستعصم بالله وهولاكو عند دخوله مدينة بغداد سنة 656هـ/1258م، كدليل على بخل الخليفة وعدم إنفاقه على جيشه، مشيراً إلى أن هولاكو وبخه بشدة على فعله هذا، لما سمع عنه من بخل وحب لجمع الأموال، فما أن وقع الخليفة في الأسر المغولي، وأُحضر بين يدي هولاكو، استولى الأخير على جميع خزائن الخلافة، وقدم له من هذه الكنوز ليأكلها، فقال له الخليفة إن هذه الكنوز لا تغني عن جوع، فرد عليه هولاكو قائلاً : ((إذا كانت الكنوز لا تسد الرمق، وإذا كانت لا تحفظ الحياة، فلماذا لم تعطها لجنودك ليحموك أو إلى جنودي ليسالموك)) [2].

بعد البحث والاطلاع على المصادر التاريخية ومراجعة رواياتها، لا سيما المعاصرة للغزو المغولي أو القريبة من هذه الحقبة زمنياً، لم نجد فيها أي ذكر لهذه الرواية التي تناولت الحوار بين الخليفة المستعصم بالله وهولاكو، والتي أوردها الأستاذ بدر في كتابه، معتمداً على المراجع الأجنبية الحديثة كهاورث وأسبورن وغيرهما، مما يجعلنا نشك في مدى صحة هذه الرواية أو ضعفها على الأقل وذلك لسببين، أولهما عدم وجود الرواية في المصادر الإسلامية القديمة، وثانيهما : اعتماده على مراجع أجنبية حديثة، لا نعرف المصادر التي استقت منها هذه الرواية من ناحية، أو قد يكون فيها طعن للإسلام والمسلمين من خلال الطعن بخليفتهم الذي يعد قدوة لهم في جوانب الحياة كافة الدينية منها والدنيوية.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فعلى الرغم من كون الخليفة هو المسؤول الأول عن ذلك،إلا انه لم يكن المسؤول الوحيد عن ضعف الجيش، بل كان للنزاعات الشخصية بين الأمراء والوزراء دورها في القضاء على قوة الجيش ووهنه بشكل كبير، فعندما

---

1 - أبو الفدا، المصدر نفسه : ج3/ص 183 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص205 ؛ المقريزي، السلوك : ج 1/ص128.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 135 .

شعر الوزير العباسي مؤيد الدين بن العلقمي أن نفوذه قد اخذ بالانهيار وسلطته تتجه نحو الزوال، بسبب تحسن العلاقة بين الخليفة المستعصم بالله ومجاهد الدين أيبك الدويدار، عمل على تسريح الجيش، تحت ذريعة الاستفادة من نفقاتهم في دفع المغول عن بغداد [1].

لقد أكدت المصادر التاريخية على أن الوزير ابن العلقمي اسقط معظم الجند من الديوان معللاً هذا التصرف للخليفة، على انه يهدف إلى صرف هولاكو [2]، بما يتوفر من أرزاقهم التي يحصلون عليها من خزانة الخلافة، فكان ذلك الإجراء سبباً في معاناة الكثير من جند الخلافة نتيجة لتأخر أرزاقهم، فبلغ منهم الفقر مبلغه، ودفعهم ذلك بطبيعة الحال إلى الهرب من الجيش وممارسة مهن أخرى لكسب العيش، بل راح البعض منهم إلى أن يمارس التسول في الأسواق والجوامع في حين فضل آخرون مغادرة بغداد والتحاقهم بالجيش المغولي[3]، ومما زاد الطين بلة التدهور الاقتصادي الذي عم العراق، لا سيما بغداد التي أصيبت بنكبات وكوارث متلاحقة، بسبب الفيضانات المدمرة التي أدت إلى غمر الكثير من الأراضي الزراعية وتلف محاصيلها، وأغرقت العديد من دور المدينة[4]، هذا فضلاً عن كثرة النازحين من سكان المناطق الشرقية من البلاد ولجوئها إلى بغداد بعد أن استولى المغول على مدنهم، فكان هؤلاء النازحون يجلبون معهم مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية، مما يؤثر بشكل كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بغداد، التي أصبحت تعيش في حالة من القلق الدائم من جراء هذه

---

1 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج3 / ص662 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي : ج3/ص418؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 136 .

2 - الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ ص34؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص168؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص415.

3 - اليونيني، ذيل مرآة الزمان: مج1/ص87؛ ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد (مطبعة الحكومة، بغداد: 1970م)، ص270؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص45 - 46؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص124؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص362؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص196.

4 - فوزي، الخلافة العباسية، ص125؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص361؛ الأمين، الغزو المغولي، ص122.

الفوضى في الداخل من جهة، والخطر الزاحف من الخارج من جهة أخرى[1]، وما أن ادرك هولاكو مدى ضعف الخلافة العباسية في بغداد بجميع جوانبها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وأن الفرصة أصبحت مؤاتية لتحقيق هدفه الذي يعد له منذ سنين، حتى أخذ بإعداد جيشه، ومراسلة الخليفة المستعصم بالله وتهديده من همذان في بلاد فارس [2].

2- الخلافة العباسية والقوى الإسلامية قبيل الغزو المغولي

لقد أكد العديد من المؤرخين [3] على أن الخلافة العباسية سعت جاهدةً في أيامها الأخيرة إلى استعادة هيبتها ومكانتها الفعلية، من خلال إعادة فرض نفوذها على جميع البلاد التي دانت بالتبعية الروحية لها، لا سيما بعد استقلالها من السيطرة السلجوقية في سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٣م[4].

لقد اتبعت الخلافة العباسية في حقبة التسلط الأجنبي سياسة الاعتراف بمن ترجح له كفة ميزان القوة، فعن طريق إتباع هذه السياسة، نجحت في التخلص نوعا ما من الاحتلال البويهي بوساطة السلاجقة [5]، الذين أعادوا للخلافة بعضاً من حيويتها ومكانتها السابقة للسيطرة البويهية ، وبعد ضعف دولة السلاجقة، وانهيارها بدأت تظهر على مسرح الأحداث قوى جديدة عملت كل منها من أجل السيطرة على العراق مركز الخلافة العباسية، فكانت الدولة الخوارزمية احدها، لا سيما بعد أن استطاع السلطان

---

1 - القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص309.

2 - السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص362.

3 - ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب : ج7/ص3455 ،3460؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج 48/ ص248 ؛ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية) دار الفكر العربي، القاهرة : د.ت: (ج ٢/ص٤٨٥.

4 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي »، تصحيح : محمد بن عبد الوهاب القزويني (مطبعة بريل، ليدن:١٩٣٧م) : ج ٢/ ص ٣٢ .

5 - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٩.

تكش الخوارزمي من إلحاق الهزيمة بالسلطان السلجوقي طغرل في سنة 590هـ/1193م بالقرب من الري[1]، التي قتل فيها طغرل، وأرسل رأسه إلى بغداد حيث الخليفة العباسي الناصر لدين الله [2].

بعد هذا الانتصار بدأت الدولة الخوارزمية تعمل من أجل السيطرة على مؤسسة الخلافة والاستبداد بها والتسلط على خلفائها، ومصادرة كل سلطاتهم الزمنية، من خلال إرجاعها إلى ما كانت عليه في العصر البويهي والسلجوقي[3]، مما أدى إلى تأزم العلاقات بين الطرفين،كانت نتيجتها أن زحف علاء الدين خوارزم شاه بجنوده إلى بغداد في سنة ٦١٤هـ/ ١٢٢٧م من أجل خلع الخليفة العباسي، وتنصيب خليفة فاطمي بدلاً عنه [4]، فكانت النتيجة أن استنزفت الاستعدادات للمواجهة بينهما قوتهما معاً [5]، إلا أن الفشل كان من نصيب هذه الحملة بسبب الأحوال المناخية السيئة التي أودت بحياة الكثير من جنود خوارزم شاه، فاضطر على العودة إلى بلاده [6]، وكانت السيطرة السلجوقية على مؤسسة الخلافة أخر عهود الاستبداد، وبقيت مستقلة حتى الاحتلال المغولي لبغداد [7].

---

1 - الري : وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخا ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخا. للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج1/ ص116.

2 - الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي « : ج2/ص ٣٢.

3 - ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص27.

4 - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٢ ؛ الجويني، تاريخ فاتح العالم « جهان كشاي»: ج2/ص 97 ؛ ابو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م) : ج ٤/ص ٢٤.

5- اليافعي، المصدر نفسه :ج ٤/ص ٢٤ ؛ الرمزي، تلفيق الأخبار : ج1/ص ٣٥٤.

6- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٩.

7- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج ٩/ ص ٣١٣ ؛ النسوي، سيرة جلال الدين، ص ٦٢ ؛ اليافعي، مرآة الجنان : ج ٤/ ص ٢٤؛ الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية : ج ٢/ص ٤٨٥.

عندما اعتلى المستعصم بالله دست الخلافة سعى جاهداً من أجل تقويتها، على أمل أن يعيد إليها مجدها، وسلطتها الفعلية بجانبيها الديني والدنيوي، لا سيما بعد انهيار الدولة الخوارزمية [1]، كما شجعته على السعي لتحقيق مثل هكذا مشروع، وهيأ له فرصة لتحقيق طموحه في أن يكون حكمًا بين المسلمين، بسبب ما وقع من تنافس بين الأمراء الأيوبيين في كل من مصر والشام[2].

في الحقيقة كانت الظروف أكثر ملاءمة من أي وقت مضى من أوقات الضعف التي عاشتها الخلافة العباسية، من أجل إعادة ترتيب الصف الإسلامي، وتوحيد القوى الإسلامية المستقلة عن الخلافة، والتي لا تخضع لها إلا بشكل اسمي، تحت قيادة الخليفة العباسي في بغداد، لا سيما أن الخلافة لازالت تمتلك جانباً من القوة، والمتمثل بالسلطة الدينية التي كانت أعظم من قوتها الزمنية (السياسية والإدارية والحربية)، كما أن المكانة الدينية للخلافة، وما تتمتع به من قداسة في نظر المسلمين، جعل جميع القوى الإسلامية في أي جزء من مناطق الدولة العربية الإسلامية تحرص على إظهار ولائها للخليفة، لتتمكن من الحصول على اعترافه الذي يضفي على حكمها صبغة شرعية، تدعمها أمام الناس، وتجعلهم منصاعين لحكمها، لذلك كان من الضروري على الخلافة العباسية أن تنهض من جديد، لتوحد أجزاءها التي تناثرت، واستقل كل منها في مصر والشام وبلاد فارس والعراق لتكوين جبهة إسلامية موحدة، قادرة على التصدي للأخطار الخارجية، لا سيما الغزو المغولي الذي بدأ يهددها، بعد ما ارتكبه من مجازر ومذابح، وهتك لإعراض المسلمين، أثناء زحفه من منغوليا، وصولاً إلى الأراضي الإسلامية في بلاد فارس.

أما القوة الإسلامية الأخرى التي عاصرت هذه الحقبة، فتمثلت بالأيوبيين في بلاد الشام ومصر ،فعلى الرغم من انقسامهم، وانشغالهم بنزاعاتهم الداخلية التي استنزفت قوتهم، وجعلتهم عاجزين عن طرد الصليبيين من بلاد الشام، أو التصدي لأي

1- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية :ج ٣/ق2/ ص ٥١٨.

2- اليافعي، مرآة الجنان: ج ٤/ص٤٣.

خطر خارجي، إلا أنهم جميعاً كانوا تابعين للخلافة العباسية في بغداد، تلك التبعية التي وضع أسسها جدهم صلاح الدين الأيوبي (564 - 589هـ/1169 - 1193م)[1]، الذي جاهد الصليبيين طيلة حياته، وأعاد مصر لسلطة العباسيين، وأقام وحدة إسلامية متماسكة كخطوة مهمة للقضاء على الوجود الصليبي على ارض الشام وتحرير بيت المقدس[2].

كان الأيوبيون منقسمين إلى عدد من الإمارات في مصر وبلاد الشام، وحاول الملك العادل608-593(هـ/1193 - 1218) شقيق الناصر صلاح الدين إعادة توحيدها في عهده، إلا أن جميع محاولاته ولدت ميتة، وبقوا على هذا الحال من الانقسام[3]، على الرغم من إدراكهم التام لأهمية الوحدة فيما بينهم من ناحية، ومع بقية القوى الإسلامية من ناحية أخرى للوقوف أمام الخطر المغولي والتصدي له.

ومما يدلل على العلاقات الودية بين الخلافة العباسية والأيوبيين، واحترامهم لمكانة الخليفة العباسي، عدم موافقة الملك المعظم بن العادل صاحب دمشق على مشروع التحالف الذي عرضه عليه جلال الدين خوارزم شاه من اجل مهاجمة بغداد في سنة 622هـ/1225م في عهد الخليفة الناصر لدين الله، إذ أجابه بأنه مستعد على الوقوف معه ضد الجميع إلا خليفة المسلمين[4]، ومما يبين حسن العلاقات بين الطرفين من ناحية، ومدى اهتمام الأيوبيين بالدفاع عن بغداد قبل احتلالها بواحد وعشرين سنة،

1- اليافعي، مرآة الجنان: ج٤ /ص٤٣.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج١١ /ص ٢٢٤؛ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق:محمد حلمي محمد أحمد (د.م: القاهرة:١٩٦٢م) :ج٢ /ص ٤٨ ؛ احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (دار النهضة العربية، بيروت : 1986م)، ص ٨٥ .

3- أبو الفدا ،المختصر في أخبار البشر: ج٢ / ص٢١٦ ؛ المقريزي، السلوك : ج١ /ق١ /ص١٥٥ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر وبلاد الشام (دار النهضة العربية، القاهرة : 1996م)، ص82-79 .

4 - جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر : د.ت.) :ج6/ص260.

ما قام به الملك الكامل الأيوبي الذي سارع في إرساله نجدة مكونة من عشرة آلاف جندي مصري إلى بغداد بناءً على طلب الخليفة المستنصر بالله في سنة 635هـ/1237م، للتصدي لغارات المغول[1].

لقد انحسرت العلاقات الخارجية للخلافة العباسية، بسبب انكماش رقعة أراضيها، لا سيما بعد انهيار الدولة السلجوقية من ناحية، وسقوط الدولة الخوارزمية على يد المغول من ناحية أخرى، ونتيجة لذلك لم نعد نجد إلا القليل من الروايات التي تشير الى العلاقات الخارجية للعباسيين، والتي اقتصرت على ارتباطهم بعلاقات ودية مع ملوك الأيوبيين في بلاد الشام من جهة، والأيوبيين ومن بعدهم المماليك في مصر، وفي عهد الخليفة المستعصم بالله تحديداً[2].

إن السبب الرئيس في انحسار العلاقات الخارجية للخلافة العباسية في عهد المستعصم بالله لا يرجع إلى شخصية الخليفة أو ضعفه في الجانب الإداري مقارنة بأسلافه، فإذا ما تتبعنا سير الأوضاع السياسية في عهده، نجد أنها لم تخل من محاولات سعى من خلالها لإعادة سلطة الخلافة على قسمٍ من القوى السياسية، لا سيما بعد أن بدأ خطر الغزو المغولي ينذر الشر، ويهدد العراق مركز الخلافة إثر السيطرة على ممتلكات الدولة الخوارزمية والحركة الإسماعيلية بالقوة، وانصياع بقايا السلاجقة ودخولهم في تبعية المغول خشية من انتقامهم، فلم يبق على مسرح الأحداث من القوى السياسية الإسلامية سوى الأيوبيين والمماليك آنذاك، فوجد الخليفة المستعصم بالله الفرصة سانحة أمامه لممارسة دوره كصاحب أعلى سلطة دينية بين المسلمين، عندما نشب النزاع بين ملوكهم الذين سعى كل منهم إلى التوسع على حساب الآخر[3]، ومن محاولات الخليفة المستعصم بالله سعيه للتوفيق بين الملك الصالح نجم الدين أيوب ومملوكه الملك المعز

1- المقريزي، السلوك :ج1/ص290 - 294 ؛ العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت : 1995م)، ص 75.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 137 - 138.

3- الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 61 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 143 - 144.

أيبك في مصر من جهة أخرى، وعقد الصلح بينهما، وتوحيد جهودهما ضد المغول[1].

أما المحاولة الأخرى كانت في سنة 646هـ/1248م تدخل لعقد الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب حلب والملك الصالح نجم الدين أيوب بسبب استيلاء الناصر يوسف على مدينة حمص من الملك الأشرف، فغضب الملك الصالح وأرسل الجيوش من مصر لاستردادها، فأرسل المستعصم بالله رسولا لعقد الصلح بينهما، فنجح في ما كلفه به الخليفة وتم الصلح في سنة 650هـ/1252م [2].

كما تدخل المستعصم بالله لإنهاء الصراع الذي نشب في سنة 648هـ/1250م بين كل من الملك المعز ايبك والملك الناصر يوسف الذي أصبحت تحت سلطته كل من حلب ودمشق آنذاك، اذ سار الأخير إلى مصر مع كثير من أمراء بني أيوب لانتزاعها من الملك المعز، إلا أن النصر كان حليفاً للأخير، مما اضطر الملك الناصر على العودة إلى بلاد الشام[3]،فأرسل الخليفة رسولاً للإصلاح بين الطرفين في سنة 651هـ/1253م، ويأمرهما على التصالح وتوحيد جهودهما لمواجهة المغول، فتم له ما أراد [4].

على ما يبدو أن موافقة كل من الأيوبيين في الشام والمماليك في مصر، بسهولة ودون أي ممانعة من قبلهما يرجع إلى أمرين : أولهما مكانة الخليفة المقدسة عندهما، وثانيهما : خشيتهما من خطر الغزو المغولي الذي بدأ يهددهما معاً، فضلاً عما سمعاه عن وحشية المغول،وأعمالهم التدميرية وسفكهم للدماء.

أرسل الخليفة المستعصم بالله نفس الرسول في سنة 653هـ/ 1255م لتجديد الصلح بينهما، إثر مسير الملك الناصر إلى مصر ومعه مجموعة من المماليك البحرية

1- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ ص173 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص96.

2- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5 / ص415.

3- أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق اولرخ هارمان (المعهد الألماني للآثار، القاهرة : 1971م) :ج8 / ص16 - 17 ؛ الذهبي، سير اعلام :ج23/ ص181.

4-السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج5/ ص113 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ ص489.

الذين فروا من مصر إثر قتل الملك المعز للأمير أقطاي في سنة 652هـ/1254م خشية من بطشه [1]، وتم تجديد الصلح الذي حددت بموجبه مناطق نفوذ كل منهما وفق ما اقترحه الخليفة [2]، وانطلاقاً من العلاقات الحسنة بين الطرفين، فقد أرسل الملك المعز رسولاً إلى الخليفة مع رسول الخليفة إلى بغداد يلتمس منه تشريفه بالخلع والتقليد، كما كان الحال مع الملوك السابقين ممن حكموا مصر [3].

إن نجاح الخليفة في الإصلاح والتوفيق بين أي طرفين متخاصمين كان يتوقف على مدى ما له من احترام ومكانة دينية في نفسيهما، والأيوبيون كانوا قد ساروا على نهج آبائهم من حيث التبعية للخليفة العباسي في بغداد، وإرسال الهدايا إليه، وقبول الخلع منه ببالغ السرور،ومما يدل على ذلك الخلع التي أرسلها الخليفة الى الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر في سنة 642هـ/1244م، كما أهدى إليه شجرة الدر، وهي إحدى جواريه ذات الأصل الأرمني[4]، كما أعاد الكرة في سنة 643هـ/1245م وأرسل الهدايا والخلع للملك الصالح ، وفي المقابل ونتيجة للعلاقة الطيبة التي ربطت الخليفة المستعصم بالله بالملك الصالح، فقد أوصى الأخير عندما حضرته المنية في سنة 647هـ/ 1249م فلم يسم من يخلفه، وأمر بتسليم البلاد للخليفة في حال وفاته، قائلاً: ((إذا مت لا تسلم البلاد إلا للخليفة المستعصم ليرى فيها رأيه)) [5].

ونظراً للعلاقات الودية بين الخلافة العباسية والأيوبيين، فقد أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام الهدايا للخليفة المستعصم بالله في سنة 654هـ/1256م، وطلب رسوله الخلعة للملك الناصر [6] ، وعندما سار هولاكو إلى بغداد أرسل المستعصم إليه يطلب عونا للتصدي للمغول وعلى رأسه الملك الناصر داود، فسارت القوات الأيوبية

1- المقريزي، السلوك : ج1/ص330 - 331، 382 - 386.
2- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص186 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر : ج8/ص380 .
3- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص420، 433.
4- المقريزي، السلوك :ج1/ص443- 459.
5- المصدر نفسه : ج1/ 443.
6- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2 / ص187.

إلى بغداد إلا أن الأوان قد فات، ودخل الغزاة بغداد فلم تسر القوات الشامية [1].

كما سار المماليك على خطى أسيادهم الأيوبيين عندما تولوا الحكم في مصر، فظلت مكانة الخليفة الدينية واحترامه قائماً في نفوسهم، فكان لذلك دوره في قبول تشفع الخليفة في دفن جثمان الملك المعظم تورانشاه، الذي بقي ملقى على شاطئ النيل في المنصورة بعد قتله سنة 648هـ/1250م [2]، وعندما تولت شجرة الدر أمر الحكم في مصر، تلقبت بوالدة خليل، ونقش اسمها على النقود بصيغة (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين، والدة المنصور خليل) [3]، إن تلقبها بالمستعصمية كان ذلك انتساباً للخليفة المستعصم بالله، وتحرجاً من ذكر اسمها في المناسبات ناحية، ولإضفاء صبغة شرعية على حكمها خاصة وحكم المماليك في مصر عامة من ناحية أخرى، كما يعد ذلك اعترافاً ببقاء مصر تابعةً للعباسيين في بغداد [4].

وعندما أنف المصريون تولي امرأة عليهم، فاضطربت الأوضاع نوعاً ما، وما أن تسربت الأخبار إلى الأيوبيين حتى انتهز الناصر يوسف الفرصة، فزحف بجيشه نحو دمشق واستولى عليها، مما زاد من مخاوف المماليك على دولتهم الناشئة، فكتبوا إلى الخليفة المستعصم بالله يطلبون منه الاعتراف بشرعية سلطنة شجرة الدر، وكان الهدف من ذلك إضفاء الشرعية على حكمهم لمصر [5]، ومن اجل الوصول إلى غايتهم من ناحية، ولمكانة الخلافة العباسية عندهم من ناحية أخرى، تقبلوا توبيخ الخليفة المستعصم بالله الذي رد عليهم بقوله : إذا قلت عندكم الرجال، فاكتبوا إلينا نرسل إليكم

1- ابن العديم،بغية الطلب في تاريخ حلب :ج7/ص3455،3460؛ الذهبي، تاريخ الإسلام:ج48/ ص248.

2- المقريزي، السلوك : ج1/ص458.

3- الصفدي، الوافي بالوفيات : ج16/ص70 ؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد (دار الكتب المصرية ، القاهرة :1997م) :ج2/ ص21.

4- عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص183.

5- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص123.

برجل من عندنا يتولى أمركم، فعزلوها ونصبوا الأمير عز الدين أيبك تحت لقب الملك المعز، وأعلنوا تبعية مصر للخليفة المستعصم بالله، وأن الملك المعز ما هو إلا نائبٌ له فيها [1]، وعلى الرغم مما حققه الخليفة المستعصم بالله من نجاح في فرض نفسه على ملوك مصر والشام من أيوبيين ومماليك، من خلال مكانته الدينية في نفوسهم، إلا إن هذا لا يعني تحقيق مكاسب سياسية كبيرة للخلافة العباسية، إذ إن الأيوبيين كانوا ضعافاً متفرقين، ولا يمتلكون من القوة ما يدعم المستعصم في التصدي للأخطار الخارجية كالغزو المغولي، وفي ذات الوقت لم يكن حكم المماليك في مصر استقر نهائياً ، فلا زالت النزاعات قائمة فيما بينهم من أجل الاستيلاء على الحكم [2].

ثانياً : الأوضاع السياسية في أتابكية الموصل قبيل الغزو المغولي

1- الأوضاع الداخلية في أتابكية الموصل

كانت مدينة الموصل إحدى مدن الخلافة العباسية الكبرى، وظلت تحت حكمها المباشر حتى سنة 293هـ/905م، كما أنها أصبحت تحت حكم الحمدانيين (293 - 381هـ/905 - 991م)، ومن ثم الحكم العقيلي (381 - 489هـ/997 - 1095م)، ثم دخلت تحت الحكم السلجوقي، ولكن ما أن حل الضعف بالدولة السلجوقية، حتى استقلت كأتابكية حالها في ذلك حال بقية الأتابكيات الأخرى، التي أصبحت دويلات مستقلة وتعترف اسمياً بتبعيتها للسلطان السلجوقي، ويُظْهِر أمراؤها الولاء والطاعة له [3].

اتخذ كل أمير من هؤلاء الأمراء، واحداً من قادته الأتراك ليشرف على

1- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص416 ؛ المقريزي، السلوك : ج1/ص 464 ؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص186.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 146.

3- رشيد عبد الله الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، بحث منشور ضمن موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل، الموصل :1992م) :ج2/ص66 - 92.

تدريب ابنائه على فنون القتال، وأساليب الإدارة والحكم، فكان عماد الدين زنكي (521 541-هـ/1127 - 1146م) احد هؤلاء الأمراء، إذ عين أتابكاً لولدي السلطان محمود (511 - 525هـ/1117 - 1130م) بن محمد بن ملكشاه [1]، فأصبحت مقاليد الحكم بيديه وبلغت مدينة الموصل أوج قوتها في العهد الزنكي، عندما أصبحت أتابكية ذات كيان سياسي مستقل، ابتداءً بتولي عماد الدين زنكي مؤسس الأسرة الزنكية.

يعد عماد الدين زنكي المؤسس الأول للإمارة الزنكية في الموصل، وكان والده آق سنقر أحد المماليك الأتراك التابعيين للسلطان السلجوقي ألب أرسلان (455 465- هـ/1063 - 1072م) وولده ملكشاه من بعده، وكان أحد أمراءه البارزين [2]، إلا انه قتل في سنة 487هـ/1094م أثناء احد معاركه مع السلطان تتش (487 - 488هـ/1094 - 1095م)، وحرم ولده عماد الدين زنكي من أملاكه، فالتف حوله أتباع والده ، وأسندت إليه شحنكية[3] البصرة في سنة 507هـ/1113م [4]، ثم تولى شحنكية العراق سنة 520 هـ / 1126م، فنجح في إخضاع القوى المحلية، ثم عين في سنة 523هـ/1128م من قبل السلطان السلجوقي أميراً على الموصل وبلاد الشام والجزيرة [5]، واتخذ من الموصل عاصمة ومقراً لإمارته، فقادها بنجاح قرابة العشرين سنة، سواء عن طريق تحقيق

1- أبو العباس شمس الدين احمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت : د.ت) :ج1/ص305.

2- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق : حلمي احمد (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة : 1956م) :ج1/ص65 - 66؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق : جمال الدين الشيال (المطبعة الأميرية، القاهرة : 1957م) :ج1/ص11.

3- الشحنة : وظيفة ظهرت في العهد السلجوقي، وهي وظيفة امنية تعادل قائد الشرطة، ويكون صاحبها مسؤول عن تطبيق النظام ونشر الأمن. للمزيد من التفاصيل عن هذه الوظيفة ينظر: علاء محمود خليل قداوي، المغول في الموصل والجزيرة (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - جامعة الموصل :1985م) ، ص142.

4- عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص16.

5- عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ط3(مطبعة الزهراء، الموصل : 1985م)، ص 137.

التماسك والاستقرار الداخلي[1]، أم عن طريق التصدي للأخطار الخارجية المحدقة بالمدينة والأمة معاً، فقد جاهد ضد الغزاة الصليبيين، لا سيما بعد أن أصبحت مناطق نفوذه تمتد ما بين آمد وديار وحدود أذربيجان شمالاً وحتى تكريت جنوباً، وما بين منطقة شهر زور شرقاً وحتى السواحل الشامية غرباً، مما دفع الأمراء المجاورين إلى مهادنته، وإتباع سياسة الحذر معه خشية بأسه[2].

بعد مقتل عماد الدين زنكي في ربيع الآخر سنة 541هـ/1146م انقسمت دولته بين ولديه سيف الدين غازي (514 - 544هـ/1146 - 1149م) الذي تولى الحكم في الموصل، ونور الدين محمود (539 - 569هـ/1144 - 1173م) الذي تولى الحكم في حلب، مما اضعف هذه الإمارة، فزاد ذلك من أطماع كل من السلطان السلجوقي والأمراء المجاورين، الذين سعوا جاهدين من اجل الاستيلاء على ممتلكاتهما [3].

استمرت الموصل تحت الحكم الزنكي حتى وفاة الأمير نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود(607-589هـ/1210-1196م) أخر ملوك الأسرة الزنكية، الذي يمكننا أن نعد وفاته التاريخ الفعلي لنهاية السلطة الأتابكية التي لم يبق لها سوى الاسم فقط [4]خلال حكم ولده القاهر عز الدين مسعود الثاني (615-607هـ/1218-1210م) الذي لم يتجاوز العاشرة من العمر، فأصبح مملوكه الأمير بدر الدين لؤلؤ [5] وصياً

1- شكيب راشد عزيز، الموصل ودورها في التصدي للغزو الصليبي (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – موصل : 2002م)، ص19--20.

2- للمزيد من التفاصيل عن دولة عماد الدين زنكي ينظر : حسن حبشي، نور الدين والصليبيون (دار الفكر العربي، القاهرة : 1948م)، ص140 - 141.

3 0أبو يعلي حمزة بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت : 1908م)، ص 284 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (دار الفكر العربي، بيروت : 1978م) : ج9/ص13 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج5/ ص184.

4- محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (دار الرشيد للنشر، بغداد : 1981م)، ص153.

5-بدر الدين لؤلؤ : هو الأمير ابو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي، والمسمى بالرومي الأتابكي او الملك المسعود، وهو مملوك من أصل ارمني حتى حل عند نور الدين ارسلان =

عليه، وعلى ولده نور الدين بعد وفاته في سنة 615هـ/1210م [1].

اخذت الأوضاع السياسية في اتابكية الموصل تسير نحو الأسوأ شيئاً فشيئاً، مما هيأ الفرصة لبدر الدين لؤلؤ للانفراد بالحكم، مستغلاً صغر سن الأتابكة المتأخرين، وضعفهم سياسياً من ناحية، وإقرار الخليفة العباسي الناصر لدين الله بحكمه للموصل نيابة عن الأتابك نور الدين لصغر سنه [2].

تولى بدر الدين لؤلؤ الحكم في إمارة الموصل، وأصبح الحاكم الفعلي بعد قتله للأتابك الصغير ناصر الدين محمود بن القاهر في سنة 621هـ/1221م[3]، واستمر منفرداً في حكمها، من خلال إتباع سياسة الخضوع والتبعية للأقوى من أمراء المنطقة، وهذا ما عرف عنه من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية.

2- أتابكية الموصل والقوى الإسلامية

إن ما حققه بدر الدين لؤلؤ أثار حفيظة الأمراء المجاورين والمنافسين له، لا سيما الطامعين في الاستيلاء على المدينة كمظفر الدين كوكبري [4] صاحب إربل (586

= شاه صاحب الموصل، وبقي في خدمته حتى وفاته، فأصبح الوصي على حكم ولده القاهر منذ سنة 607هـ/1210م، وبيده السلطة الفعلية بالبلاد. ينظر ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية تحقيق : عبد القادر احمد طليمات (مطبعة الاستقلال، القاهرة : 1963م)، ص 23 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء :ج23/ص356 - 357 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص203 ؛ التكريتي، الأيوبيون، ص 153، هامش 1.

1 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص303 ؛ التاريخ الباهر، ص204 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص 134 ؛ الغساني، العسجد : ج 1/ص361.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص320 ؛ ابن ايبك ؛ كنز الدرر :ج8/ص45.

3- محسن محمد حسين، أربيل في العهد الأتابكي (مطبعة اسعد، بغداد :1976م)،ص145؛ قداوي، المغول في الموصل والجزيرة ، ص22.

4- مظفر الدين كوكبري : هو أبو سعيد مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين ابن محمد، الملقب بالملك المعظم، ولفظة كوكبري تعني باللغة التركية الذئب الأزرق، ولد في قلعة الموصل في سنة549هـ/1154م، تولى حكم إربل على مرحلتين الأولى بعد وفاة أبيه سنة 563هـ/1168م وحتى سنة 567هـ/1172م، حيث خلع وتولى الحكم الذي استمر فيه حتى سنة 586هـ/1190م ليعود كوكبري لتولي الحكم للمرة الثانية حتى وفاته سنة 630هـ/1232م.=

ـ 630هـ/1190 - 1233م)، الذي خشي من تعاظم نفوذ بدر الدين لؤلؤ[1]، لا سيما بعد اندلاع النزاع بين لؤلؤ وعماد الدين زنكي، الذي كان يعد نفسه الأحق في حكم المدينة من ابن أخيه الصغير، لكونه اكبر أبناء البيت الزنكي سناً، مما أثار ذلك مخاوف الأمير بدر الدين لؤلؤ،فطرده من الموصل [2]، فكانت النتيجة أن عُقِدَ تحالف ضده بين كل من الأمير مظفر الدين كوكبري وعماد الدين زنكي، فاضطر بدر الدين لؤلؤ اللجوء إلى الأيوبيين في الجزيرة،لاشتراكهم في الأهداف والمصالح التي تقتضي ضرب مظفر الدين كوكبري، فأمده الملك الأشرف موسى بن العادل (615 - 635هـ/1218 1237- م)، مقابل خضوعه وتقديم كل فروض الطاعة له[3].

إن تأزم العلاقة بين بدر الدين لؤلؤ ومظفر الدين كوكبري أدى إلى سوء الأوضاع السياسية في المنطقة، وكرد فعل على التحالف الذي عقد بين بدر الدين لؤلؤ والملك الأشرف سعى مظفر الدين كوكبري في سنة 616هـ/1219م إلى التحالف مع أمراء الأطراف كسلاجقة الروم والأراتقة في بلاد الجزيرة، إلا أن هذه المحاولة ولدت ميتة، ولم تر النور بسبب وفاة عز الدين كيكاوس الأول (607 - 616هـ/1211 - 1219م) صاحب الروم، فاضطر مظفر الدين كوكبري إلى مهاجمة الموصل في السنة ذاتها[4]، ومحاصرتها لبضعة أيام من جهتها الشرقية إلا انه انسحب عنها يجر أذيال الخيبة لإدراكه التام بعدم القدرة على مواجهة قوات الموصل من جهة، ووصول الأخبار

= ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4/ص114؛ ج5/ص303 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر: ج5/ص121-122؛ الحنبلي، شذرات الذهب:ج5/ ص138؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج24/ص283؛ سامي بن خماس الصقار، إمارة إربل في العصر العباسي (دار الشواف، الرياض:1992م)، ص54-53، 56.

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص320 ؛ حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 106.

2- أبو شامة، الذيل على الروضتين، ط2(دار الجيل، بيروت :1974م)، ص114.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص321 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، 114 ؛ قداوي ؛ المغول في الموصل والجزيرة، ص 20 - 21.

4- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج 3/ص140.

إليه بان بدر الدين لؤلؤ أعد خطة لمهاجمة قواته ليلاً وإبادتها من جهة أخرى [1].

بعد هذا الانتصار تمكن بدر الدين لؤلؤ من إحكام قبضته على إمارة الموصل دون منازع، لا سيما بعد فشل محاولات أمراء الأطراف الآخرين للحد من نفوذه وتحجيم قوته من ناحية، وانشغالهم بخطر المغول الذي هددهم جميعاً من ناحية أخرى، فسعوا جميعاً إلى الحصول على مساعدته لصد هذا الغزو، وفي مقدمتهم مظفر الدين كوكبري في سنة 618هـ/1221م، فتحسنت العلاقات بينهما، إلا أنها لم تلبث أن تعكر صفوها في سنة 621هـ/1224م إثر مقتل الأتابك ناصر الدين محمود [2]، فبدلاً من تناسي أحقاد الماضي ومشاكله، وتوحيد الصف لمواجهة الخطر المشترك، قام مظفر الدين كوكبري وبتحريض من عماد الدين زنكي صاحب شهرزور بعقد تحالفٍ مع أمراء الأيوبيين والأراتقة في بلاد الشام والجزيرة وديار بكر، كما انضم إليهم جلال الدين خوارزم شاه للقضاء على بدر الدين لؤلؤ والاستيلاء على الموصل، وبناءً على هذا الاتفاق، قام مظفر الدين كوكبري بمحاصرة مدينة الموصل في سنة 623هـ/1226م معتمداً على دعم حلفائه، إلا انه اضطر على الانسحاب عنها، بسبب عدم إيفائهم بالعهود التي قطعوها لبعضهم أثناء تحالفهم، فضلاً عن الظروف السياسية السيئة التي مرت بها الدولة الخوارزمية من ناحية، وما مر به أصحاب الإمارات الأخرى في بلاد الجزيرة من ناحية أخرى[3].

لقد دفع هذا التحالف بدر الدين لؤلؤ إلى الاستنجاد بالخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة 626هـ/1228م، للضغط على جلال الدين خوارزم شاه، ومنعه من مهاجمة صاحب الموصل، لما للخليفة من سلطة روحية عليه، إلا أن هذه المحاولة لم تجد نفعاً،

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص321 - 322 ؛ الغساني ؛ العسجد : ج1/ص365.

2 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص327، 354 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور وآخر(مطبعة دار الكتب، القاهرة : 1972م) :ج4/ص48.

3 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص367؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص213 ؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، 132 ؛ الغساني، العسجد :ج1/ص418.

وبقي جلال الدين يعامله باستصغار وعدم احترام [1]، مما أدى إلى بقاء العلاقات بين الطرفين غير مستقرة يخيم عليها التوتر والحذر، وعلى الرغم من ذلك لم تضعف قوة بدر الدين لؤلؤ، وإنما استمر في إقامة التحالفات مع الأمراء المجاورين، والدخول في تبعية هذا الأمير أو ذاك، وفق ما تتطلبه المصلحة السياسية لإمارته، فدخل في تبعية الملك الأشرف موسى في سنة 627هـ/1229م وبقي تابعاً حتى وفاة الأخير في سنة 635هـ/1237م [2]، فتحقق له بهذه الوفاة نوعاً من الاستقلال، إلا انه لم يستمر اكثر من سنتين، حيث دخل سنة 637هـ/1239م في تبعية للسلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو الثاني (635 - 641هـ/ 1237 - 1243م)، وتمكن خلالها من تحقيق مكاسب سياسية فضم مدينة سنجار لنفوذه في سنة 638هـ/1240م، بعد وفاة الملك الكامل[3] وبقي في طاعته للسلاجقة حتى وفاة الأخير في سنة 641هـ/1243م[4]، فاستقل بدر الدين لؤلؤ في حكم الموصل دون الخضوع لتبعية أي قوة سياسية، واستمرت هذه المرحلة لسنة واحدة فقط، دان بعدها بالولاء والتبعية للمغول في سنة 642هـ/1244م[5]، لتنتقل الموصل إلى مرحلة تاريخية جديدة، كانت الأمة الإسلامية تعيش خلالها ظروف عصيبة، وهذا ما سنتكلم عنه في أثناء الاحتلال المغولي للموصل وفي مبحث مستقل .

ثالثاً : الأوضاع السياسية في أمارة إربل قبيل الغزو المغولي

إن مدينة إربل (أربيل حالياً) واحدة من مدن العراق المعروفة من حيث العراقة

1- النسوي، المصدر نفسه، ص304، 384 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص14.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج9/ص381 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب :ج4/ص320 ؛ سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل (المطبعة السلفية، مصر : 1923م) :ج1/ص223 التكريتي،الأيوبيون، ص158.

3- للمزيد من التفاصيل ينظر : أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر :ج3/ص170 - 172.

4- قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص25 .

5- ابن ايبك، كنز الدرر : ج 8/ص45 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص315.

والقدم التاريخي عبر العصور، إذ يرجع تاريخ أول ذكر لها إلى 2000 سنة قبل الميلاد حسب أول ذكر ورد لها في النصوص التاريخية القديمة [1]، وتقع إلى الجهة الشمالية الشرقية من بغداد والى الشمال من الموصل على بعد 78 كم [2]، كما أنها أدت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث السياسية في المنطقة منذ دخول الإسلام إليها في حدود سنة 18هـ/639م، كجزء من حملة الفتوحات التي أرسلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقيادة عياض بن غنم[3] إلى بلاد الجزيرة وشمال العراق، وحققت نجاحاً كبيراً وفق ما رسم لها [4]، وبقيت على تلك الحالة من التبعية للدولة العربية الإسلامية طوال العصر الأموي والعباسي الأول، حتى دخلت في مرحلة جديدة أثناء التسلط البويهي والسلجوقي على مؤسسة الخلافة فيما بعد حالها حال الأقاليم الشمالية، وبعد مراجعة مصادر التاريخ الإسلامي نلحظ عدم ورود أي ذكر لمدينة إربل بشكل مباشر وصريح قبل النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، إذ أورد ابن الأثير أول ذكر لها في حوادث سنة 440هـ/1048م، في أثناء الحديث عن مقتل واليها واستمر في ذكرها في عدة مواضع وفي سنوات مختلفة من كتابه [5]، ذكرها ياقوت الحموي،

1- للمزيد عن موقع إربل وقدمها التاريخي ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية،ص121-122؛ هادي رشيد الجاوشلي، تراث أربيل التاريخي (مطابع جامعة الموصل، جامعة الموصل :1985م)، ص 17-27.

2- ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج1/ص137 - 140 ؛ هاشم خضر الجنابي، مدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر (مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل : 1987م)، ص17.

3- عياض بن غنم : هو عياض بن غنم بن زهير بن أبى شداد بن هلال بن وهب بن فهر القريشي، صحابي جليل أسلم قبل الحديبية، قاد عملية فتح الجزيرة وصالح أهلها، وهو أول من عبر الدروب إلى الروم، توفي سنة 20هـ/640م. للمزيد من التفاصيل ينظر : أبن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق : محمد إبراهيم البناء وآخرون (دار الشعب، بيروت : د.ت.) :ج2/ص327 – 328.

4- أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان، مراجعة : رضوان محمد رضوان (بيروت : 1978م)، ص200-201؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تأريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : 1979م) :4/ 157؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج1/ص137.

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج8/ص284 - 285 ؛ ج10/ص123، 441.

في مواضع متعددة من معجمه، أثناء الحديث عنها وعن قراها [1]، وفي سنوات مختلفة وصولاً إلى حقبة الضعف التي انتابت الدولة السلجوقية، وظهور نظام الأتابكيات في الموصل وبلاد الشام والجزيرة، فأصبحت إربل إمارة شبه مستقلة، كانت تتبع لهذه الأتابكية أو لتلك وفق ما تتطلبه مصلحتها السياسية، وقد تبعت لأتابكية الموصل في عهد عماد الدين زنكي، الذي عين صاحبه زين الدين علي كوجك التركماني[2] (539 - 563هـ/1144 - 1232م) أميراً على الموصل وإربل في سنة 539هـ/1144م، بعد مقتل نائبه فيها، فأدى دوراً كبيراً في الحياة السياسية في الموصل وإربل، وازدادت مكانته بعد مقتل عماد الدين زنكي في سنة 541هـ/1146م، وتولي ولده سيف الدين غازي (541 - 544هـ/1146 - 1149م) الذي اقره على ما كان بيده منذ أيام والده، فضلاً عن منحه حكم مناطق أخرى[3].

لم يتوقف طموح زين الدين كوجك هذا الحد بل اخذ بالتقرب أكثر من الأمير سيف الدين غازي، مقدماً له خدمات كبيرة وكثيرة من اجل تعزيز نفوذه، مما حدا بسيف إلى إسناد القيادة العامة للجيوش في أتابكية الموصل إليه، فتمكن من خلال هذا المنصب في توطيد نفوذ سيف الدين غازي ومده إلى بلاد الجزيرة وإخضاع عدد من المدن التابعة للأراتقة كنصيبين، فأصبح نائبه على قلعة الموصل وإربل، مما زاد من نفوذه ومكانته السياسية[4]، كما أسندت إليه سنجار في عهد الأمير قطب الدين مودود (544 - 565هـ/1149 - 1169م)، ونتيجة لما تمتع به من نفوذ واسع، لا سيما بعد أن أصبحت له كلمته المسموعة عند الأمير قطب الدين، بدأ يتدخل في النزاعات بين أبناء

1- للمزيد عن ذكر إربل راجع : معجم البلدان :ج1/ص137 - 140، 159، 201، 328،414، 476، 522-523 ؛ج2/ص41،22، 45، 226، 337،380، 456،458،503 ؛ج3/125، 137، 355، 375 - 376، 437 ؛ج4 /ص35، 470 ؛ ج5/197، 403.

2 - زين الدين علي كوجك : زين الدين علي كوجك بن بكتكين بن محمد تركماني الأصل وليس كردياً كما عده البعض، اشتهر بالعدل والإحسان في الرعية : للمزيد ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4/ص114 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج4/ص209 ؛ الصقار، إمارة إربل، ص47-46.

3 - ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص82 ؛ ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان :ج5/ص144.

4- للمزيد من التفاصيل للنظر : ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص90 - 93.

البيت الزنكي، كالنزاع الذي حدث بين الأمير قطب الدين مودود وعمه نور الدين زنكي[1]، فضلاً عن تدخله في الصراع بين السلاطين السلاجقة أنفسهم، كما حدث في سنة 551هـ/1156م وسنة 555هـ/1160م [2]، فضلاً عن تجرئه على الاشتراك في الحرب التي شنها السلاجقة ضد الخلافة العباسية في سنة 551هـ/1156م، عندما حاولوا فرض الحصار على بغداد في عهد الخليفة المقتفي (555-531هـ/1160-1136)[3]، إلا انه لم يلبث اعترف بذنبه بعد تأنيب نور الدين وتوبيخه له، وحثه على السعي لكسب رضا الخلافة العباسية، ففعل ما أُمِرَ به، وسار إلى بغداد في سنة 606هـ/1209م معتذراً من الخليفة المستنجد(565-555هـ/1170-1160م) عن فعلته، فسامحه الخليفة العباسي، ومنحه الخلع والهدايا [4].

كان الأمير زين الدين كوجك بموجب ما تمتع به من نفوذ، وما قدمه من خدمات للأسرة الزنكية مقرباً من الأتابكة وبشكل ملحوظ، إذ أصبح من ابرز رجالات الدولة الزنكية وأقربهم الى قلوبهم ، منذ ابتداء أمره في عهد عماد الدين زنكي، واستمر على هذه الحال حتى سنة 563هـ/1232م [5]، حيث تنازل عن قيادة الجيش ونيابة أتابكية الموصل، بسبب المرض الذي الم به بسبب كبر سنه، وإصابته بالعمى والصمم، كما انه تنازل وجميع أقطاعاته باستثناء إربل التي كانت مقر سكناه وسكنى أولاده، وفيها خزائنه وأملاكه، ودفن بها في السنة ذاتها [6].

1- ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص96 ؛ الصقار،إمارة إربل، ص 44.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج9/ص404،437 ؛ التاريخ الباهر، ص108 - 109.

3-ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج5/ص183؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج4/ص 182 ؛ تاريخ الإسلام :ج38/ص9.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج9/ص408 - 410 ؛ التاريخ الباهر، ص113 - 115 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج 13/ ص52.

5- ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ج9/ص342 ؛ ج10/ص 8 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات:ج20/ ص163.

6- ابو شامة، الروضتين :ج2/ص38 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4/ص114؛ ج7/ص148؛ الذهبي،تاريخ الإسلام : ج39/ص169 ؛ الصقار، إمارة إربل، ص 45؛حسين،اربيل في العهد الأتابكي،ص55.

تولى أبناء زين الدين كوجك حكم الإمارة بعد وفاته، وكان أشهرهم مظفر الدين كوكبري، الذي بقي على ولائه للبيت الزنكي كما كان أبوه، وعندما انتقل زمام الأمور إلى البيت الأيوبي الذي تزعم العالم الإسلامي، وشكل منه جبهة موحدة ضد الأخطار الخارجية، فأصبحت إربل إحدى المدن التابعة للنفوذ الأيوبي، وتحت حكم زين الدين يوسف[1] بن زين الدين كوجك حتى وفاته في سنة 586هـ/1190م [2]، بعد حكم دام تسع عشرة سنة، اشترك خلاله مع أخيه الأمير مظفر الدين كوكبري الى جانب الناصر صلاح الدين في جهاد الصليبيين [3].

تولى مظفر الدين كوكبري الحكم للمرة الثانية في سنة 586هـ/1190م بعد وفاة أخيه زين الدين يوسف، اثبت منذ البداية جديته وحزمه في تنظيم الشؤون الداخلية للإمارة، وتعزيز مركزه فيها، فقبض على زمام الأمور بيد من حديد مستفيداً من خبرته التي اكتسبها إلى جانب الناصر صلاح الدين، الذي ربطته به علاقة طيبة، فلبى نداء الناصر صلاح الدين للجهاد إلى جانبه ضد الصليبيين، وبقي حتى سنة 588هـ/1192م[4]، بعد وفاة الناصر صلاح الدين سنة 589هـ/1193م، انقسمت أملاكه بين أبنائه وأشقائه، ودب النزاع عدة مرات من أجل الاستحواذ على اكبر قدر ممكن من البلاد، إلا أن مظفر الدين كوكبري ظلت تربطه بهم علاقات طيبة، بحكم ما بينهم من علاقات مصاهرة من ناحية،

1- يوسف : هو زين الدين ابو يعقوب بن زين الدين على كوجك صاحب إربل، تولى حكمها بعد وفاة والده في سنة 563هـ/1232م، وبقي في حكمها إلى أن توفي في سنة 586هـ/1190م بظاهر عكا، وهو يجاهد الصليبيين إلى جانب الناصر صلاح الدين. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام :ج41/ ص258؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج29/ص115.

2- بهاء الدين يوسف بن رافع ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق : جمال الدين الشيال (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة : 1964م)، ص144.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج9 /ص 199 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4/ص115 ؛الذهبي،العبر في خبر من غبر :ج4/ص260 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج4/ص208.

4- أبو شامة، الروضتين :ج3/ص227 ؛ ج4/ص 111، 124 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج7/ ص169، 189؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج41/ص18، 23، 26 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج 6/ص39.

وتبعية سياسية لهم من ناحية أخرى، ولم يحاول الخروج عليهم وشق عصا الطاعة أو الاستيلاء على أراضٍ تابعة لهم،على الرغم من انشغالهم في نزاعاتهم الداخلية، بل عقد معهم العديد من التحالفات ضد الأخطار الخارجية التي هددت إماراتهم، كخطر صاحب الموصل في سنة 600هـ/1203م و601هـ/1204م [1]، كما انه اعتمد إتباع سياسة توازن القوى وإقامة علاقات حسنة مع الجميع فعمل على تقوية صلاته بالبيت الزنكي في أتابكية الموصل، من خلال إقامة مصاهرات سياسية معهم فزوج بناته الاثنتين من كل من الأمير عز الدين مسعود وعماد الدين ولدي الأتابك نور الدين [2]، وعلى الرغم من النتائج الايجابية لهذه المصاهرة مع البيت الزنكي، إلا أن آثارها كانت سلبية على الأمير مظفر الدين كوكبري، إذ اضطر بسببها الدخول في نزاعات البيت الزنكي على الحكم ومناصرة بعضهم ضد البعض الآخر، كما في نزاع سنة 615هـ/1218 الذي نشب بين صهره عماد الدين زنكي وابن أخيه نور الدين ارسلان شاه [3].

سعى مظفر الدين كوكبري إلى توسيع دائرة نفوذه على حساب أتابكية الموصل، بل عمل جاهداً من أجل التخلص من صاحبها بدر الدين لؤلؤ متذرعاً بمناصرة صهره عماد الدين،من أجل استعادة حقوقه، فهاجم الموصل في سنة 616هـ/1219م، إلا انه لم ينجح في تحقيق ما سعى إليه، وكانت نتيجة محاولته الفشل [4]، واضطر في سنة 617هـ/1220م إلى عقد الصلح مع بدر الدين لؤلؤ تحت ضغط الملك الأشرف موسى ابن العادل الذي لجأ إليه صاحب الموصل من ناحية [5]، وبدء الخطر المغولي من ناحية

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص283 - 285 ؛ حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 99-100.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص350 ؛ التاريخ الباهر، ص360 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2/ص136.

3-الصقار، إمارة إربل، ص 60.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ ص441؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج 3/ ص140؛ الغساني ؛ العسجد : ج1/ص365.

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص442 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص65 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج6/ص247.

أخرى [1].

في حين أشار الذهبي إلى أن الهجوم الذي شنه مظفر الدين كوكبري على الموصل كان في سنة 617هـ/1220م [2]، وهذا غير دقيق، وان التاريخ الأول 616هـ/1219م هو الأدق، وذلك لإجماع المؤرخين عليه، وانفراد الذهبي بهذه الرواية من جهة، وقرب هؤلاء المؤرخين من الحدث زمنياً بل معاصرتهم له من جهة أخرى، وبما أن الذهبي مؤرخ ثقة ومعروف بحياديته وموضوعيته، فربما يكون قد التبس عليه الأمر وخلط بين تاريخ الهجوم وتاريخ الصلح الذي عقد، لا سيما أن الهجوم وقع في سنة 616هـ/1219م، والصلح عقد بين الطرفين في 617هـ/1220م.

لم يغير مظفر الدين كوكبري سياسته، أو يتخلى عن طموحه في التوسع على الرغم من أن الخطر المغولي بدأ يطرق أبواب إربل في سنة 618هـ/1221م، فسعى إلى إقامة تحالف ضد الملك الأشرف موسى في سنة 621هـ/1224م، فاتفق على ذلك مع كل من الملك شهاب الدين غازي صاحب خلاط، والملك المعظم عيسى صاحب دمشق، إلا أن هذا المشروع لم ينجح بسبب ما كان يعانيه حليفاه من أوضاع سياسية سيئة من ناحية، وخشيتهم من الملك الأشرف من ناحية أخرى، فاتجه مظفر الدين كوكبري إلى الموصل وحاصرها، متناسياً ما قدمه صاحبها من مساعدة للتصدي للمغول، لكنه اضطر إلى الانسحاب عنها دون وقوع أي اشتباك[3].

كما تحالف مع جلال الدين خوارزم شاه وبعض أمراء الشام والجزيرة ضد بدر الدين لؤلؤ في سنة 623هـ/1226م [4]، بدلاً من تناسي الأحقاد، وتوحيد الصف لمواجهة الخطر المغولي الذي هددهم جميعاً، إلا أن هذا التحالف فشل بسبب ازدياد

1-ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص86، 90.

2- الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص63.

3-ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ ص441 - 442 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2 / ص142 - 143؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/104.

4 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص462؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص213 ؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، 132 ؛ الغساني، العسجد :ج1/ص418.

خطر المغول الذين هاجموا بلاد جلال الدين خوارزم شاه، مما جعل المنطقة مفتوحة أمام غارات المغول، لا سيما بعد أن زالت الدولة الخوارزمية التي كانت تمثل سداً منيعاً في وجوههم.

أما علاقة إمارة إربل بالخلافة العباسية، فكانت تدور في فلك القوى التي تتبعها، فتارة تكون إلى جانب السلاجقة، وتناصب الخلافة العداء، كما مر ذكره، وتارة مع صاحب الموصل، وتارة مع الأيوبيين، من حيث التبعية والاعتراف بسلطة الخلافة في بغداد، إلا أنها آثرت في نهاية المطاف التبعية المباشرة للخلافة دون وسيط، لتقف على قدم وساق حالها حال الإمارات المستقلة وتكون مساوية لجميع القوى السياسية، مما جعل أميرها مظفر الدين كوكبري محط احترام الخلافة واهتمامها، ويتضح ذلك بشكل جلي من خلال ما حظي به من اهتمام من جانب الخليفة المستنصر بالله، الذي دعاه لزيارة بغداد في أواخر سنة 627هـ/1230م [1]، فسر مظفر الدين كوكبري بهذه الدعوة وتوجه إلى بغداد في سنة 628هـ/1230م، حاملاً معه مفاتيح أربيل والقلاع التابعة لها لتقديمها للخليفة كنوع من التبعية المباشرة [2]، فاستقبله الخليفة استقبالاً مهيباً، ولم يعطف به على غيره من الأمراء إلا القليل منهم [3] حيث أصر الخليفة على أن ينزل ضيفاً عليه في قصر التاج[4] في بغداد[5]، وقدم له هدايا نفيسة كان بضمنها سيفان وفرس بسرج مذهب[6]، فضلاً عن الاتفاق بين ديوان الخلافة والأمير مظفر الدين كوكبري على تسليم

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 39؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص 129.

2- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 160.

3- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص159 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص 129.

4- قصر التاج : هو من أشهر قصور الخلافة، بني في عهد الخليفة هارون الرشيد في الجزء الشرقي من بغداد ويقع على ضفاف نهر دجلة. للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج2 /ص3 - 5.

5- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 160.

6- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 41؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج45/ ص44.

إربل إلى العباسيين بعد وفاته [1]، كما أصبح تابعاً بشكل مباشر للخلافة في بغداد، ومما يدلل على ذلك قيامه بقطع الخطبة للأيوبيين بمجرد عودته الى إربل،والاقتصار على اسم الخليفة العباسي فقط[2].

إن المكانة الكبيرة التي حظي بها الأمير مظفر الدين كوكبري عند الخليفة العباسي،الذي منحه الهدايا والخلع، جعل الخلافة تعتمد عليه في التصدي للمغول إلى جانب جيش الخلافة، كما في سنة 628هـ/1230م[3]، إلا أن كوكبري لم يتمتع طويلاً بما حققه من مكاسب سياسية واعتراف الخلافة به، بسبب مرضه الشديد الذي ألمّ به وكان سبباً في وفاته سنة 630هـ/1232م [4]، وانتقلت إربل بعد ذلك إلى تبعية الخلافة العباسية بشكل مباشر، وأصبح تعيين أميرها عن طريق الخليفة مباشر[5]، فكان ابن الصلايا[6] أول أمير عين عليها من قبل الخليفة المستنصر بالله.

*** *** ***

1- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص435.

2- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب : ج4/ص1559 ؛ قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص71؛ الصفار، إمارة إربل، ص 64.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص494 - 495 ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص132.

4-ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج4/ص114 ؛ اليافعي، مرآة الجنان : ج4/ص70 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص 135.

5 - أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق:أبو العبد دودو (مطبعة الحجاز، دمشق :د.ت.)،ص 253 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص-47 48؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص368.

6 - ابن الصلايا : هو محمد بن نصر بن يحيى الصاحب تاج الدين ابو المكارم بن صلايا، شيعي المذهب كان نائب الخليفة العباسي في إربل، كما انه كان من رجال العلم عاقلاً كريماً حازماً، كان بينه وبين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل تنافس شديد، فوشى الأخير عليه عند هولاكو فقتله في سنة656 هـ/1258م للمزيد ينظر : الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص296 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات :ج5/ص88 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص274.

رابعاً : الأوضاع السياسية في أتابكية سنجار قبيل الغزو المغولي

لم تكن أتابكية سنجار بمعزل عن الأوضاع السياسية التي سادت المنطقة قبيل الغزو المغولي للعالم الإسلامي في بداية القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، لا سيما أنها واحدة من المدن العامرة إلى يومنا هذا وأدت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث بحكم موقعها الجغرافي المتميز، إذ إنها تقع في شمال العراق على الطريق بين الموصل وحلب، وتشكل منطلقاً للسيطرة على المناطق الأخرى [1]، وليس في حقبة معينة بل عبر تاريخها الطويل،إلا أننا سنركز الحديث في هذا المبحث على الأوضاع السياسية التي عاشتها أتابكية سنجار قبيل الغزو المغولي الذي عاث فيها خراباً وتدميراً كما هو معروف عنه.

دخلت مدينة سنجار تحت السيطرة السلجوقية، كبقية المدن العراقية التابعة لنفوذ الخلافة العباسية في سنة 447هـ/1055م، واستمرت في تبعيتها المباشرة للدولة السلجوقية في عصر سلاطينها الأقوياء، وما أن انتاب الضعف سلطنة السلاجقة حتى أصبحت سنجار أتابكية مستقلة، كأتابكية الموصل وحلب ودمشق وغيرها، ليزداد دورها على الصعيد السياسي بشكل أكبر مما كانت عليه سابقاً.

أصبحت مدينة سنجار تابعة للدولة الزنكية منذ عهد عماد الدين زنكي، الذي فتحها في سنة 522هـ/1128م، بعد أن تم له ضم حلب إلى ممتلكاته [2]، وبقيت سنجار تابعة لأسرته ابتداءً بولده سيف الدين غازي وأخيه قطب الدين[3]، وكانت تحكم بشكل مباشر من قبل أمراء من البيت الزنكي، أو عن طريق نواب تابعين لهم حتى سنة 563هـ/1168م، عندما استولى عليها الأمير زين الدين كوجك صاحب إربل، فضلاً عن مناطق شاسعة من بلاد الجزيرة، إلا انه لم يلبث أن تنازل عنها للأتابك قطب الدين

1- لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص129 ؛ الصلابي، الدولة الزنكية (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت : 2007م)، ص92.

2- الصلابي، الدولة الزنكية، ص 92.

3- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص45- 55.

مودود [1]، ومن ثم آل حكمها إلى نور الدين محمود في سنة 565هـ/1169م بعد حصار اضطرها إلى الاستسلام وطلب الأمان، فسلم نور الدين حكمها لابن أخيه عماد الدين ابن أخيه قطب الدين (566 - 594هـ/1170 - 1197م) [2]، واشتملت المناطق التابعة لنفوذها في عهده على كل من الخابور والرقة ونصيبين وسروج وتل أعفر، فضلاً عن مناطق وقرى أخرى[3].

استمرت مدينة سنجار تابعة للزنكيين حتى خضوعها للناصر صلاح الدين في سنة 578هـ/1182م [4]، إلا أن الناصر صلاح الدين لم يلبث أن عقد اتفاق في السنة التالية مع عماد الدين زنكي الثاني بن قطب الدين مودود صاحب حلب، الذي تنازل له عن حلب مقابل منحه حكم سنجار وتوابعها [5] من جهة، وان يكون تابعاً للناصر صلاح الدين، ويقدم له الدعم في مجاهدة الصليبيين، كما حدث في سنة 583هـ/1187م و584هـ/1188م و586هـ/1190م[6].

توفي صلاح الدين في سنة 589هـ/1193م، فضعفت دولته، وانقسمت أملاكه بين أبناء أسرته، فأصبحت بلاد الجزيرة وخلاط من نصيب أخيه الملك العادل بما

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص106 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص294، 31.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص30، 31، 106؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر: ج4/ ص190 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص294، 301؛ الحنبلي، شذرات الذهب:ج4/ص، 216 - 276.

3- ابن شداد، النوادر السلطانية، ص55 -56 ؛ ابن العديم ؛ بغية الطلب في تاريخ حلب :ج8/ص3858؛ اليافعي، مرآة الجنان :ج3/ص477 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج12/ص226، 309.

4- عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين (مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان:1987): ج5/ص17؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص55 -56 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج12/ ص226، 309.

5 - الذهبي، تاريخ الإسلام :ج40/ص47، 53 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج12/ص313 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص 306 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب :ج5/ص316.

6- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص121، 166، 172، 193؛ للمزيد من التفاصيل عن هذه الاحداث ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص121 - 122، 146 - 147 ؛ اليافعي، مرآة الجنان: ج3/ص456.

فيها سنجار التي بقيت تحت حكم عماد الدين زنكي الثاني التابع للأيوبيين، فكان هذا الانقسام سبباً في طمع الكثير من الأمراء المجاورين فيها، وكان الأتابك عز الدين مسعود زنكي صاحب الموصل أحدهم، إذ سعى لاستعادة سنجار والمناطق التابعة لها إلى دائرة نفوذه، مستغلاً فرصة تأييد أخيه عماد الدين زنكي الثاني[1]، فكاتب امراء الأطراف التابعين له لكسب دعمهم وتأييدهم،إلا أنهم رفضوا القيام بمثل هذا الفعل وعلى رأسهم مظفر الدين كوكبري صاحب إربل، ولم يلق التأييد إلا من أخيه عماد الدين زنكي الثاني صاحب سنجار، وعلى الرغم من سعيه الحثيث، لم يمنحه القدر الفرصة استعادتها، إذ كان اجله قد دنى، فكانت وفاته في سنة589هـ/1193م سبباً في عدم اكتمال مشروعه [2].

بقي الأمير عماد الدين زنكي الثاني صاحب سنجار تابعاً للأيوبيين بعد وفاة أخيه عز الدين مسعود، وانتقل حكم أتابكية سنجار بعد وفاة عماد الدين زنكي في سنة 594هـ/1197م[3] إلى ولده قطب الدين محمد(594 - 616هـ/1197 - 1219)، الذي توسعت أعمالها في عهده لتشمل تل أعفر وبعض الأجزاء من بلاد الجزيرة كالخابور ومدينة نصيبين، التي حاصرها نور الدين ارسلان أتابك الموصل في سنة 600هـ/1203م [4]، رداً على تحالف ابن عمه قطب الدين مع الملك العادل الأيوبي الذي آل إليه حكم مصر وبلاد الشام، فأصبحت سنجار تابعة للملك العادل، وأقيمت الخطبة له فيها، وتم الدعاء باسمه على المنابر، مما أثار ذلك غضب صاحب الموصل الذي عده

1- هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، حرير : يوسف أيبش (المؤسسة العربية للدراسات، بيروت: 1973م)، ص 205 ؛ رشيد عبد الله الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل (دار النهضة، بيروت : 1970م)، ص170.

2-ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص227 ؛ التاريخ الباهر، ص185 ؛ أبو شامة، الروضتين : ج2/ص226 - 227 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب : ج3 /ص17 - 18.

3-ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص250 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج4/ 283 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج 13/ 16 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون:ج5/ص310، 311.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص290 ؛ اليافعي، مرآة الجنان :ج3/ص498.

نوعاً من أنواع التآمر والغدر من قبل قريبه صاحب سنجار، فهاجم نصيبين واستولى عليها وحاصر قلعتها، وكاد أن يستولي عليها لولا قيام مظفر الدين كوكبري صاحب إربل بمهاجمة الموصل لإجباره نور الدين على فك الحصار عن نصيبين، ويرجع هذا التحرك من قبل صاحب إربل إلى إيعاز من الملك العادل الأيوبي [1]، ففشلت بذلك محاولة نور الدين أتابك الموصل في الاستيلاء على واحدة من أهم المدن التابعة لأتابكية سنجار، بل هددت سنجار بعينها، لولا جهود صاحب إربل التي كانت السبب الرئيس في إبعاد خطر نور الدين زنكي عنها .

هاجم نور الدين أتابك الموصل تل أعفر في سنة 600هـ/1203م، واستولى عليها من ابن عمه صاحب سنجار، فاستنجد الأخير بالملك الأشرف، فاصطدم الاثنان بنور الدين في موقعة حققا فيها نصراً مؤزراً عليه [2] مما اضطره إلى طلب الصلح، الذي أعاد بموجبه مدينة تل أعفر إلى قطب الدين في سنة 601هـ/1204م[3]، أدرك بعدها الأتابك نور الدين عدم جدوى الاستيلاء على أتابكية سنجار وإخضاعها لتبعيته، إلا من خلال شق الصف بين خصميه قطب الدين محمد والملك العادل الأيوبي، لا سيما بعد ما جرى خلال سنة 600هـ/1203م فسعى إلى كسب الأخير إلى جانبه بشتى الطرق، فتم عقد مصاهرة سياسية تمثلت بزواج الأشرف ابن الملك العادل من ابنة نور الدين أتابك الموصل في سنة 605هـ/1208م [4]، اتفق الطرفان بعد تحسن العلاقات بينهما على اقتسام بلاد الجزيرة بينهما، فأصبحت الفرصة سانحة أمام نور الدين للقضاء على ابن عمه قطب الدين محمد أتابك سنجار وخلعه عن حكمها[5].

1- ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، منشور ضمن إعداد مجلة المشرق اللبنانية لسنة 1954م : مج48/ص424 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص120.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص290.

3- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5/ص313.

4- الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج4/ص311 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص37.

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص348.

على الرغم من العلاقات الحسنة بين الملك العادل وقطب الدين محمد أتابك سنجار، ومشاركة الأخير إلى جانب الملك العادل في حروبه كما في سنة 603هـ/1206م و605هـ/1208م [1]، إلا أن التقارب الذي حدث بين الملك العادل ونور الدين أتابك الموصل أثار مخاوف قطب الدين محمد أتابك سنجار، وحدث ما كان يخشاه، حيث سار الملك العادل على رأس قواته قاصداً بلاد الجزيرة في سنة 605هـ/1208م، فتمكن من الاستيلاء على الخابور ونصيبين من أعمال أتابكية سنجار، ومن ثمة توجه نحو سنجار نفسها، ففرض عليها حصاراً شديداً[2]، ونتيجة لوطأته كاد قطب الدين محمد أن يسلمها للعادل مقابل تعويضه باقطاعات أخرى، لولا امتناع أحد قادة قطب الدين وأقنعه بعدم الاستسلام، فصمد ودافع عن المدينة[3].

أما عن علاقة أتابكية سنجار بالخلافة العباسية في بغداد، فتتضح من خلال هذه الحادثة، حيث استنجد أتابك سنجار بالخليفة الناصر لدين الله وملوك الأطراف، وخاصة مظفر الدين كوكبري لما قدمه من خدمات جليلة للملك العادل من ناحية، وارتباطهم بعلاقات مصاهرة من ناحية أخرى، حيث كان مظفر الدين متزوجاً من ربيعة خاتون شقيقة الملك العادل، فضلاً عن تبعيته السياسية له، فأرسل قطب الدين ولده إلى إربل، ليتشفع صاحبها إلى العادل، ليرفع الحصار عن المدينة ويبقيها بيده، فوافق مظفر الدين كوكبري على القيام بدور الوسيط الشفيع، معتقداً أن نسيبه العادل لا يرد له طلباً، إلا انه صدم بعدم قبول شفاعته، كما أدرك أن الملك العادل لم يعد يبالي برضاه أو غضبه، لا سيما بعد تحسن العلاقات بين الملك العادل ونور الدين أتابك الموصل، وتصاهرهم في

1- الحموي، التاريخ المنصوري، ص52، 57.

2- ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق : خليل المنصور (دار الكتب العلمية، بيروت: 1996م)، ص449 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص15؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص125.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص348 - 349 ؛ التاريخ الباهر، ص 197 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب : ج3 /ص193.

سنة 605هـ/1208م [1].

في الحقيقة إذا ما نظرنا ملياً في الأوضاع السياسية السائدة في المنطقة آنذاك، نجد أن سعي مظفر الدين كوكبري صاحب إربل، لم يكن حباً بقطب الدين محمد أو خشية على عرشه بقدر ما هو خوفاً من أطماع الملك العادل، إذا ما تم له الاستيلاء على سنجار، لذا فقد سعى جاهداً لإبعاد خطره عن سنجار وعن المنطقة بالكامل، فوجد من الضروري تحسين العلاقات مع أتابكية الموصل، على الرغم من الخصومة السابقة بينهما[2]، إذ راسل صاحبها وحذره من مغبة سيطرة الملك العادل على سنجار، الذي ربما يهاجمهما، وما عليهما إلا أن يتخذا موقفاً جدياً إزاء حصاره لسنجار، لم يكتف مظفر الدين بمراسلة نور الدين أتابك الموصل، بل أرسل رسولاً إليه يحمل مشروعاً، فتم عقد اتفاقية دفاع مشترك، ومساعدة أتابك سنجار، فسار مظفر الدين إلى الموصل واجتمع مع نور الدين [3].

سعى كل من صاحب إربل والموصل الى كسب تأييد الأمراء المجاورين لمواجهة الملك العادل والضغط عليه لفك الحصار عن سنجار، كالملك الظاهر غازي بن صلاح الدين (582 - 612هـ / 1186- 1215م) صاحب حلب، السلطان السلجوقي كيخسرو الأول (588 - 607هـ/1192 - 1210م) صاحب بلاد الروم، ، الذين وافقا على الانضمام إلى صاحبي إربل والموصل، ومهاجمة الملك العادل، إذا لم يرفع الحصار عن سنجار، ويوافق على عقد الصلح مع صاحبها [4]، كما أنهما لم يكتفيا بذلك بل راسلا الخليفة الناصر لدين الله وطلبا منه مكاتبة الملك العادل ليرفع الحصار عن سنجار، فأرسل الخليفة وفداً الى الملك العادل، يعرض عليه التفاوض مع أتابك سنجار، فامتثل

1-ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص 348 - 350؛ ابن واصل، مفرج الكروب : ج3 /ص-193 194؛ ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق : مج38/ص431 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص314.

2- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص140 .

3-ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص349 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب : ج3 /ص193.

4-الحموي، التاريخ المنصوري، ص ٥٩.

الملك العادل لأمر الخليفة، وعقد الصلح بينهما، واحتفظ بموجبه العادل بالمناطق التي استولى عليها، أما سنجار فتبقى بيد صاحبها قطب الدين محمد [1]، وعلى الرغم من ذلك انضم صاحب سنجار في سنة 607هـ/1210م إلى الاتفاق الذي عقد بين ملوك الجزيرة وصاحبي الموصل واربل، فضلاً عن الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب وصاحب الروم، كما راسلوا ملك الكرج الذي أبدى استعداده لمهاجمة الملك العادل، فكان الراي موحداً على عزله وإقامة الخطبة باسم صاحب الروم، إلا أن جهودهم باءت بالفشل، إذ حقق ابنه الأوحد صاحب ميافارقين انتصاراً عليهم أسر خلاله ملك الكرج، فاضطروا على عقد الصلح مع العادل والاعتذار منه والخضوع لطاعته[2].

أصبحت بلاد الجزيرة وخلاط تحت حكم الملك الأشرف موسى بن العادل بعد وفاة والده في سنة 615هـ/1218م، كما كانت أتابكية سنجار تحت حكم قطب الدين محمد، وواحدة من أجزاء بلاد الجزيرة التي سعى الملك الأشرف للسيطرة عليها، إلا أنها استعصت عليه في البداية، كما استعصت على والده من قبل، وعلى الرغم من ذلك لم ييأس الملك الأشرف، الذي تمكن من السيطرة على مدينة تلعفر التابعة لها في سنة 615هـ/ 1218م، بالتحالف مع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل [3].

توفي قطب الدين محمد في سنة 616هـ/1219م فتولى الحكم ولده عماد الدين شاهنشاه (616هـ/-1219م)، واستمر في تبعيته للأيوبيين، إلا انه لم يلبث أن قتل بعد عدة أشهر من توليه الحكم في سنجار، في أثناء زيارته لتلعفر على يد أخيه عمر ومجموعة من أتباعه، فتولى الأخير حكم الأتابكية [4].

1ـابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص350 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص450؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص67 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب : ج3 /ص197.

2ـابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص56 - 57.

3ـابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص387 - 388.

4ـ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص63 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2/ص134 ؛ اليافعي، مرآة الجنان :ج4/ص35 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص318.

استمال مظفر الدين كوكبري بعض قادة الملك الأشرف كالأمير ابن مشطوب الذي دخل في معركة خاسرة مع القوات الأيوبية في سنة 616هـ/1219م وفر إلى سنجار، إلا أن أتابكها ألقى القبض عليه، وأراد أن يسلمه للملك الأشرف، لكن قدرة ابن مشطوب على الإقناع أثرت فيه، إذ تمكن من كسبه إلى جانبه بل أقنعه بالخروج على طاعة الملك الأشرف، وأخذا بمهاجمة أملاكه معاً، ولم يكتفيا بذلك بل بدأ ابن مشطوب بشن غاراته على أعمال الموصل القريبة متخذاً من سنجار مقراً له، كما انه ترك سنجار متوجهاً إلى تلعفر التابعة لها، مما أثار ذلك مخاوف بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فسعى لإلحاق الهزيمة به في سنة 617هـ/1220م، وعلى الرغم من الاستيلاء على تلعفر، إلا انه لم يتمكن القبض عليه، فأعد خدعة نجح من خلالها بإلقاء القبض على ابن مشطوب وسلمه للملك الأشرف في السنة ذاتها، وبقي سجيناً في حران حتى فاته سنة619هـ/ 1222م [1].

إن إيواء أتابكية سنجار لابن مشطوب أثار غضب الملك الأشرف موسى، إذ عدّ هذا الفعل خروجاً على طاعته، فسار إلى بلاد الجزيرة في سنة 617هـ/1220م، واخضع لطاعته عدداً من مدنها، ثم توجه إلى سنجار للاستيلاء عليها انتقاماً من أتابكها، وفي أثناء سيره ورد إليه رسل الأتابك، وهم يحملون مشروع صلح وعقد اتفاق، يتضمن تنازل الأخير عن سنجار للملك الأشرف، على أن يعوضه بمدينة الرقة، فوافق الملك الأشرف، وعقدت الصفقة التي تسلم للأتابك عمر بن قطب الدين زنكي(-616 617هـ/1219 - 1220) بموجبها الرقة، كما سلم سنجار للملك الأشرف في مستهل جمادي الأولى من السنة ذاتها، وخرج منها آخر ملوك البيت الزنكي مع أسرته بعد أن استمر ملكهم لها أربعاً وتسعين سنة[2]، لينتقل حكمها للأيوبيين بشكل مباشر، ويتولاه

1-ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص388 - 389 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج 2/ ص137 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص92.

2- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص136 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5/ص318، 320 ؛ الحنبلي ؛ شذرات الذهب :ج5/ص70.

الأشرف موسى الذي استمر في حكمها حتى وفاته في سنة 635هـ/1237م، فدخلت خلالها في علاقات متباينة مع القوى والإمارات المجاورة، كالموصل التي سار الأشرف للاستيلاء عليها، إلا انه لم ينجح إلا في الاستيلاء على قلاعها، التي سلمها في النهاية لصاحب الموصل بموجب الصلح المعقود بينهما، ودخلت الموصل في تبعية الملك الأشرف، وسلم إليه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قلعة تلعفر لتبعيتها لسنجار منذ وقت طويل [1].

بعد وفاة الملك الأشرف في سنة 635هـ/1237م، أصبحت سنجار تابعة لصاحب الجزيرة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل (635-637هـ/1237-1239م)، وعندما تآمر مقاتلو الخوارزمية على قتله، فر من حران إلى سنجار، فاستغل بدر الدين لؤلؤ هذه الفرصة فهاجم سنجار، إلا أن الملك الصالح خيب آماله، من خلال الصلح الذي عقده مع الخوارزمية لبى بموجبه كل طلباتهم، على أن يهاجموا بدر الدين لؤلؤ، فهاجموا قوات الموصل ليلاً، والحقوا بها هزيمة منكرة، ومما يدلل على شدتها نجاة لؤلؤ من القوات الخوارزمية بأعجوبة، وفراره إلى الموصل [2].

انتقل حكم سنجار والرقة وعانة إلى الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل أيوب في سنة636هـ/1238م، بعد أن استبدلها بدمشق مع الملك الصالح أيوب بن الكامل[3]، الذي لم ينس له بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الهزيمة التي مني بها بسببه على يد القوات الخوارزمية أثناء حصاره لسنجار في سنة 635هـ/1237م [4]، فجهز قوة عسكرية كبيرة لمهاجمة سنجار في سنة 638هـ/1240م، وانتزاعها من الحكم

1-ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص389، 390، 397 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5/ ص318، 320.

2-الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص141؛ اليافعي، مرآة الجنان : ج4/ص87 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5 /ص323، جب، صلاح الدين، ص222.

3- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب : ج 4 / 1809 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج 2/ ص 163، 166.

4-المقريزي، السلوك :ج1/ص384.

الأيوبي في عهد الملك الجواد، لتدخل ضمن دائرة نفوذه، وبقيت حتى وفاته في سنة 657هـ/1259م، وقسمت إمارته بين أبنائه، فأصبحت سنجار من نصيب ولده المظفر علاء الدين علي[1]، الذي هرب منها فدخلها المغول.

*** *** ***

1-ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص195.

الفصل الرابع

الزحف المغولي لاحتلال العراق والقضاء على الخلافة العباسية

أولاً : المحاولات المغولية الأولى لاحتلال إربل

بعد اكتساح المغول لأراضي الدولة الخوارزمية في سنة 618هـ/1221م، والقضاء على قدراتها وإضعاف قوتها العسكرية بالكامل، بدأت جيوش المغول بالتوجه من مدينة مراغة[1] عاصمة بلاد أذربيجان نحو أراضي الشمال العراقي مبتدئة بمناطق نفوذ واحدة من كبريات الإمارات التي تأسست على الأراضي العراقية، واستقلت عسكرياً وإدارياً واقتصادياً وهي إمارة إربل، مما أثار الرعب والخوف في قلوب السكان، لما سمعوا عن المغول من حبٍ للتخريب والدمار، وسفك للدماء، وانتهاكٍ للأعراض في جميع المدن والبلدان التي احتلوها دون مراعاة طفلٍ أو امرأة أو شيخ كبيرٍ عاجزٍ وأعزلٍ من السلاح، فوجد الكثير منهم إن الفرار قبل وصولهم خير وسيلة للنجاة من بطشهم[2]، فلم يجد مظفر الدين كوكبري أمير إربل سبيلاً للخلاص من هذه المحنة، والوقوف في وجه هذه الهجمة، سوى الاتصال بالأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، باعتباره اقرب قوة إسلامية إليه، فأرسل إليه بقوة عسكرية موصلية لنجدته [3]،كما أرسل الخليفة الناصر إليهم كتاباً يأمرهم فيه بالمسير إلى داقوق للتصدي لتلك الغارة [4]، مما أدى إلى انسحاب القوات المغولية بمجرد سماعهم لأخبار مسير هذه النجدة إلى إربل،لا سيما أنهم اعتقدوا أن قوات الخلافة العباسية لابد أن تأتي في أثرها من ناحية، ووعورة المنطقة

1- مراغة : عاصمة بلاد اذربيجان اتخذها المغول مقراً لهم وقاعدة عسكرية لانطلاقهم نحو إربل وغيرها من المدن العراقية. ينظر : حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 231.

2- ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص 87.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج 10/ص412 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص65؛ ابن كثير، المصدر نفسه : ج13/ص 90.

4- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5/ص133.

وطبيعتها الجبلية ذات الدروب الضيقة التي تربط بين إربل وأذربيجان، ولا تسع إلا لمسير فارس واحد من ناحية أخرى، كما أسهم أيضاً في اضطرار المغول إلى تغيير وجهتهم[1]، فضلاً عن قيام الأمير مظفر الدين كوكبري صاحب إربل، بشحن الدربندات [الطرق والممرات الجبلية الضيقة] بالمقاتلين الأكراد، لشن الغارات الليلية المباغتة على القوات المغولية، لتكبيدها بأكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية[2]، فكان هذا الانسحاب سبباً في عدم وقوع إية صدام عسكري مباشر بين القوات المغولية وقوات الأمير مظفر الدين كوكبري[3].

انشغلت الإمبراطورية المغولية بأوضاعها الداخلية واختيار خان جديد بعد وفاة جنكيزخان، وحروب الإمبراطورية المغولية في بقية الجبهات، مما أدى إلى عدم قيام القوات المغولية بالهجوم على الأراضي العراقية، إلا بعد انتهائها من القضاء على الدولة الخوارزمية بشكل نهائي، ومقتل السلطان جلال الدين خوارزم شاه في سنة 628هـ/1230م[4]، فأكملت طريقها نحو بلاد الجزيرة وهاجمت آمد وارزن وميافارقين وماردين ونصيبين، فنهبتها وقتلت كل من وقع أمامها، ومن ثمة توجهت منها إلى الحدود الشمالية من الأراضي العراقية حيث مدينة سنجار التي هاجمتها ملحقة بها الدمار والخراب، وسار قسم منها بمحاذاة نهر دجلة مستبيحاً عدداً من أعمال الموصل وإربل[5]، وما أن أدرك مظفر الدين كوكبري صاحب إربل حجم الخطر الذي بدأ يلوح

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج 10/ص412 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص65 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص 90.

2- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج 44 /ص48؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص 133.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج 10/ص412 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص65؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص 90.

4- للمزيد من التفاصيل عن انشغال المغول بتنصيب خان جديد وعن مقتل جلال الدين وحملة 628هـ/1230م على إربل ينظر : إقبال، تاريخ المغول، ص139، 161، 163 -167.

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص494 - 495 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ ص167.

على مقربة من إمارته، حتى بادر بإرسال الرسل إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لطلب النجدة والمساعدة، فأرسل إليه الأخير بقوات عسكرية وصلت إلى مدينة إربل، إلا أنها لم تصطدم بالقوات المغولية، لانسحابها من الأراضي العراقية عائدة إلى اذربيجان مما جنب مدينة إربل ويلات الدمار والخراب التي عانت منها البلاد التي غزاها المغول[1].

عاودت القوات المغولية الكرة، وهاجمت الأعمال التابعة لإمارة إربل في سنة 629هـ/1231م[2]، بعد أن وجدت الأبواب مشرعة لغزو الأراضي العراقية، نتيجة للأوضاع السياسية السيئة التي كانت تعاني منها القوى الإسلامية في إربل والموصل والجزيرة وبلاد الشام وعلى رأسها الخلافة العباسية وعلى المستوى الداخلي والخارجي[3]، فكانت شهرزور أولى الأعمال الإربلية التي أغارت عليها، وارتكبت فيها شتى أعمال السلب والنهب والتدمير وسفك الدماء، فأرسل الأمير مظفر الدين كوكبري كتاباً إلى الخليفة المستنصر بالله، يطلب منه إرسال قوة عسكرية لنجدته، فأنفق الخليفة الأموال على تجهيز العساكر، وأرسل إلى البلاد التابعة له لحشد القوات وإرسالها لإنجاد إربل، وبعد أن أكمل الخليفة تهيئة النجدة، جعل عليها الأمير جمال الدين قشتمر الناصري ومعه عدد من الأمراء [4]، ووصلوا إلى معسكر الأمير مظفر الدين كوكبري الذي أقامه بالقرب من الكرخيني [كركوك حالياً][5]، وقاموا فيها مدة يسيرة لإنهاء

1- ابن الأثير، المصدر نفسه : ج10/ص494 ؛ ابن خلدون، المصدر نفسه : ج5/ص167 ؛ محمد جميل الروزبياني، داقوق «دقوقاء» في التاريخ (د.م،د.م. : 1954م)، ص406.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، ص48 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج 5/ص113 ؛ سير أعلام النبلاء :ج23/ص162 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص132 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص76.

3- إقبال، تاريخ المغول، ص 168.

4- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص338 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب :ج5/ص129.

5- الكرخيني : مدينة فيها قلعة قديمة على تل عالٍ في ارض منبسطة حسنة حصينة، تقع بين أربيل وداقوق كانت تعرف باسم كوركورا، ومنه جاءت تسمية (بابا كوركور)، ثم عرفت باسم (كرخ سلوخ) نسبة إلى السلوقيين، ثم تطور اسمها إلى كرخيني وكركيني وكركوت وكركوك، قل عدد سكان هذه المدينة في العهد الإسلامي، فأصبحت تابعة لداقوق . للمزيد من التفاصيل ينظر: الروزبياني، داقوق، ص302 - 403، هامش رقم (172).

الإعدادات، ومن ثمة انطلقوا نحو شهرزور، وقبل وصولهم إليها وردت إليهم الأخبار بان القوات المغولية انسحبت عائدة إلى مراغة، خشيةً من الاصطدام بقوات الخلافة وإربل التي يقودها الأمير مظفر الدين كوكبري والأمير جمال الدين قشتمر، فعادت القوات الإسلامية كل إلى بلدها بعد أن زال الخطر المغولي عن إربل [1].

لقد كانت وفاة مظفر الدين كوكبري في سنة 630هـ/1232م [2]، وامتناع الأهالي عن تسليم المدينة للخلافة بموجب الاتفاقية التي عقدت بينه وبين الخليفة العباسي المستنصر بالله، سبباً في قيام الأخير بتسيير قوات عسكرية إليها، وفرض السيطرة عليها بالقوة [3]، وتم استدعاء والي البصرة شمس الدين باتكين وتعيينه [4]حاكماً تابعاً للخليفة بشكل مباشر [5].

على ما يبدو أن الأوضاع التي عاشتها إربل بعد وفاة مظفر الدين كوكبري، وصراعها مع الخلافة كان لها دور كبير في إضعاف قوتها نوعا ما، ومحفزاً للقوى الخارجية على مهاجمتها .

على الرغم من الأوضاع التي ذكرناها آنفاً لم تتعرض إربل لغارات المغول

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص48 - 52 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر:ج5/ص113؛ سير أعلام النبلاء :ج23/ص162 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص132.

2- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص188 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص77.

3 - ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص135.

4- شمس الدين باتكين : هو أبو المظفر شمس الدين أصلان باتكين بن عبد الله الرومي الناصري وال، من العلماء الشعراء، كان مملوكا لعائشة بنت الخليفة المستنجد بالله، وخدم في الجيش، وأقام بتكريت مدة، وعين على البصرة في سنة 628هـ/1230م، استدعاه الخليفة المستنصر بالله إلى بغداد وعينه قائداً فبقي فيها حتى وفاته سنة 640هـ/1242م. ينظر : ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص127 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان : ج3/ص504 ؛ الروزبياني، داقوق، ص 410، هامش رقم (201).

5- أبو الفضائل، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، ص 253 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص47- 48، 70 - 71 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء :ج23/ص163 ؛ حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص160.

بعد الغارة التي تعرضت لها أعمالها في سنة 629هـ/1231م في عهد مظفر الدين كوكبري[1]، إلا بعد مرور أربع سنوات[2]، عندما أغارت القوات المغولية على إربل في سنة 633هـ/1235م، إلا أنها لم تحقق مكاسب كبيرة[3]، بفضل الموقف البطولي للأمير شمس الدين باتكين المعين من قبل الخليفة، إذ قاد الأهالي وتصدى لهم بكل شجاعة، ودارت بينهما وقعة قتل خلالها وجرح العديد من كلا الطرفين، وأجبرت هذه المقاومة القوات المغولية على الانسحاب عن إربل، فغادرتها متوجهة نحو الموصل ، ومنها عادت إلى بلادها بعد ممارسة أعمال السلب والنهب، وكان هذا الانسحاب بضغط من الخلافة العباسية التي سيرت القوات للتصدي لهم[4].

لقد أجمعت المصادر التاريخية على أن تاريخ هذه الغارة كان في سنة 633هـ/1235م، أما الذهبي فقد انفرد بالإشارة من خلال كتابه سير أعلام النبلاء إلى أنها وقعت في سنة 632هـ/1234م[5] ، والأرجح والأدق هي الرواية الأولى، وذلك لإجماع المؤرخين عليها وانفراد الذهبي من ناحية، كما أنهم أقدم زمنياً واقرب للحدث من الذهبي من ناحية أخرى، كما أن ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه تناقض الذهبي في الإشارة إليها من خلال مؤلفاته الأخرى، ففي كتابة العبر يشير إلى أنها كانت في سنة 633هـ/1235م[6] وفي كتاب سير أعلام النبلاء يشير إلى أنها كانت في سنة 632هـ/1234م، وبما انه من المؤرخين الثقاة فان هذا يدفعنا إلى الاعتقاد بوقوع احد الأمرين إما اللبس في التدوين،

1- المقريزي، السلوك :ج1/ص76.

2- انشغلت القوات المغولية خلال هذه السنوات باحتلال ما تبقى من بلاد أذربيجان وجيلان التابعة للدولة الخوارزمية من ناحية، واكتساح الأراضي الأرمينية. ينظر : إقبال، تاريخ المغول، ص167 - 168.

3- الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5 /ص132 - 133 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ ص159؛ الروزبياني، داقوق، ص 407.

4- ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص 436، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص113 - 114.

5- سير أعلام النبلاء :ج23/ص164.

6- الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص132.

أو خطأ في أثناء نسخ الكتاب.

وعلى الرغم من الفشل المغولي في هذه السنة، إلا أنهم لم يلبثوا أن أعادوا الكرة في سنة 634هـ/1236م، وأغاروا على إربل وفرضوا عليها حصاراً شديداً [1]، استمر أربعين يوماً[2]، وقد قدرت المصادر التاريخية عدد تلك القوات بثلاثين الف مقاتل مغولي، مما سهل عليهم عملية احتلال ربض[3] المدينة ودخوله، بعد أن نصبوا المجانيق عليها مركزين برميهم على جهة معينة من السور، ونجحوا في هدم قطعة منه، فدخلوا عن طريقها، ثم استباحوا المدينة وسفكوا دماء الكثير من السكان العزل من نساء وأطفال وشيوخ، ((نزل التتار على إربل وحاصروها وأخذوها بالسيف حتى جافت المدينة بالقتلى)) [4].

لقد زادت وحشية المغول وممارساتهم في المدينة من مخاوف السكان، فهربوا إلى قلعة المدينة واعتصموا فيها وأغلقوا أبوابها [5]، وكان ابن المستوفي من جملة المعتصمين بها[6]، ففرضت القوات المغولية حاصراً طويلاً عليها أضر بالأهالي كثيراً، فاضطر الأمير باتكين إلى طلب الصلح من المغول، وعرض عليهم دفع مبلغ كبير من المال، فخدعه القائد المغولي بالموافقة، وما أن قدم إليه الرسل للتفاوض حتى ألقى القبض عليهم، واستولى على ما معهم من أموال، فبقي الأهالي على موقفهم الصمودي

1- الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص136؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ص181 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص168.

2-ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص 436 ؛ تاريخ الزمان، تعريب : الأب اسحق أرملة (دار المشرق، بيروت :1986م)، ص283.

3- ربض : الربض ما حول مدينة أو قصر من مساكن جند أو غيرهم ومسكن كل قوم على حيالهم ربض ويجمع على أرباض. ينظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق : مهدي المخزومي وأخر (دار ومكتبة الهلال، د.م: د.ت.) :ج7/ص36.

4- الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ ص159.

5- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص127 - 128 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص145 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ج6/ص296.

6- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 282 .

بعد أن ينسوا من وفاء المغول بوعودهم[1].

وعندما وصلت الأخبار إلى بغداد في السابع عشر من شوال، أرسل الخليفة المستنصر بالله قوة عسكرية لنجدتها بلغ تعدادها ثلاثة الاف فارس أعدها وسيرها خلال ثلاثة أيام، لتكون تحت إمرة شمس الدين باتكين أمير إربل وقائد عسكرها، واتبع الخليفة هذه القوة بدفعات من المقاتلة كان على رأسها عدد من الأمراء، وهم مجاهد الدين أيبك الدويدار وشرف الدين إقبال الشرابي وبرفقته مجموعة من الأمراء والمماليك، لم يقتصر موقف الخليفة على اتخاذ هذا الإجراء فقط، بل قام بجمع المدرسين والفقهاء واستفتاهم في أولوية الجهاد أم الحج إذ ما اتفق وقتهما،فأفتوا بان الجهاد أولى، مما حدا به إلى إعلان الجهاد وإيقاف الحج لهذه السنة، وأمر الفقهاء والمشايخ والمدرسين برمي النشاب والاستعداد للجهاد في سبيل الله، وتم نصب المجانيق على سور بغداد، وأصلح الخندق المحيط ببغداد [2].

لم تتمكن القوات المغولية من اقتحام القلعة واحتلالها، فانسحبت إلى بلادها تجر أذيال الخيبة[3] على الرغم من شدة الحصار المفروض على القلعة وقوة الآلة العسكرية المغولية من ناحية، وما قابلها من نقص في أرزاق السكان وذخيرتهم داخل القلة وشحة الماء التي أودت بحياة عدد كبير منهم من ناحية أخرى، فضلاً عن الإمدادات التي وصلت للقوات المغولية من طرف صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ مما قواها، وعزز قدرتها على الاستمرار في الحصار،، فأسهم بالتالي في إطالة أمد الحصار [4].

بعد أن وصلت أخبار مسير قوة كبيرة من جيش الخلاقة لنجدة المدينة، انسحبت القوات المغولية، ولم تصل أيديها إلا إلى ربض المدينة، ونهب ممتلكات السكان

1- ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص58؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص145.
2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص128-127.
3- ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص58 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص145.
4- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص128.

وتخريب الدور، وقتل من وصلت إليه أيديهم من الأبرياء [1]، فعادت القوات العباسية وأمراؤها المنضوون تحت قيادة الأمير شرف الدين الشرابي إلى بغداد بعد أن انتفت الحاجة دون أن تصطدم بالقوات المغولية فدخلت بغداد في الثالث عشر من محرم سنة 635هـ/1237م[2]، وقد نظم الشعراء القصائد في حصار المغول لإربل في هذه السنة، ومنهم الشاعر وردا الإربلي الذي قدم وصفاً دقيقاً للأعمال الإجرامية التي مارسها الجيش المغولي[3] .

كما يمكننا أن نضيف سبباً رئيسا آخر إلى جانب الأسباب الآنفة الذكر التي ساعدت على صمود إربل بوجه الغارات المغولية، وهو حصانة قلعتها التي تميزت بموقعها وقوة بنائها، مما اعجز المغول عن اقتحامها، على الرغم مما عرفوا به من إمكانات ومهارات عالية في مجال حصار المدن والقلاع واقتحامها [4]، حيث وصفتها المصادر التاريخية القديمة بأنها من القلاع الفريدة من نوعها، والتي ليس لها شبيه [5]، مما مكنها من مقاومة الغزو المغولي لتسع وثلاثين سنة.

لم تلبث القوات المغولية ان توجهت نحو شمال العراق مرة أخرى في سنة 635هـ/1237م [6]، ففي شهر صفر من هذه السنة وصلت الأنباء إلى أهالي إربل بمسير قوات مغولية ضخمة إلى إمارتهم، مما أثار الهلع والخوف في قلوبهم، خشية تكرار المأساة التي حدثت في السنة الماضية، فبدأوا بالفرار من المدينة، وتبعهم سكان

1- ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص58-59 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ ص136 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ج6/ص296 - 297.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص137 - 138.

3- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 301 .

4- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 290.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج1/ص138 ؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ ص298.

6- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص284 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء :ج23 /ص164 ؛ المقريزي، السلوك : ج1/ص80.

القلعة تلافياً لوقوعهم تحت طائلة القوات المغولية فيحاصرون مرة أخرى، فما كان من زعيمها الأمير شمس الدين باتكين، إلا أن خرج على رأس القوات الموجودة فيها إلى ظاهر المدينة، وبدأ بالاستعداد للمواجهة والذود عنها، ونظم الحراسة حولها، ونتيجة لذلك غيرت القوات المغولية وجهتها تاركة المدينة دون أن تتعرض لها، لا سيما بعد أن أدرك قائدها صعوبة اقتحام المدينة فقصدت منطقة داقوق[1]، وأعمال بغداد، فتصدت قوات الخلافة العباسية لها بكل شجاعة وحققت عليها انتصاراً باهراً ملحقة بها أفدح الخسائر[2].

بعد هزيمة القوات المغولية أصدر الخليفة المستنصر بالله أوامره إلى الأمير ابن الصلايا بالتوجه إلى إربل، لتجديد سورها وترميم ما دمر منه، وإعادة بناء ما خرب من مساكن الرعية، ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان، وأرسل معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها، كما عين بهاء الدين أيدمر الأشقر أميرا عليها بعد أن ترك باتكين ولايتها، واستقر ببغداد في خدمة الخليفة، وبقي فيها حتى وفاته سنة 640هـ/1242م [3].

تعرضت المنطقة الجبلية الواقعة على الحدود العراقية المجاورة لبلاد فارس، والتابعة لأعمال إربل لغارة مغولية في سنة 650هـ/1252م، ألحقت بسكانها الأكراد خسائر بشرية ومادية فادحة، نتيجة لأعمال السلب والنهب والقتل التي ارتكبتها القوات المغولية بحقهم، ومنها توجهت نحو بلاد الجزيرة، واستولت على قافلة متجهة من بلاد الروم إلى بغداد ، فكتب الأمير تاج الدين ابن الصلايا والي إربل إلى بغداد يعلمهم

1- داقوق او دقوقاء : بفتح أوله وضم ثانيه وبعد الواو قاف أخرى وألف ممدودة ومقصورة مدينة بين إربل وبغداد معروفة لها ذكر في الأخبار والفتوح. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج2/ ص459، وهي بلدة وسطى هواؤها أصح من هواء بغداد، وفيها نهر يجري في ارض رملية ويصب في دجلة في موسم الفيضانات، ويسمى اليوم بنهر العُظَيم. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ص120-121.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص137 138-.

3- ابن الفوطي، المصدر نفسه، ص139، 210.

بالأمر، ويحذرهم مما قد يحدث، إذ ما توجهت تلك القوات للإغارة على بغداد والأعمال التابعة لها، إلا أنها سرعان ما انسحبت إلى أذربيجان [1] دون التعرض لإربل

في الحقيقة إن الغارات المتعددة التي شنتها القوات المغولية على شمال العراق التابعة لسلطة الخلافة العباسية بشكل مباشر، لم تكن إلا غارات استطلاعية اتصفت بالسرعة والمباغتة، كان الهدف الرئيس منها الكشف عن الإمكانات والقدرات العسكرية لتلك البلاد من ناحية، فضلاً عن إمكانات الخلافة العباسية ومدى قوتها التي ستتجلى من خلال الإمدادات التي سترسلها لنجدة تلك البلاد من ناحية أخرى[2].

*** *** ***

ثانياً : الزحف المغولي لاحتلال الموصل

لقد كانت إمارة الموصل من الإمارات الإستراتيجية من حيث الموقع الجغرافي، ويتوجب على المغول اجتازها لاكتساح الأراضي العراقية وصولاً إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية،كما أنها تعد الأقرب جغرافياً إلى إمارة إربل، لذا فإننا نلحظ أن أي محاولة فاشلة لاحتلال مدينة إربل، يكون انسحاب القوات المغولية عبر أعمال الموصل، وان كانت ناجحة تكون المرحلة الثانية منها الإغارة على أعمال الموصل، وإذا ما دققنا النظر في تاريخ المدينة منذ الغارات الأولى للمغول على الأراضي العراقية وحتى احتلال بغداد وسقوط الخلافة ومن ثم احتلال الموصل نجد أن تاريخ المدينة يمر بثلاث مراحل هي:

1 - المحاولات المغولية الأولى لاحتلال الموصل

2 - تبعية الموصل للمغول في عهد الأمير بدر الدين لؤلؤ

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص304.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج 10/ص495.

3 ـ الاحتلال المغولي للموصل في عهد أبناء الأمير بدر الدين لؤلؤ[1]

1ـ المحاولات المغولية الأولى لاحتلال الموصل

لقد أدرك بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل منذ الغارة المغولية على إربل في سنة 618هـ/1221م، انه ليس بمعزل عن الأوضاع السياسية التي سادت المنطقة، وان الخطر المغولي سيداهم مدينته بين لحظة وأخرى إذا ما سنحت له الفرصة بذلك، وإنها ستكون التالية بعد إربل، لا سيما بعد أن اضطربت أحوال سكان الموصل وانتشر الرعب بينهم، واخذ الكثير منهم بالهرب، بعد أن وصلت أخبار إغارة القوات المغولية على إربل، ونتيجة لهذا بدأ بدر الدين لؤلؤ بالتحرك لتفادي الوقوع في مثل هكذا مأزق، فلم يتوان عن إرسال المساعدة والنجدة للأمير مظفر الدين كوكبري إذا ما طلبها منه، وهذا ما حدث عندما استنجد به الأخير، فأرسل إليه قوة عسكرية تقف إلى إلى جانبه للدفاع عن إربل[2].

في الحقيقة لم يكن هدف الأمير بدر الدين لؤلؤ، وغايته الرئيسة من إرسال النجدة لمظفر الدين كوكبري الدفاع عن إربل، والخوف عليها أو على سكانها بقدر ما هو الخوف من وصول المد المغولي إليه، إذا ما نجحت القوات المغولية في احتلالها، فشعر بضرورة كسر شوكتهم في إربل عند اللحظة الأولى لدخولهم الأراضي العراقية.

فكان لصمود أمير إربل ودعم قوات الموصل أثرها في إبعاد شبح الخطر عن المنطقة بشكل عام وإمارتي إربل والموصل بشكل خاص، ولم تفكر القوات المغولية في شن أي غارة أخرى على الشمال العراقي التابع للخلافة العباسية في بغداد، إلا

1ـ لابد أن ننوه للقارئ الكريم أننا آثرنا التطرق للاحتلال المغولي للموصل في عهد أبناء الأمير بدر الدين لؤلؤ في الفصول اللاحقة وفي الفصل السادس تحديداً بعد الاحتلال المغولي لبغداد، ليكون الحديث على وفق التسلسل.

2ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج 10/ص412 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص65؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص 90.

بعد مرور عشر سنوات عندما أغارت على بلاد الجزيرة في سنة 628هـ/1231م، وهاجمت ابرز إماراتها ومدنها كآمد وميافارقين ونصيبين وماردين، وقتلت من وقع في أيديها من السكان، فضلاً عن إعمال السلب والنهب والدمار الذي ألحقته بها، ومن ثمة توجهت نحو مدينة سنجار[1]، ومنها اتجهت نحو الموصل من خلال الطريق الذي يربطها بسنجار، فأغارت على جميع أعمال الموصل الواقعة في طريقها، مرتكبة كل ما استطاعت فعله من أعمال التخريب والتدمير والسلب والنهب والقتل ومنها توجهت نحو الأعمال التابعة لإربل، ففعلت بها ما فعلت بأعمال الموصل، فوحد كل من مظفر الدين كوكبري أمير إربل وبدر الدين لؤلؤ أمير الموصل جهودهما، للتصدي للقوات المغولية وطردها من البلاد، وما أن شعرت القوات المغولية بذلك حتى انسحبت عائدة إلى بلادها عبر أذربيجان[2].

تعرضت الموصل للغارة المغولية الثانية بشكل مباشر في سنة 633هـ/1235م[3]، بعد الإغارة على إربل، وانسحابها عنها نحو أعمال الموصل، فأغارت على عدد من القرى التابعة لها كقرية كرمليس[4] وغيرها، فاستباحتها مستخدمةً كل أنواع القتل والسلب والنهب وهتك الأعراض [5]، ومنها عبرت نهر دجلة متوجهةً نحو مدينة سنجار، وفرضت حصاراً على قلعتها، فأضطر بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل إلى طلب

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص494 - 495 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ ص167.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص494 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص167؛ الروزبياني، داقوق، ص406.

3- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج46/ص13 ؛ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة : 1993م) :ج4/ص84 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب :ج5/ص159.

4- كرمليس : قرية من قرى الموصل شبيهة بالمدينة من أعمال نينوى في شرقي دجلة كثيرة الغلة والأهل وبها سوق عامر وتجار. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج4/ص456.

5- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 436؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 113 - 114؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص132.

النجدة من الملك الأيوبي الأشرف موسى، وكتب إليه يعلمه بشدة الحصار المفروض على سنجار [1].

إن عدم اكتفاء بدر الدين لؤلؤ بالمساعدة التي طلبها من الملك الأشرف، وإرساله إلى الخليفة المستنصر بالله يسأله المساعدة والمدد للتصدي للقوات المغولية، إن دل على شيء فإنما يدل على مدى خشية الأمير بدر الدين من الغزو المغولي، فاستجاب الخليفة لطلبه وأعلن حالة النفير العام في المناطق التابعة له، فأرسل قوة عسكرية لمساعدة بدر الدين لؤلؤ والدفاع عن الموصل وأعمالها، إلا أن قوات الخلافة التي وصلت إلى الموصل لم تصطدم بالقوات المغولية، لانسحاب الأخيرة عن الموصل وأعمالها عائدةً إلى أذربيجان تجنباً للدخول في لقاء مباشر مع قوات الموصل وقوات الخلافة [2]، ولم تتعرض إمارة الموصل أو أعمالها إلى إي عمل عسكري بعد هذه الغارات، وذلك لدخول الأمير بدر الدين لؤلؤ في تبعيتهم منذ سنة 634هـ/1236م [3]، لا سيما بعد أن أدرك خطورة موقفه، بعد ازدياد شدة الغارات المغولية على إربل والمناطق المجاورة للموصل كغارة سنة 634هـ/1236م[4]، فوجد أمير الموصل ضرورة مهادنة المغول ومصالحتهم من اجل الحفاظ على إمارته من الاستباحة والدمار، فقدم لهم كل ما يحتاجون إليه من مؤن ومساعدات وسلاح ومال، فضلاً عن تقديم كل مظاهر الاحترام والتقدير لسفرائهم ووفودهم [5]، وبذلك انتقلت الموصل إلى مرحلة جديدة تمثلت بمرحلة التبعية للمغول.

1- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج46/ص14.

2-ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص 436 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 113-114؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص133؛ تاريخ الإسلام :ج46/ص13.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 113-114؛ ابن ايبك، كنز الدرر : ج8/ ص45.

4- الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص136؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ص181 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص168.

5- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 113-114 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : ج1/ص87 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج8/ص270.

2- تبعية الموصل للمغول في عهد الأمير بدر الدين لؤلؤ

دخلت إمارة الموصل بدخول أميرها بدر الدين لؤلؤ في طاعة المغول ومهادنتهم في سنة 634هـ/1236م مرحلة جديدة، يمكن أن نطلق عليها مرحلة التبعية المغولية التي بدأت بعد أن شعر أميرها بضرورة إتباع سياسة المصانعة والمهادنة، من اجل تحقيق هدفين رئيسين أولهما : الحفاظ على حياته ومنصبه في حكم الإمارة بل والحصول على مناطق نفوذ أخرى[1]، وثانيهما:تجنيب إمارته وسكانها الدمار والخراب الذي سيلحق بها، إذ ما تصدى لهم ولم يعترف بسيطرتهم، لا سيما انه أدرك ضعف الخلافة العباسية، وعدم قدرتها على تقديم أي عون أو نجدة، ولم يعد لها أي سلطان على أمراء الأطراف في مصر وبلاد الشام والجزيرة الذين عمت الفرقة بينهم، وازداد التناحر والصراع من اجل الاستحواذ على مناطق النفوذ، بل أن بعضهم دخل في طاعة المغول، واعترف بتبعيته لهم [2].

إن اكتساح المغول لمنطقة الجزيرة واستيلائهم على أطرافها، لا سيما المناطق التابعة للسلاجقة، جعلهم على مقربة من الموصل، مما جعل أميرها بدر الدين يسعى إلى كسب ودهم وثقتهم، فدخل في طاعتهم بشكل تام في سنة 642هـ/1244م [3]، عندما قام بدور جابي الضرائب لهم، فكتب إلى أمراء بلاد الشام يأمرهم بدفع الأموال للمغول، وانه حدد مبلغ عشرة دراهم سنوياً على الغني، وخمسة دراهم من الطبقة الوسطى، ودرهماً على كل فقير[4].

إن سياسية المصانعة والمهادنة التي انتهجها بدر الدين لؤلؤ تجاه المغول، ودخوله في طاعتهم، وبذله كل ما في وسعه من أجل كسب ودهم جعلت منه واحداً من

1-ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص200.

2- حسن، تاريخ الإسلام : ج4/ص130؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص121.

3- المقريزي، السلوك :ج1/ص315.

4-أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر:ج3/ص71 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج47/ص12 ؛ المقريزي، المصدر نفسه :ج1/ص419، 421.

رعاياهم المخلصين الذين يثقون بهم بشكل كبير، فاصدر الخان المغولي مرسوماً امنه فيه على حياته، ومنحه بموجبه صلاحيات مطلقة، كما كانوا يستدعونه في احتفالاتهم(1).

إن دخول الأمير بدر الدين لؤلؤ في التبعية المغولية، فضح دوره الخياني، وكشف حقيقة نواياه التآمرية التي تذرع بها، فانتحل دور الحريص على مصالح إمارته وحياة رعاياه، إلا أن أهدافه كانت على العكس من ذلك، إذ سعى إلى الحفاظ على منصبه.

استغل الأمير بدر الدين لؤلؤ الصلاحيات التي منحها له المغول، فضلاً عن تأييدهم لكل ما يقوم به بشرط عدم الإضرار بمصالحهم أو شق عصا الطاعة عليهم، فسعى إلى توسيع مناطق نفوذه على حساب المناطق المجاورة كالاستيلاء على نصيبين وجزيرة ابن عمر وإربل(2).

لقد أشارت بعض المصادر إلى أن الأمير بدر الدين لؤلؤ كان يراسل الخليفة المستعصم بالله سراً ويدعوه إلى إعداد العدة ، وتوحيد الجبهة الإسلامية للتصدي للغزو المغولي، وتحرير الأراضي الإسلامية من السيطرة المغولية (3) وعلى الرغم من ذلك فان هذه الرواية مشكوك في أمرها،فكيف يقوم بمثل هذا الفعل، من يخون الخلافة ويشق عصا الطاعة عليها، ويدخل في تبعية المغول حفاظاً على حياته ومنصبه، لا سيما انه كان يعرف ما يحل بمن يخونهم ويخرج عن طاعتهم، كما انه كان أول من بادر من الحكام المسلمين إلى تقديم الدعم والمساعدة للقوات المغولية أثناء قيامها ببناء جسر على نهر دجلة بالقرب من تكريت للعبور عليه، وفرض الحصار على بغداد في سنة 655هـ/1257م (4).

1-للمزيد من الاطلاع على بعض الحوادث التي يتبين مدى طاعة بدر الدين لؤلؤ للمغول. ينظر : رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص290، 298 - 299، 300، 305.

2-رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1 /ص299 .

3- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص87 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص225 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص670 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب :ج5/ص270.

4- بدر، محنة الإسلام، ص131.

كما مارس بدر الدين لؤلؤ دوراً خبيثاً في أثناء حصار هولاكو لبغداد في سنة 656هـ/1258م، إذ أمد القوات المغولية بألف مقاتل على رأسهم ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل للاشتراك في احتلالها والقضاء على الخلافة العباسية [1]، فضلاً عن إرساله قوات عسكرية أخرى بقيادة ولده الملك الصالح ركن الدين اشتركت مع القوات المغولية في احتلال بلاد الشام والجزيرة كميافارقين وآمد وماردين [2].

استمر الأمير بدر الدين لؤلؤ كتابع للمغول حتى وفاته في سنة 657هـ/1259م[3]، بذل لهم خلال هذه السنوات كل ما في وسعه من مساعدات من أجل تحقيق مصالحه الشخصية وضمان بقاء أبنائه في حكم إمارة الموصل والمناطق التابعة لها[4]، فتم اقتسام إمارته بين أبنائه الثلاثة، وكانت هذه القسمة بمعرفة هولاكو وتفويضه، إذ عدهم نواباً له في حكمهم لتلك البلاد [5]، فأصبح حكم الموصل بيد ابنه الكبير الملك الصالح ركن الدين إسماعيل [6]، بينما تولى الحكم في سنجار ولده علاء الدين، أما ابنه الصغير سيف الدين إسحاق، فقد أصبح حاكماً لجزيرة ابن عمر [7].

ثالثاً : المحاولات المغولية الأولى لاحتلال سنجار

في الوقت الذي كانت فيه البلاد الإسلامية في أذربيجان وبلاد فارس تعاني

1- ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق لسنة 1956: ع50/ص135؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص88 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص225 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص200.

2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص482 ؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ ص306-305 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5/ص 436 ، 416.

3- اليافعي، مرآة الجنان :ج 4/ص148 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص510.

4-ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص200.

5- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص306؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص510.

6- ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص214.

7- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص69 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج5/ص422، 440 .

الأمرين من الاكتساح المغولي لأراضيها، وصولاً إلى الأراضي العراقية، التي بدأ الخطر المغولي يطرق أبوابها من الجهة الشمالية منذ عام 618هـ/1221م، كانت سنجار تعاني في الوقت ذاته من خطر آخر تمثل بالصراعات الداخلية التي كان لها أثر سلبي عليها، إذ أسهم بشكل كبير في إضعاف قوتها بشكل خاص، وفرقة الأمة وتشتيت قواها بشكل عام، وجعلها لقمة سائغة للاحتلال المغول، بما فيها سنجار[1].

تعرضت سنجار لأول غارة من قبل القوات المغولية في سنة 628هـ/1230م، وذلك بعد قضائها على الدولة الخوارزمية، فتوجهت تلك القوات إلى بلاد الجزيرة، وشنت الغارات على مدنها الواحدة تلو الأخرى[2]، كما قامت خلالها بشتى أعمال السلب والنهب، وأعملت السيف في رقاب سكانها، ومن ثمة توجهت نحو إربل لاحتلالها، وفي أثناء مسيرها اجتاحت عدداً من القرى والمناطق التابعة لمدينة سنجار [3] التابعة للملك الأيوبي الأشرف موسى منذ سنة 617هـ/1220م [4]، فألحقت بها الدمار والخراب، فضلاً عن سفك دماء الكثير من السكان الأبرياء [5].

وعلى ما يبدو أن الغارة على مدينة سنجار في هذه السنة لم يكن مخططاً لها ضمن الأهداف الرئيسة للقوات المغولية، وإنما كانت غارة عرضية استطلاعية، لوقوعها ضمن خط سير الحملة المغولية المتوجهة من بلاد الجزيرة إلى إربل عبر سنجار والموصل وأعمالهما،ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن هؤلاء الغزاة لم يهاجموا المدينة وقلعتها بل اقتصروا على مهاجمة الأعمال الواقعة في طريقهم.

1- لقد تم التفصيل في هذا الجانب أثناء الحديث عن الأوضاع السياسية في أتابكية سنجار في المبحث الرابع من الفصل الثالث من الكتاب.

2- عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص199.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10 / ص494 - 495 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5 / ص167.

4- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ص158 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ ص136؛ الحنبلي ؛ شذرات الذهب :ج5/ص70.

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ص494 - 495 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ ص167.

كما كانت مدينة سنجار إحدى المدن التي استهدفتها القوات المغولية في حملة سنة 633هـ/1235م التي شنتها على إربل وانسحابها عنها [1]، فقد توجهت إليها عبر أعمال الموصل [2]، وكان عبورها من نهر دجلة، وما أن وصلت إلى أعمال سنجار حتى بدأت بالإغارة عليها، وممارسة أعمال السلب والنهب والقتل، فاستولت على قافلة تجارية كبيرة مكونة من أربعمائة وسبعين تاجراً، كانت متوجهة نحو بلاد الشام، فقتلتهم جميعاً، ونهبت كل ما بحوزتهم [3].

وصلت القوات المغولية إلى مدينة سنجار واستباحت ربضها وفرضت حصاراً شديداً على قلعتها، فاضطر بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل إلى طلب النجدة من الملك الأشرف موسى، بعد أن شعر بخطورة الموقف، إذ بدأت مخاوفه وخشيته تزداد شيئاً فشيئاً كلما تأزمت الأوضاع وأدرك أن القوات المغولية إذا ما نجحت في احتلال سنجار، فإنها ستتوجه إلى الموصل، فكتب إليه يعلمه بحصار القوات المغولية لسنجار، وبما تتمتع به من عدد وعدة كبيرة [4]، كما أرسل إلى الخليفة المستنصر بالله طالباً المساعدة والمدد، فاستنفر الأخير عرب البادية، وأرسل قوة عسكرية لنجدة الأمير بدر الدين لؤلؤ، والإسهام في رفع الحصار عن سنجار والدفاع عن أعمال الموصل، إلا أن أي صدام لم يحصل بين الطرفين، بسبب انسحاب القوات المغولية إلى أذربيجان تحاشياً للدخول في معركة خاسرة مع قوات الخلافة [5].

1- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج46/ص13 ؛ اليافعي، مرآة الجنان :ج4/ص84 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب:ج5/ص159.

2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 436؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 113-114؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص132.

3- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص283.

4- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج46/ص14.

5-ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص 436 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 113-114؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5/ص133.

توفي الملك الأشرف موسى في سنة 635هـ/1237م [1]، فانتقلت تبعية سنجار إلى صاحب الجزيرة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وبقيت حتى سنة 637هـ/1239م[2]، فسعى أمير الموصل بدر الدين لؤلؤ لضمها إلى دائرة نفوذه، وجهز قوة عسكرية كبيرة لمهاجمتها في سنة 638هـ/1240م، وانتزاعها من الحكم الأيوبي في عهد الملك الجواد[3]، فنجح في ما سعى إلى تحقيقه، إذ تمكن من ضمها إلى مناطق حكمه [4]، ولم تتعرض مدينة سنجار لغارات القوات المغولية بعد هذا التاريخ لدخولها في التبعية المغولية حالها في ذلك حال إمارة الموصل، وجميع أعمالها التابعة لحكم الأمير بدر الدين لؤلؤ، الذي دان بالولاء والتبعية للمغول في سنة 642هـ/1244م [5]، وبقيت حتى وفاته في سنة 657هـ/1259م [6]، حيث انقسمت إمارته بين أبنائه، فأصبحت مدينة سنجار من نصيب ولده المظفر علاء الدين علي[7]، واستمرت في ذلك حتى ثورته على المغول في سنة 658هـ/1260م [8]، وقيام القوات المغولية باحتلالها في سنة 660هـ/1262م[9].

رابعاً : المحاولات المغولية الأولى لاحتلال بغداد وأعمالها

لم تسلم الأعمال التابعة للخلافة العباسية من الغارات المغولية سواء في

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج9/ص381 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب :ج4/ص320 ؛ الصانع، تاريخ الموصل : ج1/ص223 ؛ التكريتي،الأيوبيون، ص158.

2- الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص141؛ اليافعي، مرآة الجنان : ج4/ص87 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5 /ص323، جب، صلاح الدين، ص222.

3- للمزيد من التفاصيل ينظر: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ص170 - 172.

4- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص195.

5- المقريزي، السلوك :ج1/ص315.

6- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص195.

7- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص69 ؛ ابن الوردي، المصدر نفسه : ج2/ص 195 ؛ ابن خلدون تاريخ ابن خلدون :ج5/ص422، 440 .

8- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص370 .

9- ابن أيبك، كنز الدرر : ج8/ص90.

شمال العراق أم في وسطه، منذ نهايات حكم الخليفة الناصر لدين الله ومن ثم الظاهر والمستنصر بالله ثم ولده المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس[1]، فعندما انسحبت القوات المغولية عن إربل 618هـ/1221م وغيرت وجهتها، ازدادت مخاوف الخليفة الناصر لدين الله الذي خشي من أن تكون تلك القوات قد غيرت خطتها، وإنها عازمة على مهاجمة بغداد بدلاً من الإغارة على إمارة إربل، فأخذ يعد العدة لمواجهة مثل هذا الاحتمال، وأرسل الرسل إلى كل من مظفر الدين كوكبري أمير إربل وبدر الدين لؤلؤ أمير الموصل والملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي صاحب بلاد الجزيرة، للسير على رأس قواتهم والاجتماع في داقوق للتصدي للقوات المغولية الغازية، إلا أن الملك الأشرف اعتذر عن الحضور، لتزامن وصول رسول الخليفة إليه في حران مع وصول شقيقه الملك المعظم من دمشق مستنجداً به على الصليبيين، وطالباً العون والحضور بنفسه ليسيروا جميعاً إلى مصر لإنقاذ مدينة دمياط[2] منهم، فأعذره الخليفة [3].

لبى الأمير مظفر الدين كوكبري الطلب بعد أن وعده الخليفة الناصر لدين الله بإمداده بعشرة آلاف مقاتل من خيرة قوات الخلافة، وتعيينه قائداً عاماً لتلك القوات، فسار بقواته إلى داقوق ، وفي ذات الوقت وصل إلى داقوق أيضاً الأمير بدر الدين لؤلؤ على رأس قوات الموصل، فضلاً عن وصول ثمانمائة مقاتل من جيش الخلافة يقودهم الأمير جمال الدين قشتمر [4]، ونتيجة لذلك، وبسبب عدم إرسال الخليفة للعدد الذي وعد به الأمير مظفر الدين من المقاتلين قرر الأخير عدم الدخول في أي اشتباك أو معركة مباشرة مع القوات المغولية ، وذلك لإدراكه التام بأن النتيجة الحتمية لهذه المعركة هي

1- بدر، محنة الإسلام، ص120.

2- دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق وهي ثغر من ثغور الإسلام. للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج2/ص472 - 473.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج ١٠/ص٤١٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج١٣/ص ٩٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج٥/ص٥٨٧.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص412 - 413؛ ابن واصل، مفرج الكروب :ج4/49 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص 249.

الخسارة بسبب عدم التكافؤ العددي بين الطرفين، فلم يغامر بارواح جنده، وقد وضح مظفر الدين ذلك في معرض حديثة عن المغول، وتبريره عدم مهاجمتهم : ((إن العدو قوي وليس لي من العسكر ما ألقاه به فإن اجتمع معي عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد، فامرني بالمسير وواعدني بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشي[مملوك تركي] [1] فأقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين))[2].

ويختلف الذهبي مع ابن الأثير في سرد الرواية، حيث يقول إن مظفر الدين كوكبري أمير إربل شحن الدربندات [الطرق الجبلية الضيقة] بالمقاتلين الأكراد، وسلطهم على القوات المغولية، وأمرهم بشن الغارات عليها، فكانوا يغيرون عليها ليلاً، وبشكل مباغت فيسرقون ويقتلون منها، فتصبح وقد نكبت أثناء نومها، ولا تعرف من المغير عليها، كما انه يشير إلى أن مظفر الدين سار بقواته إلى داقوق بناءً على طلب الخليفة، وما أن وصلها حتى انضم إليه أضعاف قواته، وقام أمير داقوق التابع للخليفة العباسي ببناء خيمة كبيرة، وأقام زينة عظيمة لاستقباله، فضلاً عن إظهار جميع مظاهر الإجلال [3].

مهما كان نوع الاختلاف في الرواية التي أوردها كل من ابن الأثير أو الذهبي، فإن النتيجة النهائية هي عدم اشتباك الأمير مظفر الدين كوكبري مع القوات المغولية في معركة مباشرة، وذلك بسبب انسحاب القوات المغولية بمجرد سماعها لأخبار اجتماع القوات الإسلامية في داقوق، وخشيتها من أن تكون عاقبة الأمور وخيمة، فتدور الدائرة عليها، وتمنى بهزيمة نكراء، لا سيما أنها اعتقدت أن الخلافة سترسل قوات إضافية أخرى لملاحقتها [4].

1- القلقشندي، صبح الأعشى: ج5/ص88.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص412 - 413 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب :ج4/49 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص 249.

3- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج44/ص48.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص413 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج44/ص49 ؛ العبر في خبر من غبر : ج5/ص65 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص 249 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ج5/ص72.

وفي سنة 622 هـ/1225م اغارت القوات المغولية على داقوق للمرة الثانية، ولم يتعرض لها مظفر الدين كوكبري امير إربل لعدم تعرضها لمدينته، ووصلت إلى بلدة الكرخيني [كركوك حالياً]، ومن ثمة إلى داقوق، ولم تلقى في غارتها هذه أي مقاومة تذكر [1].

لقد أخذت الغارات المغولية بالازدياد على مناطق نفوذ الخلافة في عهد الخليفة المستنصر بالله، فأصبحت عبارة عن غارات سنوية منذ الإغارة على إربل في سنة 634هـ/1236م [2]، وقام الخليفة في بغداد بعدة إجراءات، فلم تقتصر على إرسال نجدة عسكرية إلى إربل فقط بل قام بجمع المدرسين والفقهاء واستفتاهم في أولوية الجهاد أم الحج إذ ما اتفق وقتهما، فأفتوا بان الجهاد أولى، مما حدا به إلى إعلان الجهاد وإيقاف الحج إلى بيت الله الحرام لهذه السنة، وأمر الفقهاء والمشايخ والمدرسين برمي النشاب والاستعداد للجهاد في سبيل الله، كما تم نصب المجانيق على أسوار بغداد، فضلاً عن إصداره لأمر يقضي بإصلاح الخندق المحيط بها [3].

بعد إغارة المغول على إربل في سنة 634/1236م[4]، أدرك قائد هذه القوات صعوبة اقتحام المدينة، فغير وجهتها انطلق نحو أعمال بغداد التي تم اكتساح جزء كبير منها، وعاثت القوات المغولية فيها دماراً وتخريباً وسفكاً للدماء، وما أن وصل الخبر إلى الخليفة المستنصر بالله حتى أمر الأمير شرف الدين إقبال الشرابي بالخروج إلى ظاهر مدينة بغداد، وأمر خطيب جامع القصر أبا طالب بن المهتدي(نقيب

1- ابن الأثير، المصدر نفسه : ج10/ص413.

2- بدر، محنة الإسلام، ص120.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص127-128؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون:ج4/ص106.

4- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 137 - 142 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص136 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ص162 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص168.

العباسيين)[1]، بان يدعوا للجهاد والتصدي للقوات المغولية في أثناء خطبته، ففعل ذلك مما أثار مشاعرهم وألهب أحاسيسهم إلى درجة بكاء الكثير من السكان، فأجابوه بالسمع والطاعة[2]، وعندما وصلت هذه القوات إلى سر من رأى[3]، ألحقت بأهلها أذى شديداً، ومنها أغارت على منطقة زنكباد[4] وداقوق، ففر عدد كبير من سكان تلك المناطق إلى بغداد معتصمين بها[5].

بعد تأزم الموقف وازدياد الأوضاع سوءاً في أعمال بغداد التي امتدت آثارها لتصل إلى داخل بغداد، كغلاء إيجارات المساكن وارتفاع أسعار المواد الغذائية، قام الخليفة المستنصر بالله بجمع العلماء المسلمين، وحثهم على الدعوة إلى الجهاد، فوقفوا في الصف الأول للجهاد في سبيل الله منهم من بسيفه، ومنهم من بكلمته، فأمر الخليفة قواته وعلى رأسها الأميرين مجاهد الدين أيبك الدويدار وشرف الدين إقبال الشرابي بالسير للتصدي للقوات المغولية، وعندما وصل الأمير شرف الدين إلى منطقة جبل حمرين [6]، وأقام معسكره فيها بلغته الأخبار بان القوات المغولية تعسكر بالقرب من

---

1 ـ نقيب العباسيين : منصب استحدثه العباسيون كمنصب نقيب الأشراف،ويكون متوليه مسؤولاً عن العباسيين جميعاً أمام الخلفاء ويقوم بتدبير أمورهم، وإقامة العدل بينهم، فضلاً عن معاقبة المسيئين منهم، وله واجبات اجتماعية أخرى.ينظر:ابن الفوطي،المصدر نفسه،ص186؛ القلقشندي : صبح الأعشى:ج6/ص138 - 139.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 137.

3- سر من رأى : مدينة كانت بين بغداد وتكريت شرقي دجلة، فوق بغداد بثلاثين فرسخاً (تسعين ميلاً) قام ببنائها الخليفة المعتصم بالله، ونزلها في سنة 122هـ/739م، ثم اختصر اسمها سامراء فيما بعد. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج3/173 - 174. والفرسخ = 3 أميال، والميل = 1,650 متر ينظر : فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة : كامل العسلي (عمان : 1970م)، ص95، وبذلك تكون المسافة 30 فرسخ × 3 ميل = 90 ميلاً.

4- زنكباد : منطقة تقع على الضفة الغربية من نهر ديالى، و هي تابعة لكركوك. ينظر : الروزبياني، داقوق، ص 408، هامش رقم (193) .

5- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص138.

6- حمرين : جبل بين تكريت والموصل، وهو الذي يعرف بجبل بارِمّا بكسر الراء وتشديد الميم وتشقه دجلة عند السن والسن قرية شرقي دجلة، ويمتد وسط الجزيرة، وتقع بالقرب منه قرية بارما شرقي دجلة الموصل. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج1/ص230 ؛ إبراهيم، ريف بغداد، ص 107.

الجبل[1]، فسار إليها واصطدم الطرفان في وقعة بالقرب من مدينة تكريت في المنطقة الواقعة بين نهر دجلة وجبل حمرين، فكانت النتيجة تحقيق قوات الخلافة العباسية انتصاراً كبيراً على القوات المغولية الغازية، وألحقت بها خسائر بشرية ومادية كبيرة، فحررت من الأسر المغولي ما يقرب من خمسة عشر ألف أسير مسلم، ممن اسروا من إربل وداقوق [2].

أما القوات المغولية فقد لاذت بالفرار بعد ما ذاقته من مر الهزيمة، فتبعها قسماً من قوات الخلافة، كان قد سيره في إثرها الأمير شرف الدين إقبال الشرابي، فقتل أعداداً كبيرة منها وأسر مثلها، كما غنم منها كماً كبيراً من الأموال والدواب، فضلاً عن إرساله رؤوساً كثيرة لقتلى القوات المغولية إلى معسكر الخلافة، فضربت البشارة فيه، وأكرم الأمير شرف الدين إقبال الشرابي من حمل الأخبار إليه، وعادت القوات العباسية إلى بغداد في مستهل ربيع الأول وعلى رأسها الأمير جمال الدين قشتمر والأمير شرف الدين إقبال الشرابي [3].

بعد هذا الانتصار اتخذ الخليفة المستنصر بالله إجراءات لتقوية البلاد، وتعزيز قدرتها القتالية والدفاعية ، فأرسل الأمير ابن الصلايا إلى إربل لتجديد سورها، كما أمر بعمارة سور بغداد وتقويته، وقسم هذه المهمة بين أرباب الدولة[4].

وردت أخبار مسير القوات المغولية للهجوم على بغداد واحتلالها إلى الخلافة في شهر رجب من سنة 634هـ/1236م، فأمر الخليفة المستنصر بالله أمراء جيشه بالخروج إلى ظاهر بغداد، فخرج على رأسهم كل من الأمير جمال الدين قشتمر والأمير جمال الدين بكلك الناصري، كما أرسل الخليفة إلى ملوك الإطراف يستنجد بهم، وموضحاً لهم خطورة الموقف فوصل إلى بغداد في شهر رمضان كل من الملك السعيد شاهنشاه

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص138 ؛ بدر، محنة الإسلام، ص120.

2- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 284 ؛ الروزبياني، داقوق، ص 409.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص138 - 139.

4-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 139.

والملك المظفر عمر ولدا الملك الأمجد فرخشاه صاحب بعلبك، وبرفقتهما ألف فارس ومجموعة من الأمراء، فأكرمهما الخليفة المستنصر بالله، ومن ثم خرجا للانضمام إلى القوات العباسية المرابطة في خارج أسوار مدينة بغداد، فضلاً عن وصول الملك الأيوبي المشمر خضر بن صلاح الدين على رأس ستمائة فارس، فدخل بغداد معززاً مكرماً، ثم انضم إلى القوات المرابطة، وخرج برفقته الأمير شرف الدين إقبال الشرابي، وعندما اكتمل تجمع القوات في شهر شوال، حيث بلغ عددها سبعة ألاف مقاتل، أُصدر إليهم الأمر بالتوجه للتصدي للقوات المغولية البالغ عددها خمسة عشر ألف فارس يقودها الأمير جرماغون، فسارت قوات الخلافة العباسية حتى وصلت بالقرب من خانقين[1]، وحاول كل من الطرفين كبس خصمه والإيقاع به ليلاً، فدارت بينهما معركة في اليوم الثالث من ذي القعدة، كانت الغلبة فيها في بادئ الأمر لقوات الخلافة العباسية، إلا أنها وقعت في مجموعة من الكمائن التي أعدتها لها القوات المغولية، ودارت الدائرة عليها، فقتل عدد كبير منها كان الأمير جمال الدين بكلك احدهم، فضلاً عن مقتل مجموعة من الأمراء، وهلك القسم الآخر بسبب الجوع، وعاد من بقي منها على قيد الحياة إلى بغداد [2].

لقد عم الذعر مدينة بغداد عندما وصل خبر انتصار القوات المغولية، التي توجهت إلى بندنيجين [3] الواقعة على الحدود العراقية مع بلاد فارس، فهرب سكانها إلى بغداد خشية من وحشية القوات المغولية وبطشها، وبدء الخليفة باتخاذ الإجراءات اللازمة تحسباً لأي طارئ، كما أمر بفتح أبواب السور، وخروج الأمراء كافة، وعلى

1- خانقين : بلدة من نواحي سواد بغداد تقع بالجانب الشرقي منها على طريق همذان من بغداد بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ (18ميلاً) لمن يريد الجبال ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ(18ميلاً) وبينها وبين جلولاء سبعة فراسخ (21ميلاً). ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج2 / ص156، 179، 340.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،ص 141-140.

3- بندنيجين : بلدة كبيرة تقع على الحدود العراقية الإيرانية، وتبعد على مسافة 93 كم عن بعقوبة، ويطلق عليها حالياً اسم مندلي التابعة لمحافظة ديالى الواقعة شمال شرق بغداد بين خانقين وبدره. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج1/ص499 ؛ الرزبياني، داقوق، ص 391، 399 .

راسهم الأمير شرف الدين إقبال الشرابي، فعسكروا جميعاً خارج أسوار بغداد، ثم خرج الخليفة شخصياً لتفقد المقاتلين، وعندما علم الأمير شرف الدين بخروجه اسرع لاستقباله، مما أخاف الناس من المقاتلين والعامة والأعيان لخروجه بهذا الشكل من العجلة، فتسلح معظمهم، وما أن علموا بحقيقة الأمر حتى دخلت الطمأنينة إلى قلوبهم[1].

أما القوات المغولية فقد عادت راجعةً من خانقين بعد أن جنت كماً كبيراً من الغنائم، فأرسل قائد القوات المغولية رسولاً إلى الخليفة، فوصل إلى مدينة بغداد في شهر ربيع الآخر سنة 636هـ/1238م، وتم استقباله، وأوفد معه ناظر التركات جعفر بن محمد بن عباس البطائحي إلى الأمير المغولي جرماغون، فالتقى به بالقرب من بحر قزوين، وكانت عودته إلى بغداد في سنة 637هـ/1239م، فأذن الخليفة للأمير شرف الدين إقبال الشرابي بالعودة والدخول إلى بغداد بعد أن اطمأن بزوال الخطر [2].

عندما تولى الخليفة المستعصم بالله الحكم في سنة640هـ/1242م، أخذت الأوضاع السياسية بالاضطراب، وتسببت في التجرؤ بالخروج على طاعة الخليفة، فتمرد أحد زعماء الأكراد ويدعى خليل بن بدر الكردي في سنة 642هـ/1244م، وكان متصوفاً من إتباع الطريقة القلندرية[3]، فادعى انه من أتباع الشيخ احمد الرفاعي [4] فالتف حوله عدد كبير من الناس، ثم التجأوا إلى المغول، فاستغلوا هذه الفرصة، فأرسلوا

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 141.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 142.

3- القلندرية : هي طريقة تدعي الصوفية ذات أحول شيطانية تعتمد على الدجل والشعوذة، ظهر اسمها في القرن الرابع الهجري /التاسع الميلادي، ويطلق على أتباعها المحلقون، لحلقهم وجوههم كاملاً، وكانوا يتناولون الحشيش المسكر كتقليد ثابت لهم، ويدعون إلى الإباحية في حياتهم، وتركوا الكثير من المبادئ الإسلامية الصحيحة، للمزيد من التفاصيل ينظر. ينظر : ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 229.

4- احمد الرفاعي : أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بالرفاعي، كان رجلاً صالحاً وفقيهاً شافعي المذهب أصله من العرب، وسكن في البطائح بقرية يقال لها أم عبيدة، فانضم إليه خلق عظيم من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه، فظهرت الطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية. ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان :ج 1/ص171 - 172 ؛ ج5/ص5.

برفقته عدداً كبيراً من مقاتليهم لمهاجمة منطقة اللّخف [1]، ومارسوا ابشع أعمال السلب والنهب والقتل، وحاصروا قلعة وهار التابعة للخلافة العباسية، فخرج إليهم صاحبها الأمير شهاب الدين سليمان شاه بن برجم على راس قوة عسكرية كبيرة، ودارت بينهم وقعة استمر القتال فيها من ضحى النهار حتى العصر، ألحقت فيها قوات سليمان شاه بالمغول وأذنابهم خسائر مادية وبشرية فادحة، حيث بلغ عدد القتلى ألف وستمائة ما بين فارس وراجل، وفر خليل بن بدر من ساحة المعركة، فتم القبض عليه من قبل بعض أصحاب الأمير سليمان شاه، وأرادوا قتله إلا أنه وعدهم بمنحهم مبلغاً كبيراً من المال فاحتفظوا به أسيراً، إلا أنهم مروا بجماعة من التركمان من أصحاب سليمان شاه الذين الحق بهم الأذى من قتل وسلب ونهب، فقتلوه وحملوا رأسه إلى الأمير سليمان شاه، فأمر بتعليقه على باب مدينة خانقين [2].

أرسل أمير إربل رسولاً إلى بغداد، فوصلها في شهر محرم سنة 643 هـ/1245م حاملاً أنباء خروج القوات المغولية البالغ عددها ستة عشر ألف مقاتل إلى منطقة جبل حمرين، فبدأ الخليفة باتخاذ الاستعدادات اللازمة، وأمر بخروج الأمراء والمقاتلين إلى خارج أسوار مدينة بغداد، وأثناء ذلك وردت الأخبار بان قسماً من القوات المغولية توجه نحو خانقين، فأغار على التركمان الإيوانية أصحاب الأمير سليمان شاه بن برجم، وقتلوا منهم عدد كبير وسلبوا ونهبوا أموالهم وممتلكاتهم، واستمروا في الإغارة حتى

1- اللّخف : بكسر أوله وسكون ثانيه ولحف الجبل أصله، ويقصد بها المناطق الجبلية التي تقع على الحدود العراقية الإيرانية، وتقع فيها مدينة بندنيجين [مندلي الحالية]، وسمي بذلك لأنه في لحف جبال همذان ونهاوند وتلك النواحي، وهو دونها مما يلي العراق وفيه عدة قلاع حصينة ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان :ج 5/ص14 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 229، هامش رقم (3).

2-ابن الفوطي، المصدر نفسه، ص230.

وصلوا إلى بعقوبة [1]، ففر أهالي المنطقة الواقعة على طريق خرسان[2]والخالص[3]، وما يجاورها من قرى وقصبات إلى مدينة بغداد للاعتصام بأسوارها، فاستنفر الخليفة المستعصم بالله عرب البادية، ومقاتلي الأعمال الأخرى كما أمر بتسليحهم، فتم نصب المنجنيقات على أسوار المدينة، وخرج الأمير شرف الدين إقبال الشرابي إلى المعسكر المرابط في الخارج، فوصل إليه رسول الأمير فلك الدين محمد بن سنقر الاسن المعروف بوجه السبع، الذي كان يعسكر على رأس قوة عسكرية في القُلَيْعة، واخبره بان القوات المغولية على مقربة من معسكره، فقام على وجه السرعة بتعبئة الجيش وترتيبه ميمنة وميسرة وقلب، ثم أرسل قوة لمساعدة الأمير فلك، وعندما وصلت القوات المغولية أقامت معسكرها بإزائهم[4]، ودارت بينهما معركة استمرت ساعة في منتصف النهار، حملت خلالها القوات المغولية على قوات الخلافة عدة حملات فاشلة، لا سيما أنها كانت تعتمد على الاعتقاد الذي اعتادوا عليه، والقائل بانه ((لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم))، إلا أنها فوجئت بالقدرات القتالية الكبيرة للقوات العباسية، فضلاً عن قوة تسليحها وجودته، مما اضطرها إلى أن تبات ليلتها وهي على أهبة الاستعداد والحذر الشديد، وعندما شق الفجر، تبين أن القوات المغولية انسحبت ليلاً [5]، مما جنب المدينة

1- بعقوبة أو بعقوبا : قرية كبيرة مشهورة كالمدينة تقع على بعد عشرة فراسخ (30ميلاً) من بغداد، وهي كثيرة الأنهار والبساتين واسعة الفواكه متكاثفة النخل وبها رطب وليمون يضرب بحسنها وجودتها المثل وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الغربي ونهر جلولاء يجري في وسطها. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج1/ص325، 453، وأشار ابن خلدون إلى أنها تبعد سبع فراسخ (21 ميل) عن بغداد. ينظر : تاريخ ابن خلدون : ج5/ص123 ؛ ناجية عبد الله إبراهيم، ريف بغداد (دار الشؤون الثقافية، بغداد : 1988م)، ص75.

2- طريق خرسان : كورة بنواحي بغداد تقع في الجانب الشرقي منها وتتبعها أعمال كثيرة ، إذ كان يتفرع من الجانب الشرقي لبغداد طريق عظيم يمتد من باب خرسان الواقع في السور ثم يتجه إلى خرسان. ينظر: إبراهيم، المرجع نفسه، ص74

3- الخالص : بلدة من سواد بغداد تقع في الجانب الشرقي منها، وينسب إليها نهر الخالص ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج2/ص 273، 516.

4- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 240.

5-ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص 64 - 65؛ بدر، محنة الإسلام، ص122.

خطرها مرة أخرى، إلا أنها أخذت بالإغارة على ما في طريقها من مدن وقرى حتى وصلت منطقة دُجَيْل[1]، فارتكبت فيها أبشع المذابح وعاثت فيها سلباً ونهباً، وخرج الأمير قزقز الناصري على رأس قوة عسكرية مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل من العرب والجند النظاميين، فلما وصلت أخبار خروجهم إلى القوات المغولية، غادرتها بسرعة [2].

وفي سنة 647هـ/1249م أغارت القوات المغولية على خانقين، وباغتت التركمان الإيوانية، فقتلت منهم عدداً كبيراً، فضلاً عن مارستها مختلف أنواع الأعمال الوحشية من سلب ونهب للأموال والمواشي، وهتك للأعراض والمحرمات، ومن ثمة توجهت نحو زنكباد التي جرى عليها ما جرى على سابقتها، ثم أغارت على قريتي البت [3] والراذان[4]، مما أثار الخوف والهلع في قلوب السكان القاطنين في منطقة طريق خرسان والخالص، ففروا من مناطقهم تاركين بيوتهم للمرة الثانية، والتجأوا إلى بغداد للتأمين على أرواحهم وأبنائهم، فعم الرعب بين الأهالي في مدينة بغداد، فأمر الخليفة بخروج العساكر وعلى رأسهم كبار أمراء بغداد إلى خارج أسوار المدينة،وأصدرت التوجيهات إلى أهل بغداد كافة بالاستعداد والتمرن على رمي النشاب، وتعليق جميع أنواع الأسلحة في الخانات والدكاكين والدور، والمبيت في الأسواق، وإشعال المصابيح وعدم إطفائها، واتخذت هذه الإجراءات في كل من جانبي المدينة الشرقي والغربي، كما

1- دُجَيْل : نهر مخرجه من أعلى بغداد بينها وبين تكريت مقابل القادسية دون سامراء، وهو يسقي كورة واسعةً وبلاداً كثيرة منها. ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج2/ص443 ؛ إبراهيم، ريف بغداد، ص109.

2-ابن أبي الحديد، فصل من شرح نهج البلاغة، ص 65 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 241.

3- البت : قرية كالمدينة عن أعمال بغداد قريبة من راذان، تقع بالقرب من بعقوبا. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج1/ص334 ؛ إبراهيم، ريف بغداد، ص78.

4- الراذان : كورتان من سواد العراق في شرقي دجلة، تقع بالقرب من بعقوبة على بعد 24 كم من سامراء وتشتمل على قرى كثيرة. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج 1/ص334 ؛ ج2/ ص310 ؛ج3/ص12؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط2(مطبعة بريل، ليدن : 1906م)، ص 66.

أرسل الطلائع والعيون لمتابعة أخبار القوات المغولية وإرسالها إلى بغداد، إلا أنهم عادوا إلى بغداد بعد أن تأكدوا بشكل تام أن القوات المغولية انسحبت عائدةً إلى بلادها[1].

أغارت القوات المغولية في طريق انسحابها على داقوق والأعمال التابعة لها، وقتلت حاكمها التابع للخليفة العباسي [2]، فضلاً عن قتل عدد كبير من سكانها وأسرت مثلهم، مرتكبةً أبشع الجرائم بحق الأهالي من سلب ونهب واغتصاب للنساء والصبيان، فعادت العساكر، ودخلت بغداد بعد أن زال الخطر عنها [3].

أعادت القوات المغولية الكرة في سنة 650 هـ/1252م، فأغارت على مناطق نفوذ الخلافة العباسية في شمال العراق مستبيحةً كل ما يقع أمامها، فأرسل الأمير تاج الدين ابن الصلايا والي إربل إلى بغداد يعلم الخليفة بذلك، مما أثار الذعر والخوف في قلوب سكانها، إلا أن القوات المغولية انسحبت عائدة إلى بلادها [4].

يبدو أن هذه الغارة كانت غارة سريعة مباغتة الغرض منها السلب والنهب وجني الأموال والغنائم، ومما يدلل على ذلك عدم توغلها في الأراضي العراقية أكثر من ذلك لعدم إدراج مهمة الإغارة على الأعمال التابعة لبغداد ضمن مخططها.

توقفت الحملات المغولية على العراق بعد سنة 650هـ/1252م، ولم تنطلق حتى سنة 655هـ/1257م، ويرجع ذلك إلى انشغال القوات المغولية في الاستيلاء على بلاد فارس والقضاء على الإسماعيلية التي انهارت في سنة 654هـ/1256م [5]، لتأمين الطريق للوصول إلى بغداد بسهولة دون أي عائق [6]، لتنطلق بحملتها الكبرى للقضاء على الخلافة العباسية بشكل نهائي واحتلال عاصمتها بغداد.

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 285.

2- بدر، محنة الإسلام، ص122.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 286.

4- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 304.

5- بدر، محنة الإسلام، ص154 - 156؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 100 - 136.

6- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص301؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص191.

خامساً : موقف الخلفاء الأربعة المتأخرين من الغزو المغولي

إذا ما ركزنا البحث ودققنا في أسباب الانهيار السريع للخلافة العباسية، فإننا نجد أنها لا ترجع إلى القوة القتالية للجيوش المغولية وتسليحها وآلاتها، بقدر ما ترجع إلى الضعف والوهن الذي انتاب مؤسسة الخلافة وتفكك دولتها، لدرجة أنها عجزت عن المقاومة والتصدي للقوات المغولية، مما سهل عليها الوصول إلى بغداد واحتلالها، وإذا ما نظرنا ملياً في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تم عرضها آنفاً، سيتضح لنا موقف الخلافة العباسية من الغزو المغولي بشكل جلي انه كان موقفاً غير حازم في اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة مثل هكذا ظرف منذ البدء [1] ولذلك لا يمكن إلقاء اللوم على الخليفة المستعصم بالله فقط كما فعل بعض المؤرخين، بل إن المسؤولية تقع على عاتق الخلفاء العباسيين الثلاثة المتأخرين الذين سبقوه وهم الناصر لدين الله والظاهر بأمر الله والمستنصر بالله [2].

لقد كان على الخلافة العباسية أن تتخذ عدة إجراءات في مثل هكذا ظرف حرج، لكي تكون على مستوى المسؤولية لقيادة المواجهة الحاسمة، وإذا كان لابد فإن عليها تحقيق أمرين على اقل تقدير أولهما : العمل على توحيد جهود القوى الإسلامية، وتسخير إمكاناتها للوقف بوجه الزحف المغولي، وثانيهما: الاهتمام بالجانب العسكري وتقوية جيشها وتعزيز قدرته في العدة والعدد ليكون على قدر المسؤولية التي تلقى على عاتقه[3]، وعلى الرغم من إدراك الخلافة لحجم الخطر، إلا أنها لم تقم بشيء من هذا القبيل، إذ إنها لم تتمكن من إقامة جبهة إسلامية موحدة، بسبب انشغال هذه القوى في الصراعات الدائرة بينها من اجل الاستحواذ على مناطق النفوذ من ناحية، ودخول قسم

1- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص304؛ الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص92 ؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص122.

2- خصباك، العراق في عهد المغول، ص12؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص304؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص122.

3- السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص354.

آخر منها في صراع مباشر مع الخلافة نفسها من ناحية أخرى [1] ونتيجة لهذا لم تَزْدَدْ القوى الإسلامية إلا ضعفاً ووهناً، كما أن إتباع الخلافة لسياسة عسكرية لا تتناسب مع حجم الخطر المحدق بها، كبقائها على ذات الأساليب القديمة التي كانت تستخدمها أثناء حدوث الفتن والاضطرابات الداخلية أو تعرضها لخطر خارجي، إذ اعتمدت أسلوب التطوع الاختياري من قبل الناس للدفاع عن الدولة وأراضيها، وكان معظم المتطوعة من الجند القدماء الذين كانوا على استعداد دائم للقيام بالغارات أو المساهمة بالحملات السنوية في مناطق الثغور التابعة للخلافة[2]، إلا أن هؤلاء المتطوعة كانوا يتركون العمل العسكري ويعود كل منهم إلى سبيله بمجرد زوال الخطر [3].

وعلى ما يبدو أن السبب الرئيس الذي كان يكمن وراء ضعف جيش الخلافة وقلة عدد مقاتليه، لا سيما في الحقبة التي سبقت الغزو المغولي، يرجع إلى قلة الإغراءات والمكاسب المادية التي يحصل عليها جند الخلافة، إذا ما قارناه بما يجنيه المقاتلة في جيوش الأمراء المحليين وأمراء الأطراف، وهذا ما أدى بدوره إلى عدم رغبة المقاتلين بالانخراط في جيش الخلافة، ومن الأساليب الأخرى التي استخدمتها الخلافة استغلال الشعور الديني لدى المسلمين، وإبراز قدسية الخلافة، واعتبار بذل الطاعة فرض على كل مسلم ومسلمة، كما أن الخلافة تهاونت في تلبية صرخات الاستغاثة التي أطلقها بعض أمراء الأطراف المسلمين من جراء الأخطار الخارجية التي كانت تهدد بلادهم وشعوبهم، علما أن الخلافة كان باستطاعتها أن تقدم الكثير، ولكنها اكتفت بإرسال الرسائل إلى الأمراء التابعين لها تأمرهم فيها بتقديم النجدة والعون للمستغيثين[4].

1- فوزي، الخلافة العباسية، ص122-120؛ سلطان، التاريخ الإسلامي : ج2/ص267.

2- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص310.

3- فوزي، الخلافة العباسية، ص124؛ أحلام حسن مصطفى النقيب، سياسة الناصر لدين الله الداخلية (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – بغداد: 1988م): ص162.

4- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص300 - 306؛ فوزي، الخلافة العباسية،ص22.

ولكي يتسن للقارئ الكريم فهم الموضوع بشكل جيد، فإننا آثرنا تناول موقف الخلفاء الأربعة كل على حدة وحسب التسلسل الزمني:

1- الخليفة الناصر لدين الله (575 - 622هـ/ 1225-1279م).

لقد كان الخليفة الناصر لدين الله أول خلفاء بني العباس الذين عاصروا بداية الغزو المغولي، ويقع على عاتقه جزء كبير من المسؤولية بسبب عدم مبالاته وتقديره لحجم الخطر المحدق بالأمة، واكتفائه بدعوة الناس إلى القنوت في الصلاة والدعاء عليهم، وأهتم بزيادة التحصينات في بغداد[1]، ويمكن التعرف على الواقع الحقيقي الذي كانت تعيشه الخلافة العباسية عسكرياً من خلال الاطلاع على ما أوردته المصادر التاريخية على لسان الأمير مظفر الدين كوكبري صاحب إربل وتحليله، لا سيما عندما وصل الخطر المغولي إلى أطراف إربل في سنة 618/ 1221م، فأرسل الخليفة الناصر لدين الله إلى أميرها مظفر الدين كوكبري والى الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فضلاً عن الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام والجزيرة يأمرهم بتوحيد الصف، وجمع جيوشهم من اجل التصدي للقوات المغولية، في حين أن موقفه شخصياً لم يكن بحجم الحادثة، ويتضح ذلك بشكل جلي عندما تجمعت القوات الإسلامية في داقوق بناء على طلبه، إذ لم يرسل إليهم إلا ثمانمائة جندي من جند الخلافة فقط، فيقول الأمير كوكبري منتقدا إجراء الخليفة : ((لما أرسل إلي الخليفة في معنى قصد التتر، قلت له إن العدو قوي، وليس لي من العسكر ما ألقاه به، فان اجتمع معي عشرة الآف فارس، استنقذت ما أوخذ من البلاد، فأمرني بالمسير، وواعدني بوصول العسكر، فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشي، فاقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين))[2].

على الرغم مما قاله صاحب إربل للخليفة الناصر لإيقافه على ما لديه من

1- القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص92.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص412 - 413؛ ابن واصل، مفرج الكروب :ج 4/49؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص 249.

إمكانات عسكرية، إلا أن الخليفة الناصر لم يستفد من إمكانياته العسكرية وعزيمته، من خلال تسيير الجيوش لقتال القوات المغولية إلى جانبه، ولكنه اكتفى بإرسال عدد قليل من الجند، فضلاً عن دعوة الناس إلى القنوت في الصلاة [1]، كما أن ابن الأثير ينفرد دون غيره من المؤرخين المسلمين في التلميح إلى اتصال الخليفة الناصر لدين الله بالمغول، وتشجيعهم على غزو الدولة الخوارزمية، من خلال قوله : ((وإن كان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي اطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم))[2].

في الحقيقة إن ابن الأثير لم يجزم بذلك من ناحية، كما أكد أن الرواية توردها المصادر الفارسية فقط دون غيرها من ناحية أخرى، ويتضح هذا من خلال قوله: ((وإن كان ما ينسبه العجم اليه صحيحاً))، كما أن المغول لم يكونوا بحاجة إلى تحريض من لدن الخليفة الناصر للقضاء على الدولة الخوارزمية، لا سيما وان غزو هذه الدولة كان جزءاً من مخططهم التوسعي أولاً، كما أن سعيهم للوصول إلى بغداد والقضاء على الخلافة العباسية كان يتطلب اكتساح أراضيها وتدمير نظامها السياسي ثانياً، كما أن الشيء المؤكد الذي لا يمكن تجاهله، بل وأكدته جميع المصادر والمراجع التاريخية هو عدم علاقة الخليفة العباسي الناصر لدين الله في توجيه نشاط المغول العدواني غرباً، لا سيما أنهم كانوا منشغلين في فرض السيطرة على بلاد الصين، وان السبب الرئيس للتوجه المغولي غرباً هو خرق الدولة الخوارزمية للمعاهدات التجارية التي كانت قائمة بينها وبين المغول منذ عهد جنكيزخان، إذ أمر خوارزم شاه بقتل التجار المغول وهو ما عرف بحادثة أترار، فحدثت المواجهة العسكرية بين الطرفين بعد أن رفض خوارزم شاه طلبات المغول لتسوية الأزمة بينهما.

لقد ازداد الوضع الداخلي سوءاً في السنوات الثلاث الأخيرة من حكم الخليفة الناصر لدين الله بسبب فقدانه الحركة والأبصار، وتحكم الخدم به، فأخذوا بكتابة ما

1- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص311.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج10/ 453 ؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص122.

يشاؤون باسمه، لا سيما انه قضاها في عزلة عن الناس، مما أسهم في زيادة ضعف الخلافة ووهنها، وانحلال كبير في إدارتها، فاصبحت لقمة سائغة للمغول [1].

2- الخليفة الظاهر بأمر الله (622-623هـ/ 1225-1226م)

تولى الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله الخلافة بعد وفاة والده، إلا أن خلافته لم تدم طويلاً، إذ توفي بعد تسعة أشهر، فكان قصر عهده سبباً رئيساً في عدم اتخاذ أي إجراءات إزاء الخطر المغولي ، وان قرر ذلك فانه لم يكتمل، فضلاً عن عدم معرفة السياسة التي انتهجها لمعالجة الوضع [2]. لذا يمكن القول أن مسؤولية ضعف الخلافة ووهنها كانت عليه أخف من الخلفاء الثلاثة الآخرين.

3- الخليفة المستنصر بالله (623 - 640هـ/ 1226 - 1242م)

استعادت الخلافة العباسية قوتها نوعاً ما في عهد الخليفة المستنصر بالله الذي استطاع إعادة السلطان جلال الدين إلى حظيرة الخلافة، وحسن علاقاته بالخوارزميين[3]، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن من فرض هيبتها عليه وعلى غيره من الأمراء المسلمين الآخرين، فيوحد صفوفهم في جبهة واحدة تظهر كقوة قادرة على ردع القوات المغولية وإيقاف زحفها، واسترجاع ما تم احتلاله من أراضٍ إسلامية، والثأر لما تم تدميره على أيديها ، حيث استمرت النزاعات بين هؤلاء الأمراء دون توقف، فوجد المغول ضالتهم المنشودة في ذلك، فهددوا المناطق التابعة للخلافة مرة أخرى [4]، بعد أن قضوا على الدولة الخوارزمية في سنة 628هـ/ 1230م وهي التي شكلت سداً منيعاً كان يفصل بين

1- خصباك، العراق في عهد المغول، ص14؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص305.

2- خصباك، العراق في عهد المغول، ص15.

3- النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص310.

4- القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص94.

المغول والخلافة العباسية في بغداد، كما أن الخليفة المستنصر بالله لم يدرك ذلك الخطر الذي أدركه غيره من أمراء المسلمين على أطراف الدولة العربية الإسلامية منذ وقت مبكر، ومما يؤكد ذلك ما قاله صاحب دمشق بعد قضاء القوات المغولية على الدولة الخوارزمية، ((سوف ترون غب هذا والله لتكونن هذه الكرة سببا لدخول التتر بلاد الإسلام، ما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج)) [1].

ونتيجة لكل ذلك أصبحت مناطق نفوذ المغول أكثر قرباً من الأراضي العراقية، وازدادت غاراتهم على المناطق التابعة للخلافة العباسية، ففي سنتي 632-633هـ/ 1234-1235م، أغارت القوات المغولية على شهرزور وإربل وداقوق، فلم يتخذ الخليفة المستنصر بالله أي إجراء جدي ضدها [2]، وهذا ما شجعها على إعادة الكرة في السنة التالية، فوصلت في غارتها حتى مدينة سامراء، فكان رد فعل الخليفة المستنصر بالله آنذاك معقولاً وايجابياً إلى حد ما، ولكنه جاء متأخراً، إذ أعلن الجهاد اثر جمعه لعلماء الأمة واخذ رأيهم في ذلك، فأفتوا بأن الغزو في سبيل الله خير من الحج إلى بيت الله [3]، كما بادر في الوقت ذاته إلى استنفار عرب البوادي، وأرسل إلى أمراء الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وسلاجقة الروم يدعوهم للجهاد في سبيل الله، فضلاً عن إيقافه إنفاق الأموال من اجل تجهيز القوات التي تجمعت في مدينة بغداد، فساعدت هذه الإجراءات على تجمع جيش كبير بلغ عدده مائة ألف مقاتل [4]، مما مكنه من إلحاق الهزيمة بالقوات

1- خصباك، العراق في عهد المغول، ص15؛ الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص331؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص123.

2- الذهبي، العبر في خبر من غبر :ج5 /ص132 - 133 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ ص159؛ الروزبياني، داقوق، ص 407.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 127 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص117؛ السامرائي، تاريخ الدولة، ص359.

4- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 128؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان: مج1/ ص87؛ خصباك، العراق في عهد المغول، ص16؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص94.

المغولية التي قصدت سامراء سنة 634هـ/ 1236م، بالقرب من تكريت [1]، إلا أن القوات المغولية أعادت الكرة في السنة التالية، فحققت نصراً كبيراً على قوات الخلافة العباسية، وكان سبباً في استشهاد عدد كبير منها، وعاد الباقون إلى بغداد فانسحبت القوات المغولية عائدة إلى بلادها [2].

وعلى الرغم من ذلك فان المصادر التاريخية تجمع على أن سياسة الخليفة المستنصر بالله العسكرية في معالجة الخطر المغولي، لم تكن تختلف كثيراً عن سياسة جده الناصر لدين الله التي كانت تعتمد على المهادنة والمصانعة والاسترضاء، ونتيجة لذلك فقد ترك لولده وخليفته المستعصم بالله إرثا ثقيلاً ينوء بحمله [3].

4ـ الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م)

أما موقف المستعصم بالله الذي آلت إليه الخلافة بعد وفاة أبيه، فانه لم يكن أفضل من سابقيه، بل كان اشد ضعفاً، ولا يرجع ذلك إلى شخصه، وإنما يعود بشكل كبير إلى ما كانت تمر فيه الخلافة من ظروف صعبة لم تمر بمثلها منذ قيامها، فقد عانت من الانحلال السياسي والاجتماعي والانقسام الطائفي والمذهبي، فضلاً عن الانهيار الاقتصادي، كما كان المغول في الوقت ذاته يشكلون خطراً كبيراً يتهدد المسلمين في كل مكان [4]، وهذا ما تم التفصيل عنه آنفاً ضمن المبحث الأول من الفصل الثالث.

*** *** ***

1- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 284 ؛ المقريزي، السلوك :ج 1/ص386 ؛ الروزبياني، داقوق، ص 409.

2- الساعدي، أسرار سقوط الخلافة، ص84؛ الصياد، المغول في التاريخ:ج1/ص181؛ سلطان، التاريخ الإسلامي:ج2/ص267.

3- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص429؛ خصباك، العراق في عهد المغول، ص16.

4- خصباك، العراق في عهد المغول، ص16؛ الصياد، المغول في التاريخ: ج1/ص249.

الفصل الخامس

الاحتلال المغولي لبغداد سنة 656هـ/1258م

أولاً : الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بغداد قبيل دخول المغول

لقد تم التطرق إلى الأوضاع السياسية في العراق قبيل الغزو المغولي، وسنتطرق في هذا المبحث للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بغداد قبيل دخول القوات المغولية إليها، ذلك لان العلاقة وثيقة بين الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أي زمان ومكان، وان أثر الجانب الاجتماعي والاقتصادي لا يقل أهمية عن الجانب السياسي، فكثيراً ما كانا سبباً رئيساً في ضعف الدول وانهيارها.

اتسمت الأوضاع الاجتماعية في بغداد قبيل الغزو المغولي بالترتيب الهرمي، وكان الخليفة العباسي يتصدر على رأس هذا الهرم الاجتماعي، لا سيما أن السلطة الدينية والروحية كانت بيديه، فسعى الحكام والولاة وكبار الموظفين في الأقاليم البعيدة والمجاورة إلى كسب رضاه من اجل الحصول على الاعتراف بهم لإضفاء الشرعية على حكمهم[1]، إلا أن المكانة التي تمتع بها الخليفة العباسي أخذت تضعف شيئاً فشيئاً منذ عصر التسلط الأجنبي على مؤسسة الخلافة، واخذ هذا الوضع يزداد سوءاً ليصل إلى قمة تدهوره قبيل الغزو المغولي، حيث لم تعد سلطة الخليفة تتجاوز حدود العراق، بل وحدود مدينة بغداد في بعض الأحيان، وكان الخلفاء يُخلعون ويُقتلون ويُمثّل بهم دون مبالاة أو احترام لمكانتهم [2]، وعلى الرغم من ذلك فان الخلافة العباسية كانت

1- ابراهيم، ريف بغداد، ص 155.

2- للمزيد من التفاصيل هذه الأفعال ينظر : ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 245 - 264، 273-274؛ اليافعي، مرآة الجنان : ج2 /ص158، 186، 446 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص250 - 251.

تعتمد على نظام وزارة التفويض[1] آنذاك، حيث أصبحت كل مقاليد الأمور بيد الوزير، لا سيما عندما يعتلي عرش الخلافة، اما خلفاء ضعفاء إدارياً أو صغار السن حسب قاعدة الوراثة القائمة آنذاك، مما كان له أثره السلبي على المجتمع البغدادي في تلك الحقبة [2]، إذ يؤدي ذلك إلى حدوث الفتن والنزاعات بين كبار رجال الدولة وأمرائها، من اجل تحقيق مصالحهم الشخصية دون الاهتمام بمصالح الرعية، فينتج عن ذلك غلاء في الأسعار، وتسوء الحالة المعيشية في المجتمع، فينعكس ذلك على الحياة الاجتماعية للسكان بسبب انتشار الفقر والفساد والأمراض الاجتماعية [3].

أما المجتمع البغدادي في العصر العباسي، فقد تكون من عدة أطياف، أولها المسلمون وينقسمون في ذات الوقت إلى قسمين أهل السنة والشيعة [4]، وتركز أهل السنة بمذاهبهم الأربعة بالإضافة إلى الصوفية في مختلف أجزاء العراق، لا سيما بغداد مقر الخلافة في كل من منطقة الرصافة وأبي حنيفة وباب البصرة [5]. أما الشيعة فقد استقر معظمهم في الأجزاء الجنوبية من العراق وفي بغداد في كل من الكرخ والكاظمية والخضريين [6]، كما أنهم أدوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية، فتولى الكثير منهم مناصب مهمة في الدولة العباسية، لا سيما منصب الوزارة، كما تم في عهد الخليفة

1- للمزيد من التفاصيل عن نظام التفويض (الاستيلاء) و الاستكفاء كولاية ووزارة ينظر : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، مصر : 1960م)، ص30 - 31.

2- علاء الدين مغلطاي بن قلنج بن عبد الله البكجري الحنفي، مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق : اسيا كليبان علي البارح (دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة :2000م)، ص156 ؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط5 (دار القلم، بيروت : 1984م)، ص186.

3-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 243، 259 - 261، 269، 331،333 ، ؛ للمزيد من التفاصيل عن هذه الصراعات ينظر : بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 133 - 134 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص253.

4-الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48 /ص34.

5-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 320 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج48/ص34

6- ابن الفوطي، المصدر نفسه، ص 277، 320 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص123 - 130، 136.

العباسي الناصر لدين الله الذي استأزر منهم نصير الدين العلوي [1]، فضلاً عن تعيين نقيب للعلويين لمتابعة أمورهم وأمور شيعتهم [2].

لقد عملت الخلافة العباسية جاهدة من اجل الحفاظ على المجتمع البغدادي من التمزق والفرقة، ومعالجة كل ما يؤدي إلى الانقسام، واتخاذ كل الإجراءات التي تساعد على زيادة الثقة بين الطرفين، فسعى الخلفاء إلى كسب ودهم، من خلال تقديم الأموال لهم، وزيارة الأضرحة الخاصة بهم، كضريح الإمام علي والحسين وموسى بن جعفر عليهم السلام، فضلاً عن توزيع الأموال على المقيمين في هذه الأماكن والمشرفين عليها[3].

على الرغم من ذلك كانت تظهر بعض الفتن والاضطرابات داخل بغداد بين الأحناف والحنابلة من ناحية، وبين الفقراء من العامة والأغنياء من ناحية أخرى [4]، فضلاً عن الفتن التي تفشت بين أهل السنة والشيعة في أحياء بغداد المختلفة، مما سبب اضطراب الأمن وزيادة أعمال السلب والنهب والسرقات[5]، التي كان يثيرها بعضهم وليس جميعهم، ممن كانوا يعيشون في العراق في ظل الخلافة العباسية، فكان هؤلاء سبباً في نشوء الصراعات التي ظهرت آنذاك، لا سيما في السنوات الأخيرة من عمر الخلافة العباسية [6] كما في الفتنة التي وقعت بينهما في بغداد سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م بين سكان منطقة الرصافة وسكان محلة أبي حنيفة النعمان والخضيريين، إلا أن شحنة بغداد تمكن من إيقاف القتال بين الطرفين، لكن هذه الفتنة لم تلبث أن تجددت بعد عدة أيام،

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ :ج10/ص330.

2-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 186.

3- المصدر نفسه، ص 124، 215.

4- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص136.

5- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 255 ؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج٢ /ج١/ص ٢٦٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان: مج1/ص86؛ فوزي، الخلافة العباسية،ص124؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص360.

6- ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج ١٠ /ج٤٦٩ -٤٧٠.

عندما قام سكان الكرخ بمناصرة الخضيريين ضد سكان الرصافة، فتدخل سكان منطقة باب البصرة لنصرة الرصافة، فكان ذلك سبباً في استمرار القتال لبضعة أيام، انتهى بتدخل الخلافة لإيقافها ووأد هذه الفتنة، فتمكنت من احتوائها وعقد الصلح بينهم [1].

استمرت الفتن بالظهور بين أحياء بغداد، ففي سنة 654هـ/ 1256م حدثت فتنة أيضاً بين سكان الكرخ وباب البصرة، كانت سبباً في مقتل عدد كبير من كلا الطرفين، وعلى الرغم من تدخل جند الخلافة وسيطرتهم على الموقف، إلا أن القتال تجدد مرة أخرى، فاتخذ العسكر عدة إجراءات كإغلاق مداخل الأحياء، فضلاً عن معاقبة المشاغبين وجلدهم، فتم إيقاف القتال وعقد الصلح بين الطرفين، لكن هذا الصلح كان ظاهرياً، ومما يؤكد ذلك اشتعال الفتنة في مدينة بغداد للمرة الثالثة في ذات السنة [2].

وتعد الفتنة التي حدثت في سنة 655هـ/1257م من أعظم الفتن وأكبرها، وذلك لتدخل عسكر الخلافة فيها إلى جانب أهل السنة بأمرٍ من أبي بكر ابن الخليفة المستعصم بالله ومجاهد الدين أيبك الدويدار، مما جعل الشيعة يتخذون موقفهم إزاء الخلافة العباسية آنذاك[3].

في الحقيقة إن المجتمع البغدادي في نهاية العصر العباسي كان يعاني بوضوح من عدم استقرار وتفكك نوعاً ما، نتج عنه ضعف كبير في البنية التحتية للمجتمع، بسبب هدم كل مقومات الحياة الاجتماعية لانشغال السكان بالفتن والصراعات الداخلية، فكان ذلك من أقوى أسباب ضعف المجتمع.

كما شكل أهل الذمة جزءاً لا يتجزأ من المجتمع البغدادي في العصر العباسي، وينقسمون في ذات الوقت إلى ثلاثة أقسام هي الصابئة [4] واليهود والنصارى الذين

1-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 320.
2-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص331 .
3- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص34 ؛ سير أعلام النبلاء : ج23/ص362 .
4- حسن ،تاريخ الإسلام : ج٣ /ص٤٢٤

يقيمون في محلة دار الروم[1] ، فضلاً عن الموالي وهم من أصول غير عربية كالفرس والأتراك والأرمن وغيرهم، كما يعد الرقيق الأبيض [المماليك] والأسود [العبيد] جزءاً من المجتمع العباسي، إذ أدوا دوراً كبيراً في مجال الخدمة، وتمتع جميع أتباع هذه الأديان والطوائف الاجتماعية بقدر كبير من الحرية المدنية والدينية، ومنحوا في ظل الإسلام ما لم يمنحه لهم أي دين أو كيان سياسي آخر [2] فانصهروا في المجتمع العباسي الذي مارسوا فيه معظم الصناعات والحرف اليدوية، وتقلدوا مناصب مهمة في العصر العباسي كالوزارة وإدارة الدواوين، والحجابة وغيرها، وانصب اهتمامهم في شتى أنواع العلوم لا سيما الكيمياء والطب لما كانا يدرانه من أرباح ومكاسب مادية، كما مارسوا مهنة العطارة والصرافة وبيع الذهب والحلي، وتعد مسألة سهولة الغش في مثل هكذا مهن من أسباب مزاولتها، فضلاً عن التعامل بالربا من خلالها، وهذا ما كانت الخلافة تحاربه بشكل كبير [3].

في الحقيقة أن هؤلاء جميعاً سواء من أهل الذمة أو الموالي، كانوا يعدون جزءاً مهماً من النسيج الاجتماعي البغدادي، إلا أنهم كانوا في ذات الوقت واحداً من أقوى أسباب إضعاف المجتمع وهدمه، لا سيما أنهم استغلوا التسامح الإسلامي، فمارسوا الغش والسرقة والرشوة والربا والفساد من خلال مناصبهم التي تولوها.

بعد أن أدرك أهل الذمة من النصارى في العصر العباسي الأخير أن المغول قد قضوا على الدولة الخوارزمية، وعاملوا النصارى معاملة حسنة دون غيرهم بدأوا، بإظهار عدم احترامهم للمجتمع المسلم الذي آواهم، وقدم لهم الكثير من المنافع الاجتماعية والاقتصادية، فمنحهم الحرية الدينية في الوقت الذي لاقوا ما لاقوه من معاملة سيئة على أيدي أبناء دينهم من بيزنطيين وصليبيين، فسعوا إلى التحالف

1- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص130.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 16 ؛ حسن، تاريخ الإسلام : ج٣ / ص ٤٢٤؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص51.

3-الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص98.

والتعاون مع هذه القوة [1]، فضلاً عما أظهره بعض خاناتهم وأمرائهم من تعاطف مع النصارى، فكيوك خان (646-644هـ/1248-1246م) كانت والدته تدين بالنصرانية على المذهب النسطوري، كما تولى تربيته الأمير قداق النصراني إلى جانب العديد من الأمراء الآخرين [2] الذين اتخذوا منهم المستشارين[3]، وأكد ذلك المؤرخ الأرمني فارتوكرات من خلال إشارته إلى أن هيثوم الأول ملك أرمينية الصغرى عرض إثناء لقائه بالخان المغولي سبعة مطالب، منها دعوة الخان لاعتناق الديانة النصرانية [4]، كما طلب منه المساعدة والدعم العسكري والمادي لاسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين، وطرد الخليفة العباسي من بغداد، وتمكين الأرمن من بسط سيطرتهم على جميع الأراضي التي اقتطعت من مملكتهم في فترات سابقة، وقد وعد منكو خان بتحقيق هذه المطالب عندما قال لهيثوم ((لولا انشغالنا في أراضي منغوليا لكنت قد توجهت بنفسي إلى الأراضي المقدسة منطلقاً من احترامنا الشديد للسيد المسيح، لذلك سنوكل هذا الأمر إلى أخينا هولاكو في إيران ليقوم بتحقيق هذه المهمة، وسوف يحرر بيت المقدس ويعيدها للمسيحيين، ونتمنى أن يقضي هولاكو على الخليفة باعتباره العدو الأول

1- قداوي، التحالف المغولي الأرميني الصليبي لاحتلال مصر وبلاد الشام، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع10، 1999م، ص10؛

Felicitas Schmieder , The Mongols as non-believing apocalyptic friends around the year 1260 (University of Frankfurt, Germany : 1998) , P.4.

2- بارتولد، تركستان، ص 678، 694 ؛ جان موريس فييه الدومنيكي، الآثار المسيحية في الموصل، ترجمة : نجيب قاقو (مطبعة الطيف، بغداد : 2000م)، ص 58.

3- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 290-٢٩١ ؛ قداوي، النساء الحاكمات في إمبراطورية المغول، مجلة المجمع العلمي العراقي، م 46، ج 4، 1999، ص 148.

4- يزعم الملك هيثوم الأول انه قد عمّد منكوخان وقد يكون على حد قوله انه حضر بنفسه طقوس تعميده أي انه دخل على ملية النصرانية. ينظر : بارتولد، تركستان، ص 686 ؛

Salah Zaimeche , Baghdad (Aasiya Alla , FSTC Limited: 2005), P. 24.

لنا))[1]، فكان ذلك سبباً أخر من الأسباب التي اسهمت في إضعاف المجتمع، وفقدان الثقة بين مكوناته المختلفة من ناحية وبين هذه المكونات وحاكميها من ناحية أخرى، فضلاً عن ظهور الكثير من مظاهر الانحراف الاجتماعي في أوساط المجتمع.

أما فيما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية في بغداد قبيل الاحتلال المغولي، فإنها كانت يوماً بعد يوم تتجه من سيىء إلى أسوأ، لا سيما أنها تعرضت لعدة نكبات متلاحقة كالفيضانات المدمرة التي أدت إلى غرق الكثير من الأراضي الزراعية بما فيها، وتلف محاصيلها، وأغرقت الكثير من دور المدينة في سنة 654هـ/1256م [2]، ومن الأسباب التي زادت الوضع تعقيداً كثرة النازحين إلى بغداد من المناطق التي استولت عليها القوات المغولية في شرقي البلاد، فكان هؤلاء النازحون يجلبون معهم مشاكلهم ونقمتهم، مما أثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها، وأصبحت تعيش في حالة قلق دائم من جراء هذه الفوضى في الداخل إلى جانب تزايد الخطر الخارجي الذي بدأ يهددها [3] وفي الوقت الذي أصبحت الحالة ببغداد بهذا الشكل بدأ هولاكو بمراسلة الخليفة وتهديده من همذان[4].

لم يقتصر الضعف الاقتصادي الذي عانت منه الخلافة العباسية في بغداد على مجال واحد بل امتد إلى جميع المجالات، ففي مجال الإنتاج الزراعي كان التدهور

1- هارولد لامب، شعلة الإسلام،ترجمة:محمود عبد الله يعقوب(مكتبة المثنى، بغداد : 1967م)، ص564؛ *David Marshall Lang , Armenia Cradle of Civilization,(No. p. , London: 1970) , p. 206; Schmieder , The Mongols as non-believing apocalyptic friends, P.6.*

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص262؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص125؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 361؛ الأمين، الغزو المغولي، ص122؛ *Abdulhadi Hairi, Nsir AL-Din ~ÜSÎ his supposed Political role in the Mongol invasionof› Baghdad (University Montreal , Canada : 1968), P. 40.*

3- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص309.

4- السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 362.

واضحاً بشكل جلي، نتيجة لعدة أسباب منها إتباع الدولة سياسة التضمين للأراضي الزراعية التي يتم منحها للأغنياء أو كبار رجال الدولة مقابل مبلغ من المال يدفع لخزينة الخلافة، فيتولى الضامن مهمة الإشراف على الزراعة وجمع الضرائب السنوية من الفلاحين [1]، مما تسبب في زيادتها بشكل ملحوظ دون مراعاة ظروف الفلاحين المعيشية أو الظروف التي تؤثر في الموسم الزراعي كقلة الأمطار وانتشار الآفات الزراعية كالجراد وغيرها، فوصلت في بعض السنوات إلى عشرة أضعاف ما كان مقرراً عليها سابقاً، كما حدث في خراج بعقوبة في عهد الخليفة الناصر لدين الله [2] فكان لاعتماد هذه السياسة في الوقت الذي بدأ الضعف والفساد يدب في الجهاز الإداري للخلافة العباسية أثر كبير في زيادة وهنها، لا سيما في عهد الخليفة المستعصم بالله الذي فقد دوره في إدارة الدولة بعد أن أصبح وزيره الآمر الناهي فيها [3].

لقد كان لنظام الإقطاع الذي شاع في العصر العباسي آثار ونتائج انعكست سلباً على المجتمع، لا سيما أن الإقطاعي كان يعمل جاهداً من اجل الحصول على اكبر كم من الأموال لتحقيق الثراء وسد نفقاته وما ترتب عليه من أموال للدولة، فيدفع لخزينة الخلافة مبالغ كبيرة،ويحتفظ بأضعافها دون المبالاة بما يعانيه الفلاح من سوء المعيشة[4]، كما أن إهمال نظام الري اثر بشكل مباشر على الإنتاج الزراعي من حيث الكم والنوع [5]، فضلاً عن تعرض الأراضي العراقية لفيضانات نهري دجلة والفرات، والعواصف التي تسببت في دمار الآلاف من أشجار النخيل[6].

1- إبراهيم، ريف بغداد،ص 237 - 239.

2- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 459 ؛ إبراهيم، ريف بغداد، ص352.

3- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص289 .

4- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري (الشركة العالمية للكتاب،بيروت :1989م)،ص241.

5- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 52.

6- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 320 - 321 ؛ للمزيد من التفاصيل عن أثر الفيضانات ينظر : إبراهيم، ريف بغداد، ص282 - 283.

نتيجة للأسباب الآنفة الذكر والتي أثرت في الإنتاج الزراعي بشكل مباشر، اخذ السكان قبيل غزو المغول يتجهون إلى مجالات وحرف أخرى غير النشاط الزراعي، وذلك لانصراف الدولة عن الاهتمام بالمزارع وتعويضه، واتجاهها نحو التجارة، التي احتلت المرتبة الأولى من بين الموارد المالية للخلافة العباسية[1]، لا سيما أن العنصر العربي اتجه لمزاولة الأعمال التجارية والصناعية، بسبب اعتماد مؤسسة الخلافة على عناصر غير عربية في إدارة مفاصل الإدارة في الدولة، فازدهرت أسواق العراق وامتلأت بأصحاب التجارة الداخلية، فزادت أجرة الدكاكين في أسواق بغداد التي كانت واحدة من المدن المزدحمة بالسكان، مما أسهم بشكل كبير في نمو الحركة التجارية في العراق[2].

لم يلبث النشاط التجاري أن تراجع وبدأ بالاضمحلال شيئاً فشيئاً في نهايات العصر العباسي بسبب تعرض القوافل التجارة الخارجية لأعمال النهب والسلب والقتل التي كان يقوم بها المغول من ناحية ومن فرق الباطنية التي كانت تقطع الطرق من ناحية أخرى، فضلاً عن جيوش أمراء الشام ومصر في أثناء الحروب التي دارت فيما بينهم. أما الأوضاع الداخلية في بلاد الشام ومصر فلم تكن مستقرة بما يكفي لقيام حركة تجارية نشطة، بسبب سيطرة الصليبيين على أجزاء كبيرة منها[3]، كما أن هناك أسباباً داخلية عديدة أدت إلى ضعف النشاط التجاري قبيل الاحتلال المغولي لبغداد، كان من أهمها ازدياد الاقتتال الداخلي بين فئات المجتمع البغدادي المختلفة كما حدث في

1-المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 119.

2- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير،، تحقيق: محمد مصطفى زيادة (دار الكتاب اللبناني، بيروت : د. ت)، ص175،،177، 202 ؛ وللمزيد من التفاصيل عن النشاط التجاري في بغداد ينظر : إبراهيم، ريف بغداد، ص 317 - 320، 323.

3- للمزيد عن السيطرة الصليبية على بلاد الشام واستنزاف خيراتها ينظر : رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج1،2،3 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة :1963م) : ج1،2 ؛ حبشي، نور الدين والصليبيون ؛ صبرة ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ؛ محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية (دار الشروق، عمان : 1999م).

السنوات 653هـ/1255م و654هـ/1256م و655هـ/1257م[1] وبين اليهود والشيعة في سنة 654هـ/1256 [2]، مما أدى إلى استنزاف موارد البلاد، فضلاً عن الغارات المغولية المتكررة على الأراضي العراقية [3]، كما لم تكن الكوارث الطبيعية التي امتدت حتى شملت مناطق من بلاد الشام بمعزل عن الأسباب التي أسهمت في ضعف التجارة[4]. كما لم تكن الصناعة التي تطورت كثيراً في العصر العباسي أفضل حالاً من الزراعة والتجارة في نهايات العصر العباسي، اذ شهدت في السنوات الأخيرة من عمر الخلافة العباسية تراجعاً ملموسًا، نتيجة لتردي التجارة والزراعة ، مما أثر سلباً على نمو الصناعة وازدهارها، فتوقفت الصناعات المختلفة، كصناعات الألبان والأجبان، بسبب خسارة البلاد لنسبة كبيرة من ثرواتها الحيوانية والزراعية بفعل الفيضانات والعواصف[5]، فضلاً عن صناعة النسيج وصناعة الورق والعطور وغيرها [6]، هذا بإيجاز ما اتسمت به الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية قبيل الغزو المغولي، وكان له دور كبير في ضعف الخلافة العباسية وتدهورها، فجعلها فريسة سهلة للقوات المغولية .

*** *** ***

1-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 331 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج3 /ص527، 540، 554.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،ص 334 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص254.

3- الذهبي، العبر في خبر من غبر : ج5/ص136؛ الحنبلي، شذرات الذهب : ج5/ص181 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 168.

4- الذهبي ،تاريخ الإسلام : ج48/ص34.

5-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،ص321-320؛الصياد،المغول في التاريخ:ج1/ ص254.

6- للمزيد من التفاصيل عن الصناعات وتطورها في العراق.ينظر: ابراهيم، ريف بغداد، ص-302 310.

ثانياً : استعداد هولاكو للزحف إلى بغداد وموقف الخلافة

بعد سيطرة المغول على بلاد فارس في سنة 654هـ/1256م وقضائهم على الإسماعيلية التي تمثل اكبر قوة فيها، قرر هولاكو التوجه نحو همذان، ولم يهاجم بغداد مباشرة على الرغم من أن الطريق قد أصبح مفتوحاً إليها [1]، فتريث في القيام بذلك لحين إعداد العدة الكافية من همذان للزحف نحو العراق والقضاء على الخلافة العباسية فيها، منطلقاً من مبدأ الطاعة لأوامر الخان الأعظم الذي أمره بعدم التعرض للخليفة العباسي، إذ ما بذل لهم جميع فروض الطاعة من ناحية [2]، وإصغائه لنصيحة قائده بايجو نويان من ناحية أخرى، حيث قال القائد المغولي بايجو لهولاكو، عندما تم توبيخه من قبله على عدم مهاجمة بغداد واحتلالها، مبرراً له ذلك بعدة أسباب، منها كثافتها السكانية، وبالتالي كثرة تعداد جيوشها، وما تحويه من آلات حرب وسلاح وذخيرة، فضلاً عن صعوبة الطرق المؤدية إليها ووعورتها، إذ يتحتم السير خلالها للوصول إلى بغداد [3]،بعد ذلك قرر هولاكو إرسال الرسل إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله وهم يحملون رسالة شديدة اللهجة يأمره فيها بالاستسلام وتسليم مدينة بغداد إليه، إلا أن الخليفة رفض ذلك، وأرسل برسالة رد إلى هولاكو فيها كل معاني التهديد والوعيد، كما دعاه فيها أيضاً إلى السلام وعقد الصلح والعودة إلى همذان، ودارت بين الطرفين مراسلات عدة لم تجد أي منها نفعاً لكلا الطرفين [4]، فلم تكن نتيجتها إلا الفشل، لذا أقدم هولاكو على الزحف إلى العراق للقضاء على الخلافة العباسية، والاستيلاء على عاصمتها في سنة

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص 261 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص232 ؛ 235 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 84 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 100 - 136.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 150.

3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2 / ج 1/ ص260 - 261 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 157.

4- سنتطرق إلى المراسلات التي دارت بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله في المبحث اللاحق مفصلاً.

655هـ/1257م[1]، فبدأ باتخاذ أول الإجراءات المعتادة عند المغول، وهي استدعاء المنجمين والفلكيين الذين برفقته[2].

على ما يبدو أن اعتماد خانات المغول وأمرائهم على المنجمين والفلكيين في استطلاع الأمور وقراءة الطالع والتنبؤ بمصير غاراتهم وهجماتهم قبل انطلاقها، كان من منطلق اعتقادهم الديني المتمثل بالديانة الشامانية التي تعتمد على الأجرام السماوية كجزء من مبادئها الرئيسة من حيث التفاؤل والتشاؤم والخوف.

لقد كان بضمن هؤلاء الفلكيين الذين استدعاهم هولاكو فلكي مسلم على المذهب السني وكان ميالاً للخلافة العباسية، فيخشى عليها مما قد تلحقه بها القوات المغولية، فحاول أن يقنع هولاكو ويثنيه عن عزمه على مهاجمة بغداد من خلال قوله له ما من ملك أو سلطان أقدم على مهاجمة بغداد، أو حاول القضاء على أسرة بني العباس إلا عاقبه الله وخيب مسعاه [3] ولحقت به المصائب وانهار ملكه[4]، وهذا ما حدث مع الملوك السابقين، لقد كادت هذه الخدعة تنطلي عليه لولا سعي نصير الدين الطوسي إلى تفنيد ما قيل لهولاكو عندما سأله عن ذلك، وأقنعه بان مهاجمة بغداد هي من أفضل ما سيقوم به، وانه سينجح في القضاء على الخلافة العباسية ويدخل بغداد ويحكم بدلاً عن الخليفة [5].

ما أن انتهى هولاكو من القيام بالاستعدادات اللازمة حتى قرر الانطلاق لمهاجمة بغداد، ولضمان نجاح حملته البالغ تعدادها مائة وعشرين الف مقاتل [6]، قام بإرسال

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص267 - 271، 282 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج8/ص269.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص160 ؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص259.

3-محمد السعيد جمال الدين، علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق (د.م.،القاهرة:1982م)،ص11.

4- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 118؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص204 ؛ *Zaimeche , Baghdad, P. 22.*

5- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص279 - 280؛ *Zaimeche , Baghdad , P. 22.*

6 - صبحي عبد المنعم محمد، سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (العربي للنشر والتوزيع، القاهرة : 2001م)، ص15.

قوات كبيرة بقيادة قائده كتبغا نويان لفرض السيطرة على جميع القلاع الواقعة على طريق سير حملته إلى بغداد[1]، كما أمر بتأمين المؤن لجيشه والأعلاف لخيولهم عن طريق السكان من القبائل المقيمة في تلك المناطق من ناحية، وإنذارهم بعدم التعرض للقوات المغولية أثناء سيرها من ناحية أخرى، فضلاً عن إقامة الجسور الكفيلة بنجاح مهمة عبورها [2].

لم يكتف هولاكو بذلك فوضع خطة عسكرية محكمة تضمنت تقسيم قواته إلى ثلاثة أقسام للإحاطة ببغداد من جميع جهاتها، فأمر القسم الأول الذي يقوده الأميران جرماغون وبايجو نويان اللذان مثلا الجناح الأيمن له بالتوجه إلى بغداد عن طريق إربل والموصل لفرض الحصار عليها من الجهة الغربية، والانتظار حتى يصل القسم الثاني من القوات المغولية الذي يقوده هولاكو، وهو يمثل القلب إلى الجهة الشرقية من بغداد، أما القسم الثالث من هذه القوات أو جناحها الأيسر الذي يقوده كتبغا، فيتجه إلى بغداد عن طريق لورستان وخوزستان[3]. وبعد أن تجتمع القوات المغولية بأقسامها الثلاثة حول المدينة بضفتيها الغربية والشرقية تم فرض الحصار عليها [4].

في المقابل كان الخليفة المستعصم بالله واقعاً بين المطرقة والسندان[5]، وتحت تأثير تيارين متضادين تمثل التيار الأول بالأميرين مجاهد الدين ايبك الدويدار وسليمان شاه وكبار أمراء الجيش الذين يجدون في مقاومة المغول السبيل الوحيد للنجاة من خطرهم، وثانيهما : وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي وأتباعه ممن يرون عدم الجدوى في المقاومة وضرورة مهادنة المغول ومصالحتهم بدفع الأموال، وتقديم الاعتذار

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص278.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 150.

3- الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص260.

4 - رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص 281 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص119.

5 - لقد تم التفصيل عن موقف الخليفة المستعصم بالله من الغزو المغولي ضمن المبحث الأول من الفصل الثالث من هذا الكتاب، الذي تناول دراسة الأوضاع الداخلية في بغداد قبيل الغزو المغولي.

لهولاكو، وذكر اسمه في الخطبة ونقشه على النقود كما كان عليه الحال أيام البويهيين والسلاجقة[1]، وفي نهاية المطاف نجح التيار الأول في استمالة الخليفة المستعصم بالله، وإقناعه في تبني مشروع المقاومة [2]، وعلى الرغم من ذلك لم يتخذ الخليفة إجراءات حازمة وكفيلة تمكنه من التصدي للقوات المغولية، وتعزز من القوة الدفاعية لعاصمته بغداد وقدرتها على الصمود أمام أي هجوم خارجي أو حصار قد يفرض عليها، واقتصر ما اتخذه على استنفار المقاتلة وجمعهم[3]، إلا انه لم ينفق عليهم الأموال الكافية، ولم يمنحهم رواتبهم وأرزاقهم، فكان لذلك أثره السلبي، إذ أدى إلى ترك الكثير منهم للجيش والمغادرة مع أهاليهم إلى أماكن بعيدة عن خطر المغول، ومما زاد الطين بلة انه اسند أمر الإشراف على المقاتلة وتوزيع الأموال عليهم إلى وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي [4] الذي أسهم أيضاً بتسريح أعداد كبيرة منهم، مبرراً ذلك للخليفة بالاستفادة من أرزاقهم في دفع هولاكو عن مدينة بغداد[5].

لقد أشار بعض المؤرخين إلى أن عدم إنفاق الخليفة المستعصم بالله على إعداد الجيش وتسليحه لمواجهة المغول، كان بسبب حبه لجمع الأموال، فكانت النتيجة وبالاً عليه وعلى المسلمين الذين فجعوا بانهيار خلافتهم واحتلال عاصمتها [6]، وأشار آخرون

---

1 - ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 /ص164؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص118؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 87 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص204.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج٢/ج١/ص272-273 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص204.

3- بدر محنة الإسلام الكبرى، ص163 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص 203.

4- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج٢ /ج١/ص274؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص202 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ص518.

5-اليونيني، ذيل مرآة الزمان: مج1/ص87؛ ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص208 ؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص45- 46؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص124؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص362؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص196.

6- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص 183 ؛ الكتبي، فوات الوفيات : ج1/ص237؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص205 ؛ المقريزي، السلوك : ج 1/ص128 ؛ الساعدي، أسرار سقوط الدولة العباسية، ص62؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص252؛ إقبال، تاريخ المغول، ص197؛ سلطان، التاريخ الإسلامي :ج2/ص273.

إلى انه كان ينتظر قدوم المساعدات والدعم العسكري من أمراء المسلمين في بلاد الشام ومصر بسبب ما أكد له ابن العلقمي [1].

في الحقيقة مهما كانت الإجراءات التي اتخذها الخليفة المستعصم بالله على الرغم من بساطتها مقارنة بالاستعداد المغولي، ومهما كانت الأسباب التي أشار إليها المؤرخون والتي أقعدت الخليفة وحجمت جهوده في إعداد العدة للتصدي للخطر المغولي، فانه استسلم في نهاية المطاف إلى ما سيصنعه القدر من مصير محتوم قد كتبه الله لبغداد، معولاً على ما سيستجد من ظروف وما سيصله من إمدادات خارجية من أمراء المسلمين، فضلاً عن اعتماده على ما تبقى لديه من مقاتلة تحت قيادة مجاهد الدين الدويدار وسليمان شاه .

*** *** ***

ثالثاً : المراسلات بين هولاكو والخليفة المستعصم قبيل احتلال بغداد

عندما كان هولاكو في همذان التي عاد إليها اثر القضاء على الإسماعيلية في بلاد فارس، باشر في استكمال الاستعدادات اللازمة للزحف نحو العراق والقضاء على الخلافة العباسية، وفي أثناء ذلك أرسل إلى الخليفة المستعصم بالله في شهر رجب سنة 655هـ/1257م رسالة شديدة اللهجة مصاغة في قالب من التهديد والوعيد الشديدين لما سيحل به وبملكه من عقاب على أيدي القوات المغولية، وذلك لامتناعه عن إرسال المدد الذي طلب منه سواء كان جنداً أم مؤناً أثناء الحملة على الإسماعيلية [2]، كما دعاه إلى

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج٢ /ج١/ص273 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ ص173.

2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص471 ؛ يشير الصياد إلى أن الخليفة المستعصم أراد أن يرسل قوة عسكرية إلى هولاكو، إلا أن قادة جيشه وأمراءه، أقنعوه بعدم القيام بمثل هذا العمل لكي لا يقعوا في خدعة مغولية، كما أقنعوه بان هولاكو ليس بحاجة لجند الخليفة، وإنما يقصد من وراء ذلك إخلاء بغداد من الجيش، ليسهل عليه مهاجمتها واحتلالها، فاقتنع الخليفة، ولم ينفذ طلبات هولاكو في إرسال الجند.المغول في التاريخ : 1 ج/ص255 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص203 ؛ *Azeem Beg Chughtai , The Fall of Baghdad , p.533* منشور على شبكة الانترنيت WWW.Google.com

تجريد جميع الحصون والمعاقل التابعة لبغداد من الأسلحة وأدوات الدفاع، والحضور بنفسه إلى معسكر هولاكو لتسليم المدينة له للحفاظ على حياته وحريته وعرشه، فان فعل الخليفة ما يؤمر سلِم من العقاب، وان لم يفعل،فان القوات المغولية ستسير إلى بغداد وتستولي عليها وتنتزعها من سلطانه [1]، وتمثل نص هذه الرسالة بقول هولاكو للخليفة : ((لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة وطلبنا مددا من الجند، ولكنك أظهرت الطاعة، ولم تبعث الجند، وكانت آية الطاعة والاتحاد إن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة، فلم ترسل إلينا الجند، والتمست العذر ومهما تكن أسرتك عريقة، وبيتك ذا مجد تليد..

ولا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام، ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي، منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم، والذل الذي حاق بأُسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم، ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة، وذلك بحول الله القديـم الدائـم،لم يكن باب بغداد مغلقاً في وجه أية طائفة من تلك الطوائف، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم، فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان ؟ ولقد نصحناك من قبل [2]، والآن نقول لك : احذر الحقد والخصام، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب[3].

ومع هذا فقد مضى ما مضى، فإذا أطاع الخليفـــة فليهدم الحصون، ويـردم الخنـــادق،ويسلم البلاد لابنه، ويحضر لمقابلتنا، وإذا لم يرد الحضور، فليرسل كلا من الوزير سليمان شاه والدواتدار [الدويدار] ؛ ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص، فإذا

1- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 116.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج٢/ج١/ص 267؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص256.

3-رشيد الدين الهمذاني، المرجع نفسه : مج٢/ج١/ص 267؛ الصياد، المغول في التاريخ : 1/ 256؛ العريني، المغول، ص216؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص 415؛ حسن، تاريخ الإسلام: 4/147 - 148؛ سلطان، التاريخ الإسلامي : ج2 / ص268 ؛ الأمين، الغزو المغولي، ص213.

استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد، وسنبقي له على دولته وجيشه ورعيته، أما إذا لم يصغ إلى النصح، وأثر الخلاف والجدال، فليعبئ الجند، وليعين ساحة القتال ؛ فإننا متأهبون لمحاربته،وواقفون له على استعداد، وحينما أقود الجيش إلى بغداد مندفعا بسورة الغضب، فإنك لو كنت مختفيا في السماء أو في الأرض :

ـ فسوف أنزلك من الفلك الدوار،

وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد.

ـ ولن أدعك حيا في مملكتك...،

وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار

فإذا أردت أن تحفظ راسك وأسرتك، فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله)) [1].

في الحقيقة إن رسالة هولاكو هذه تدل على انه كان يسعى إلى الاستيلاء على السلطة الزمنية من أيدي الخليفة، وإبقائه كرمز ديني مجرد من جميع صلاحياته، كما كان عليه أجداده في عهد البويهيين والسلاجقة [2].

على ما يبدو أن الخليفة المستعصم بالله لم يحبذ مسالة منح لقب السلطنة لهولاكو، لأنه لم يزل متيقناً من أن هولاكو لم يتجرأ على مهاجمة بغداد، ومداهمته في عقر داره، لما له من مكانة دينية ومعنوية كبيرة بين عامة المسلمين ويعلمها غيرهم من إتباع الديانات السماوية والوثنية، على الرغم من كل ما أحدثته القوات المغولية من دمار ومجازر بشعة بحق الشعوب التي اجتاحوا بلادها، وأثبتت أنهم قوم متوحشون لا يردعهم عن سفك دماء الأبرياء أي رادع مهما كان نوعه.

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ 268-267؛ الساعدي، أسرار سقوط الخلافة، ص87 - 88؛ الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص256؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص 415 - 416؛ سلطان، التاريخ الإسلامي : ج2/ص269.

2- الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص256؛ عبد الرزوف، بلاد الجزيرة، ص203.

إن هذا الاعتقاد من لدن الخليفة المستعصم بالله من جهة، وثقته العمياء بوزيره ابن العلقمي الذي أكد له أن دفاعات بغداد قوية من جهة أخرى، فضلاً عن تأكيد الوزير على ضآلة الخطر المغولي، فاخذ بتأكيدات وزيره، وقرر أن يرسل إلى هولاكو رسالة بنفس القالب[1] لكي لا يظهر بمظهر الضعيف أمام خصمه، فضلاً عن تعامله مع الأحداث من باب الخدعة والمكر في الحرب متجاهلاً الإمكانات المغولية مقارنة بما تعانيه الخلافة من ضعف.

أرسل الخليفة المستعصم بالله بالرسالة إلى هولاكو، مع كل من شرف الدين بن الجوزي وبدر الدين محمود وزنكي النخجواني، وجاءت هذه الرسالة بنفس المضمون من الوعيد والتهديد،فقال فيها لهولاكو : ((أيها الشاب الحدث !... المتمني قصر العمر، ومن ظن نفسه محيطا ومتغلباً على جميع العالم مغترا بيومين من الإقبال، متوهماً أن أمره قضاء مبرم علي وأمر محكم. لماذا تطلب مني شيئا لمن [لن] تجده عندي [2].

شعر :

ـ كيف يمكن أن تتحكم في النجم وتقيده، بالرأي والجيش والسلاح

ألا يعلم الأمير أن من الشرق إلى الغرب، ومن الملوك إلى الشحاذين، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين، كلهم عبيد هذا البلاط وجنودي لي، أنني حينما أشير بجمع الشتات، سأبدأ بحسم الأمور في إيران، ثم أتوجه إلى بلاد توران، وأضع كل شخص في موضعه، وعندئذ سيصير وجه الأرض مملوءا بالقلق والاضطراب. غير أني لا أريد الحقد والخصام، ولا اشتري ضرر الناس وإيذاءهم، كما أنني لا أبغي من وراء تردد الجيوش، أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح، خصوصاً وأنني مع الخاقان وهولاكو، قلب ولسان واحد،وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما

1- نور الدين خليل، سيف الدين قطز قاهر المغول(مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية : 2005م)،ص78.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص269.

شانك بخنادق رعيتي وحصونهم[1]. فأسلك طريق الود، وعد إلى خراسان، وان كنت تريد الحرب والقتال...

ـ فلا تتوان لحظة ولا تعتذر،

إذا أستقر رأيك على الحرب.

ـ إن لي ألوفا مؤلفة من الفرسان والرجالة،

وهم متأهبون للقتال.

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان)) [2].

وبهذه الشكل كان رد الخليفة المستعصم بالله على طلبات هولاكو ورسالته التي انتقص فيها من قدره ومكانته، كما سمح لرسل هولاكو بالمغادرة، وحملهم بعض التحف والهدايا، إلا أنهم تعرضوا لإهانات كبيرة من قبل العامة أثناء سيرهم، وكادوا يقتلون على أيديهم لولا حماية الوزير لهم، وما أن وصل الرسل إلى مقر هولاكو، حتى اخبروه بكل ما شاهدوه، وما تعرضوا له من إهانة، فغضب هولاكو، ووصف الخليفة بأنه معهم كالقوس الأعوج، ولا يمتلك أي كفاءة إدارية أو حنكة سياسية، وتهدده بأنه سيجعله مستقيماً كالسهم، وعندما دخل وفد الخليفة المرافق للوفد المغولي العائد على هولاكو وابلغوه برسالته، غضب هولاكو من مضمونها وعده رداً غير لائقٍ[3] .

إن رفض الخليفة المستعصم بالله لمطالب هولاكو واستعداده للحرب، كان بداية النهاية للخلافة العباسية، التي توهمت بان الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص 269 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 87.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص269 - 270؛ الصياد، المغول في التاريخ:ج1/ ص257-256؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص 417؛ سلطان، التاريخ الإسلامي: ج2/ص269؛ الأمين، الغزو المغولي، ص124 - 125.

3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ: مج2/ج1/ص270؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص117 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص 204.

مصر سينهضون لنجدة الخلافة إذا ما حل بها طارئ، إلا انها أخطأت في تقديراتها، ولم تحسب حساباً إلى أن كليهما كان لديه من المشاكل والظروف ما يمنعه من تقديم أي نجدة[1]، وهذا ما جعل هولاكو يأذن لوفد الخلافة بالعودة وحمله رسالة شفهية مهددا خلالها الخليفة بقوله : ((إن الله الأزلي رفع جنكيزخان، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب؛ فكل من سار معنا وأطاعنا، واستقام قلبه ولسانه، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه. ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك))[2] ثم عاتب الخليفة بشدة قائلاً : ((لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية، بحيث انه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وان في أذنيك وقرا، فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك، وإذن فعليك أن تكون مستعدا للحرب والقتال، فأني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى، فتلك هي مشيئة الله العظيم))[3]، وبمجرد أن وصل الوفد إلى بغداد تم إبلاغ مؤيد الدين ابن العلقمي وزير الخليفة بالرسالة، فعرضها بدوره كاملة غير منقوصة على الخليفة، فجمع الأخير أرباب دولته، وسألهم عن تدبير لدفع هذا الخطر الداهم[4].

وفي أثناء التحاور لإيجاد الحل المناسب، وكيفية التخلص من هذا المأزق ظهر اتجاهان متعارضان، الأول : أشار باسترضاء هولاكو من خلال بذل الأموال الطائلة والاعتذار والدخول في الطاعة، وقد مثل هذا الاتجاه الوزير ابن العلقمي. أما الثاني: فتمثل بقادة الجند وعلى رأسهم مجاهد الدين أيبك الدويدار وسليمان شاه، فأشاروا على الخليفة بضرورة التصدي للقوات المغولية ومقاومتها بكل الوسائل[5] أما الخليفة فقد آثر

1ـ العريني، المغول، ص 216.

2ـ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص270.

3ـ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج1/ ج2/ص270 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص 418؛ الأمين، الغزو المغولي، ص126.

4ـ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص 117.

5ـ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص272 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص259.

إتباع الطرق السلمية، ومهادنة هولاكو واسترضاءه بالهدايا البسيطة المقرونة بتحذيره من مغبة ما هو مقدم عليه مطلعاً إياه على مصير الذين تعرضوا للخلافة بسوء من الجبابرة الذين سبقوه [1] ، فرد الخليفة على رسالة هولاكو الأخيرة قائلاً : ((لو غاب عن الملك، فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ؛ إذ إن كل ملك ـ حتى هذا العهد ـ قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد، كانت عاقبته وخيمة، ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك، وأصحاب الشوكة من السلاطين، فإن بناء هذا البيت محكم للغاية، وسيبقى إلى يوم القيامة. وفي الأيام السالفة، قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة، وتوجه بجيش لجب إلى بغداد، فلم يبلغ مأربه إذ مات بعلة الزحار، والأمر كذلك مع أخيه عمرو، إذ قبض عليه إسماعيل بن احمد الساماني، وكبله وأرسله إلى بغداد؛ كي يجري عليه الخليفة ما حكم به القضاء. وكذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد،وقبض على الخليفة، وسجنه في الحديقة،وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين،باسم المستنصر الذي كان خليفة الإسماعيلية في مصر. وفي النهاية علم طغرلبك بذلك، فأسرع من خرسان، وقصد البساسيري في جيش جرار، وقبض عليه وقتله، وأخرج الخليفة من السجن، وأعاده إلى بغداد، وأجلسه على عرش الخلافة،وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد، فعاد منهزماً وهلك في الطريق، وجاء محمد خوارزم شاه بجيش عظيم قاصدا استئصال هذه الأسرة، فابتلى في روابي (أسد آباد) بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه،وهلك أكثر جنده، وعاد خائباً خاسراً. ثم لاقى ما لاقى من جدك جنكيزخان في جزيرة آبسكون، فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصد أسرة العباسيين، فاحذر عين السوء من الزمان الغادر)) [2].

1-الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص32 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 118؛ إقبال، تاريخ المغول، ص200.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/275 - 276؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص 419 - 420؛ محمد جاسم حمادي المشهداني، في محكمة التاريخ ابن العلقمي والطوسي، (د.م. دمشق: 2000م): ص80-79.

انزعج هولاكو كثيراً واستشاط غضباً نتيجة لهذا الرد، فأرسل شعراً إلى الخليفة المستعصم بالله كان قد صاغه في قالب التهديد، وقد جاء فيه : ((أذهب واصنع من الحديد المدن والأسوار، وأرفع من الفولاذ الأبراج والهياكل، واجمع جيشاً من المردة والشياطين، ثم تقدم نحوي للخصام والنزال. فسأنزلك ولو كنت في السماء، وسأدفع بك غصبا إلى أفواه السباع))[1].

لم تجد المراسلات التي دارت بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله إي نفع، وإنما زادت من التوتر بينهما، وكانت سبباً في إصرار هولاكو على مهاجمة بغداد، فسار إليها وعندما أقترب منها أرسل إلى الخليفة رسولاً يدعوه للحضور، إلا أن الخليفة اتبع أسلوب التسويف والمماطلة، فأرسل ابن الجوزي الذي كان يشغل منصب أستاذ دار الخلافة إليه محملاً برسالة مملوءة بالوعد والوعيد، وملمحاً لهولاكو بان من الأفضل أن ينسحب ويتراجع مقابل أن يسلم الخليفة للخزانة كل ما يقرره هولاكو خان، فظن هولاكو من هذا القول أن الخليفة يريد من وراء عودة القوات المغولية كسب الوقت ليعبئ الجند ويهينهم لمقاومته، فقال : ((وكيف نترك زيارة الخليفة، بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق، سوف نعود بأذنه بعد الحضور للقائه، والتحدث معه)) [2].

لقد كانت رسالة هولاكو هذه تحمل طابع السخرية بكل معنى الكلمة، وتنم عن استهزانه بمكانة الخليفة، واحتقار لقوته، فضلاً عما فيها من تهديد ووعيد، وان ما دفعه إلى إرسال مثل هكذا رسالة عدم تعرضه لأي مقاومة في طريقه الذي قطعة من همذان إلى الدينور ثم أسد أباد وهذه الأراضي كلها كانت من الأعمال التابعة للخلافة العباسية، ولم تقف الجيوش العباسية أو جيوش الأمراء المسلمين في الولايات المستقلة أو شبه المستقلة التابعة ولو اسمياً لها، لذلك لم يمنعه غروره ووحشيته من الزحف نحو بغداد أو

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص276؛ سلمان التكريتي، بغداد مدينة السلام وغزو المغول (د.م، بغداد : 1988م)، ص218.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص282؛ التكريتي، بغداد، ص218.

التهديد باحتلالها والقضاء على الخليفة [1].

لم تقصر تلك المراسلات وتبادل الرسل على هولاكو والخليفة، وإنما تعدته إلى مراسلات بين قائد طلائع جيش الخليفة ببغداد (قبجان) المعروف بقرا سنقر، وقائد جند المغول (جوق)،وكان كلاهما من أصول تركية، إذ إن (جوق) طلب من قرة سنقر أن ينحاز إلى جانب القوات المغولية، ويترك جيش الخليفة إنقاذا لحياته، فأجابه قرة سنقر متحدياً المغول والتتر وهولاكو، ومفتخراً بالدولة العباسية وخليفتها المستعصم بالله الذي يجب تقديم الطاعة والولاء والتضرع له لكي يقبل الصلح مع هولاكو[2].

ما إن علم هولاكو بالمفاوضات القائمة بين قائد الجيشين المتقابلين والرسائل المتبادلة بينهما حتى ضحك وقال: ((إن اعتمادي على الله الأعلى لا على الدرهم والدينار، فإذا كان الله الأزلي مساعداً لي ومعيناً فماذا أخشاه من الخليفة وجيشه ؟...)) [3].

هكذا انتهت جولة المراسلات المتبادلة بين هولاكو وقادته من ناحية والخليفة المستعصم بالله وقادته من ناحية ثانية، والتي لم يهدف هولاكو من ورائها سوى إلى كسب الوقت لإعادة ترتيب قواته والاطلاع على رد فعل الخلافة، وإشغالها في الوقت نفسه من خلال استخدام الوسائل الإعلامية والنفسية، إذ إن خطة احتلال بغداد كانت مرسومة مسبقاً، وإن رحلة هولاكو مقرر لها أن تنتهي بمصر[4].

رابعاً : خط سير الحملة المغولية إلى بغداد

بعد انتهاء هولاكو من الاستعدادات اللازمة، وفشل جولة المراسلات التفاوضية

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص282؛ التكريتي، بغداد، ص218.

2- للمزيد من التفاصيل عن تلك المراسلات ينظر: رشيد الدين الهمذاني، المصدر نفسه :مج2/ج1/ ص283 - 284 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص119.

3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص284؛ التكريتي، بغداد، ص219.

4- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص 331 ؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص126؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية، ص197؛

Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 58.

مع الخليفة العباسي، أصدر هولاكو أوامره بانطلاق الحملة المغولية لاحتلال بغداد وللقضاء على الخلافة العباسية في مستهل شهر محرم سنة 655هـ/1257م، ورافقه خلال سيره عدد من أمراء جيشه من بينهم (كوكا الكا) و(ارجو ناكا) و(اركاتو)، كما سار معه عدد من العلماء مثل عطا ملك الجويني، ونصير الدين الطوسي[1]، فضلاً عن أمراء المسلمين ممن انضووا تحت رايته، وخضعوا لطاعته، ضاربين مصالح الأمة عرض الحائط كالأمير أبي بكر سعد بن زنكي أتابك شيراز، والأمير بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل -، الذي أرسل إليه بالسلاح والآلات الحربية، فضلاً عن إرسال فرقة بقيادة ولده الملك الصالح لمساعدة الجيش المغولي[2].

على الرغم مما قام به هؤلاء الأمراء من دور مُخْزٍ بانضمامهم إلى القوات المغولية الغازية، وعدم وجود دور كبير يذكر لقواتهم، إلا أن اشتراكهما إلى جانب المغول في احتلال عاصمة الخلافة كان يعني الكثير، وهو شيء مؤلم ويحز في نفس كل مسلم.

لقد كان للنداء الذي أطلقه هولاكو للملوك والأمراء النصارى التابعين له، دور واضح في تحفيزهم للمشاركة معه في حروبه، وبموجب ذلك أدى كل من الكرج والأرمن دوراً كبيراً في احتلال مدينة بغداد والقضاء على الخلافة العباسية في سنة 656هـ/ 1258م[3]، بمشاركة فرقة من الخيالة الأرمن فألحقت الضرر

1- جمال الدين، علاء الدين عطا ملك، ص11 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص164 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص118.

2 - ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق لسنة 1956: ع50/ص135؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص35 ؛ العبر في خبر من غبر :ج5/ص225 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص88؛السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج2/ص270 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص200 ؛ ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة :ج7/ص49.

3- اليونيني، ذيل مرآة الزمان:ج1/ص78 ؛ الذهبي، العبر : 5 / 225 ؛ بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمد محمد أمين، ط2 (الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1987م) :ج2 /ص 167.

بالمدينة[1] وكان ذلك باعتراف المؤرخين من أبناء جنسهم ودينهم، فإلى ذلك يشير ابن العبري قائلاً : ((يساعدهم خصوصا الكرج في تلك الملحمة الهائلة))[2] ، إذ أرسل الملك داود الخامس (643 - 667هـ/1245–1269م) كتيبة عسكرية كانت في مقدمة القوات المغولية التي دكت أسوار بغداد، وارتكبت أبشع المجازر بحق السكان العزل من المسلمين [3] إلى جانب أبناء عمومتهم من الأرمن [4] الذين اشتركوا بفرقة من الخيالة [5].

ما إن وصلت القوات المغولية إلى آسد آباد ودينور حتى بدأت المراسلات الفاشلة التي أشرنا إليها آنفاً، وكان فشلها سبباً في استمرار تقدم هولاكو بقواته نحو بغداد مخترقاً المناطق الجبلية، فوصل إلى منطقة كرمانشاهان في نهاية شهر محرم من السنة ذاتها[6].

كان جزء كبير من قوات الخلافة العباسية يعسكر في المنطقة الواقعة بين بعقوبة

1- كارلتون كون، القافلة قصة الشرق الأوسط، ترجمة : برهان دجاني (مطابع الكريم، بيروت : 1959م)، ص 201 ؛ جوزيف نسيم، الوحدة وحركات اليقضة العربية أبان العدوان الصليبي (مطبعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1967)، ص 41 ؛

Avedisk Sanjian, The Armenian Communities in Syria under Ottoman Dominion, (Cambridge: 1965) , p. 14.

2- ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 308 ؛ خليل، سيف الدين قطز، ص 83.

3- *J. A Boyle ,The Mongol World Empire 1206–1370 (London : 1977) , P. 149.*

4-ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة : فؤاد جميل (مطبعة شفيق، بغداد : د/ت) :ج1/ ص222؛

J. J. Sounders , The History of The Mongol Conquests(Routledge And Kegan Paul , London : 1977), P. 108 ; C. Toumanoff , Armenia and Georgia , in Cam. Med. His. (University Press , Cambridge : 1953) : vol. 4 / p. 626.

5-كون، القافلة قصة الشرق الأوسط، ص 201 ؛ نسيم، الوحدة وحركات اليقضة العربية، ص 41 ؛ *Sanjian, The Armenian, p. 14.*

6- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص164.

وباجسرا [1]، القريبة من معسكر هولاكو في كرمانشاهان، وكان الصدام بين الطرفين وشيكاً لولا تجنب القوات المغولية للقتال خشية التعرض لهزيمة على أيدي جنود الخلافة، فسعوا إلى شق صفوفهم من خلال استمالة الأمراء من ذوي الأصول التركية، إلا أن هولاكو فشل في مسعاه، فقرر إتباع سبيل آخر، وهو تشتيت قوة جيش الخلافة العباسية، فأرسل إلى أمراء القسم الأول من جيشه الذي يقوده الأميران جرماغون وبايجو نويان اللذان مثلا الجناح الأيمن له، وأمرهم بمهاجمة بغداد من جهتها الغربية، كي يتسنى له التخلص من القوات العباسية في بعقوبة وباجسرا، حيث ستضطر إلى الانسحاب عن موقعها وعبور نهر دجلة للدفاع عن المدينة من الجهة الغربية، فيصبح الطريق خالياً أمامه من أي مقاومة عسكرية، هذا ما حدث بالفعل إذ نجح هولاكو في ما خطط له، فانطلق بجنده دون عائق، حتى وصل حلوان[2] في الأيام الأخيرة من النصف الأول من شهر ذي الحجة من السنة ذاتها، وأقام معسكره في خانقين في نهاية شهر ذي الحجة [3]، بعد أن أخذت قوات هولاكو قسطاً من الراحة في خانقين، وبعد أن استعدت الاستعدادات النهائية تقدّمت نحو بغداد، فوصلت إلى الجهة الشرقية منها في الحادي عشر من محرم سنة 656/ 1258م، وبدأت المواجهة الكبرى بين الطرفين عند أسوار بغداد بعد أن استغرقت القوات المغولية ما يقرب سنة كاملة منذ انطلاقها وحتى وصولها إلى بغداد، وتم كل شيء حسبما خطط له من قبل هولاكو، حيث طوقت بغداد من جميع جهاتها بالقوات المغولية لتواجه مصيرها المحتوم [4].

1- باجسرا : إحدى قرى سواد بغداد الكبيرة بل وأشهرها، تقع بالقرب من بعقوبة شرقي بغداد على بعد عشرة فراسخ (30ميلاً) عنها. ينظر : إبراهيم، ريف بغداد، ص76 - 77.

2- حلوان : اشار ياقوت الحموي الى ان حلوان مدينة عامرة بأرض العراق بالقرب من الجبل [حمرين] وواسط وبغداد، كما أنها اصغر مساحة من سر من رأى، وأكثر ثمارها التين والرمان، ويقال : إن فيها رماناً ليس في الدنيا مثله وتيناً في غاية الجودة، ويسمونه لجودته (شاه إنجير) أي ملك التين وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ج2/ ص290-291.

3- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص166 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص120.

4- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص167.

خامساً: احتلال بغداد واستباحتها

بعد أن وصلت القوات المغولية بأقسامها الثلاثة إلى بغداد في الحادي عشر من محرم تم فرض حصار شديد عليها، لا سيما أن المغول كانوا مَهَرَةً بارعين بنظام حصار المدن، كما كانوا حذرين جدا بتجنيد العمال المهرة، والعسكر المحترفين من المدن التي غزوها، ومن خلال جيش من المهندسين الصينيين المهرة، ومن باقي الممالك التي احتلوها كانوا خبراء ببناء المجانيق والكمائن الآلية التي يُعتمد عليها بحصار المواقع المحصنة . وكانت تلك الآلات العسكرية تصنع في الأماكن التي توفر المواد الأولية كالغابات والأشجار . كما كانت القوات المغولية تعمل بالتنسيق مع بعضها البعض في أثناء المعركة بالرماية من خلال الخيل والآلات العسكرية لكسر التحصينات، فضلاً عن عمل المقذوفات النارية والدخانية لخلخلة الوضع المنظم للسكان داخل المدينة، وكسر ثباتهم، وعزلهم عن بعضهم البعض، وتدميرهم قبل وصول التعزيزات إليهم[1].

لقد سعت القوات المغولية بما عرف عنها من مهارة إلى تضييق الخناق على مدينة بغداد، لتتم مهمة احتلالها بسهولة، وبأقل عدد ممكن من الخسائر البشرية والمادية، وبأسرع وقت ممكن[2]، ولتحقيق ذلك بنجاح حسبما خطط له، تم تقسيم عملية احتلال المدينة إلى مرحلتين، تم خلال المرحلة الأولى احتلال الضفة الغربية منها، ومن ثم استكمل بعد ذلك احتلال الضفة الشرقية، لذا ارتأينا الحديث عن احتلال كل ضفة على حدة من اجل تقديم المأساة، وعملية المقاومة بشكل أكثر تفصيلاً :

1 - معركة بغداد والاستيلاء على ضفتها الغربية

لقد كان أول هجوم شنته القوات المغولية على الضفة الغربية من بغداد، عندما وصل هولاكو إلى كرمانشاهان، وهو في طريقه الى العراق، فوجد قوات الخلافة

1- سيد، الغزو المغولي صفحة دموية، ص5.

2- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص119.

معسكرة بانتظاره في المنطقة الواقعة بين بعقوبة وباجسرا، ومن اجل التخلص منها وعدم الدخول معها في مواجهة مباشرة، ولكي يتمكن من الوصول إلى بغداد بسهولة أمر قادته على القسم الأول من قواته بمهاجمة المدينة من ضفتها الغربية لإجبار قوات الخلافة على الانسحاب لنجدتها [1]، فعندما وصل كتاب هولاكو إليهم هرعوا بسرعة بالسير إلى بغداد من الضفة الغربية، وعبروا بقواتهم نهر دجلة بالقرب من تكريت على جسر من القوارب تمت إقامته في وقت قياسي، بعد ان نجحت المقاومة الباسلة في تكريت بتدمير الجسر الذي أقامه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على مقربة منها، فتقدمت القوات التي يقودها بايجو نويان مخترقة منطقة الدجيل حتى وصلت نهر عيسى[2] القريب منها [3].

أمر القائد بايجو نويان مقدمة جيشه بالتقدم لمهاجمة الضفة الغربية، وعندما وصلت القوات المغولية البالغ تعدادها ثلاثين ألف مقاتل إلى منطقة الأنبار، وجدت أن قوات الخلافة العباسية التي يقدر عددها بعشرين ألف مقاتل[4] قد عبرت نهر دجلة، وأقامت معسكرها بالقرب من بلد لانتظار وصول القوات المغولية، فدارت بين الطرفين معركة كبيرة على بعد تسعة فراسخ (27ميل) عن بغداد، وأسفرت عن هزيمة مقدمة القوات المغولية التي اضطرت إلى التقهقر والانضمام إلى القوات الرئيسة التي يقودها بايجو نويان في منطقة نهر عيسى، فتبعتها قوات الخلافة التي لم تكتف بهذا الانتصار، فاصطدمت بالقوات المغولية بقيادة بايجو نويان في منطقة الدجيل في معركة استمر القتال خلالها من مساء اليوم التاسع من محرم وحتى صباح اليوم الثاني،ورجحت كفة

1- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص270 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص166.

2- نهر عيسى : احد الأنهار التي تتفرع عن نهر الدجيل الذي يأخذ مياهه من نهر الفرات، وهو إلى الغرب من بغداد، ويمر خلال جزئها الغربي ليصب في نهر دجلة جنوب بغداد على بعد 12 كم منها ينظر : إبراهيم، ريف بغداد، ص46 .

3- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص270 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص167.

4- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص472 ؛ تاريخ الزمان 307، ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص 335 ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص233.

الميزان في البداية لصالح قوات الخلافة، إلا أنها لم تلبث أن منيت بخسائر كبيرة، لا سيما بعد أن نجحت القوات المغولية بكسر سد ماء كان يقع خلفها، مما تسبب في إغراق ما وراءها من الأراضي [1]، ولم يطلع صباح اليوم العاشر من محرم إلا وقوات الخلافة قد كبدت بخسائر بشرية كبيرة[2] بلغت اثني عشر ألف شهيد، عدا من غرق منهم ولم تظهر جثته، وكان على رأس شهداء جيش الخلافة الأمير قرة سنقر مع ولده والأمير فلاح الدين، ولم ينج من هذه الواقعة إلا من كان يجيد السباحة، فألقى بنفسه في الماء، فضلاً عمّن هرب من المعركة واتجه إلى بلاد الشام، والى مناطق جنوب العراق، كما كان مجاهد الدين أيبك الدويدار بضمن الناجين على رأس ثلة قليلة من جنوده الذين وصلوا إلى بغداد بأعجوبة [3].

إن النصر الذي حققته القوات المغولية بقيادة بايجو نويان على قوات الخلافة كان ذا نتائج سلبية على جانب الخلافة، إذ تمكنت القوات المغولية بعد ذلك من دخول الضفة الغربية لمدينة بغداد في15 الخامس عشر من محرم سنة 656هـ/1258م، وفرضت السيطرة الكاملة على جميع أجزائها[4]، لتنتقل المواجهة إلى الضفة الشرقية من بغداد التي فرض عليها حصاراً شديداً من اجل السيطرة عليها.

إن الفارق العددي بين الطرفين لم يكن سبباً رئيساً في تحقيق الانتصار المغولي، كما أشارت المصادر والمراجع، ولكن على ما يبدو أن ذلك يرجع إلى أسباب أخرى منها اهتمام الخلافة بالضفة الشرقية من بغداد كان أكثر من الاهتمام بالضفة الغربية، وذلك لكونها مقر الإدارة الرئيس للخلافة ومؤسساتها، وفيها قصور الخلفاء ووزرائهم

1- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص 35 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ج7/ص49 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص168 ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص 89 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ص519.

2 ()*Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P. 51.*

3- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص473 ؛ تاريخ الزمان 307، ابن طباطبا، الفخري في الأداب السلطانية، ص 336 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 119.

4- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص169.

وأمرائهم من ناحية، إلى جانب نزوح أعداد كبيرة من سكان الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية لمناعتها وحصانتها من ناحية أخرى، لاعتقادهم أن أسوارها ستعصمهم من سيوف القوات المغولية، فادى ذلك إلى إضعاف القوة القتالية والقدرة على المقاومة، واثر سلباً على الضفة الشرقية في الوقت ذاته.

2 ـ حصار ضفة بغداد الشرقية واحتلالها

بعد سيطرة القوات المغولية على الضفة الغربية من بغداد، لم يبق أمامها سوى الضفة الشرقية من المدينة التي تمثل أهم أجزائها لوقوع مقر الخلافة العباسية ومركز إدارة الدولة فيها كما تمت الإشارة آنفاً، وان فرض السيطرة عليها يعني القضاء على الخلافة العباسية، وإتمام احتلال العراق، لان انهيار أي دولة يتم بانهيار عاصمتها.

فرضت القوات المغولية بأقسامها الثلاثة حصاراً على الضفة الشرقية من بغداد، وكان هولاكو على رأسها جميعاً ويعسكر أمام أسوارها الشرقية مقابل برج العجم [1]، وأقام الأمراء الذين كانوا برفقته أمام باب كلواذي [2] أي على الجهة اليسرى لهولاكو، وانضم إليهم الأمير كتبغا نويان قائد الجناح الأيسر لقوات هولاكو المتمثل بالقسم الثالث من القوات المغولية العامة، كما عسكر عدد من الأمراء على رأس قوة كبيرة أمام جزء كبير من السور الشرقي الذي يقع بضمنه باب السلطان [3] أي إلى الجهة اليمنى لقوات هولاكو. أما القوات المغولية التي دخلت الضفة الغربية لبغداد بقيادة الأمير بايجو نويان،

1- برج العجم : يعد هذا البرج من اقل الأبراج الموجودة في سور بغداد الشرقية ارتفاعاً، كما انه أول برج حطم على يد القوات المغولية، التي احدثت فيه ثغرة دخلت من خلالها في اليوم الخامس والعشرين من محرم سنة 656هـ/1258م. ينظر : ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص 334.

2- باب كلواذي : احد أبواب مدينة بغداد، ويعرف بالباب الشرقي حالياً. ينظر : فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص119.

3 - باب السلطان : احد أبواب مدينة بغداد يعرف حالياً بباب المعظم حالياً. ينظر : فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص119.

فقد بقيت معسكرة أمام بغداد الشرقية من جهتها الغربية، لمنع وصول اي إمدادات عسكرية ومؤن إليها من المناطق الأخرى عن طريق نهر دجلة [1].

لقد سعت القوات المغولية المحاصرة إلى تعجيل الاستيلاء على الضفة الشرقية بشتى الطرق، فاتخذت عدة إجراءات عسكرية منها إقامة سواتر ترابية عالية موازية لأسوار المدينة الأصلية، فضلاً عن حفر خندق خلف هذه السواتر من اجل فصل المدينة عن المناطق المجاورة لها، كما أنها أقامت أكواماً من الأنقاض المحيطة بالمدينة لتتخذ منها قواعد لقاذفات النفط والحجارة، مما جعل المدينة تحت رحمة قاذفات القوات المغولية، وعندما شحت الحجارة في المناطق المجاورة لبغداد، قامت القوات المغولية بجلبها من جبل حمرين والمناطق الأخرى التي تقع إلى الشمال من بغداد على مسير ثلاثة أيام عنها [2]، ومن الوسائل التدميرية الأخرى التي اعتمدتها القوات المغولية أثناء عملية الحصار قيامها بقطع أشجار النخيل، واستخدام سيقانها في عملية القذف بدلاً من الحجارة بسبب عدم توفرها، فضلاً عن اعتماد القوات المغولية على وسائل إعلامية ونفسية لرفع الروح المعنوية لمقاتليها، من خلال حثهم على القتال والتضحية، كما سعت في مقابل ذلك إلى إضعاف الروح المعنوية لقوات الخلافة، والقضاء على روح المقاومة في نفوس السكان، من خلال قذف النشرات المربوطة بالسهام إلى داخل المدينة [3]، وأكدوا خلالها على منح الأمان والحماية لأرواح العلماء والقضاة وكل من لا يحمل السلاح ضدهم، كما استخدمت أذنابها من العملاء والخونة المتواجدين بين صفوف الجند والعامة داخل المدينة لنشر الرعب بينهم [4].

بعد أن أنهت القوات المغولية استعداداتها للمعركة الحاسمة بشكل كامل، أخذت

1- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص170؛

2- *Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P.51.*

فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 119 ؛ خليل، سيف الدين قطز، ص85؛

Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 58.

3 -*Turnbull ,Genghis Khan & the Mongol Conquests 1190-1400 , P. 58.*

4- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص472 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص119.

بشن الهجمات على أسوار بغداد الشرقية في الثالث والعشرين من محرم أي بعد ثمانية أيام من فرض الحصار عليها،وقامت بقذفها بالحجار من جميع جهاتها [1]، فوصلت أيدي العدو لتطال قصر الخلافة، وفي أثناء الحديث عن هذا الموقف الخطير يورد ابن كثير روايته التي انفرد بها ونقلها عنه اليونيني وبعض المؤرخين المحدثين دون التعليق عليها أو تقديم أي نقد لها بل إنهم يسلمون بها بشكل قاطع، ويقدمون المبررات لمثل هذا السلوك في هذه الرواية، التي مفادها أن القوات المغولية حاصرت قصر الخلافة، وبدأت برشقه بالنبال من كل جانب، وكان الخليفة منشغلاً باللهو والطرب، وان جارية من جواريه اسمها عرفة كانت أثيرة إلى قلبه أصيبت بسهم دخل من احد الشبابيك، وهي ترقص بين يديه وتلاطفه وتضحكه، فماتت مما زاد من فزع الخليفة، وعندما أحضر إليه السهم الذي أصابها، فإذا قد كتب عليه : ((إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره، أذهب من ذوي العقول عقولهم))، وعلى الرغم من ذلك لم يتخذ الخليفة إلا إجراءً واحداً وهو زيادة الاحتراز فقط، وإقامة الستائر على شبابيك دار الخلافة[2].

على ما يبدو أن هؤلاء المؤرخين قد أثقلوا كثيراً على الخليفة المستعصم بالله واخذوا يؤكدون هذا الاتهام، وانقادوا لرواية ابن كثير التي أوردها دون تعليق، كما انه لم يذكر المصدر الذي استقاها منه من ناحية، وانفراده بذكرها من ناحية أخرى، وبناءً على الأسباب التي أوردتها وبعد البحث الدقيق في المصادر التاريخية فإني لا اسلم بصحة تلك الرواية، ومما دفعني إلى عدم التسليم بها، ما أورده السبكي المعاصر لابن كثير والمتوفى قبله (771هـ)، إذ أشار إلى هذه الرواية، ولكن مع اختلاف أشخاص الرواية وظروفها، فهو يؤكد أن الخليفة كان يقرأ القرآن، وان من قتلت هي إحدى بناته وليست

---

1 - *Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire, p. 52.*

2- ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص200، اليونيني، عقد الجمان :ج1/ص40 ؛ راغب السرجاني، قصة التتار، ص128 منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :
www.almeshkat.net ;
سليمان بن حمد العودة ، كيف دخل التتر بلاد المسلمين منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :
www.almeshkat.net.

من جواريه، هذا ما زاد من فزع الخليفة،وأدى إلى موافقته على راي ابن العلقمي في تسليم المدينة لهولاكو [1]، كما أن ما جعلنا نسلم برواية السبكي دون غيرها هو أن السلوك الذي أورده السبكي يتلاءم مع أخلاق الخلفاء المسلمين،والخليفة المستعصم بالله واحد منهم، فكيف يقوم خليفة مسلم بمثل هذا الفعل وفي مثل هذا الظرف العصيب، وهذا إن صح فانه يدل على اختلال عقله، وهو ما لا يمكن تصديقه، فعلى الرغم من إجماع المصادر التاريخية على ضعفه إدارياً، إلا أنها في ذات الوقت أجمعت على تدينه كما اشرنا في المباحث السابقة.

بعد يومين من بدء عمليات القذف التي ظهرت آثارها جلياً على برج العجم الذي تصدع في الخامس والعشرين من محرم نتيجة للتركيز عليه من قبل الفرقة التابعة لقيادة هولاكو بشكل مباشر، فاستولت في التاسع والعشرين من محرم على الثغرة التي أحدثتها فيه، مما شجع بقية القوات المغولية على التشديد في رمي المدينة، والإصرار على دخولها، لا سيما أن القوات المغولية المعسكرة في الجهة المقابلة لباب السلطان بسبب توبيخ هولاكو لقادتها، واتهامهم بالتكاسل والتهاون في أداء مهمتهم، فهاجمت السور المقابل لها واستولت عليه بالكامل، ليصبح بذلك جميع السور الشرقي في قبضة القوات المغولية [2].

بُعَيْدَ استكمال السيطرة على السور الشرقي لبغداد سعت القوات المغولية إلى فرض السيطرة التامة على الجهة الغربية منها، لمنع الخليفة وأمرائه المحاصرين من القيام بأية محاولة للهرب من خلالها من جهة، ومنع وصول أي نوع من أنواع الإمدادات والمؤن إلى سكان الضفة الشرقية من جهة أخرى، كما اتخذ هولاكو جملة إجراءات منها إقامة جسرين على نهر دجلة احدهما في جنوب بغداد والثاني في شمالها، فضلاً عن إنشاء سواتر ترابية على شاطئ النهر لتثبيت القاذفات عليها، ووضع قوات عسكرية على الطريق المؤدي إلى البصرة والمدائن لحمايتها، إن هذا التشديد من لدن القوات

1- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج8/ص273 .
2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص474.

المغولية كان في محله فعلاً، حيث أن مجاهد الدين أيبك الدويدار حاول الهرب عن طريق الدجيل ونهر الفرات بعد أن فشل في إقناع الخليفة بالفرار لإدراكه مدى خطورة الموقف، إلا أن القوات المغولية تمكنت من رده على أعقابه، وبهذا الشكل اكتملت آلية الحصار على بغداد التي لم يبق لها خيار سوى الاستسلام لقدرها، وفتح أبوابها لهولاكو وجنوده[1].

لقد أدرك الخليفة المستعصم بالله أن احتلال بغداد ودخول القوات المغولية إليها أصبح أمراً لابُدَّ منه، إلا انه لم يحاول الهرب قط بسبب اقتناعه بما قاله ابن العلقمي له، إذ أبلغه بأنه تمكن من إقناع هولاكو بعقد الصلح، وسيأتيه هولاكو وجنده طائعين [2]، لذا فقد سعى الخليفة جاهداً في الأيام الأخيرة من حياته إلى أن يفعل شيئاً عسى أن ينفع، فتنجو عاصمته مما ينتظرها من دمار [3].

حاول الخليفة منذ البدء استمالة هولاكو من خلال إرسال وزيره ابن العلقمي وبرفقته احد بطارقة النصارى لإبلاغه بالموافقة على طلبه الذي اقتضى إرسال الوزير ابن العلقمي، مقابل عودة القوات المغولية إلى بلادها، إلا أن هولاكو رفض ذلك ورد الوزير إلى بغداد، وأكد على أن موافقة الخليفة جاءت متأخرة، وان هذا العرض كان قائماً عندما كانت قواته بالقرب من همذان [4]. أما الآن وبعد أن ازداد الموقف حراجة، والكفة رجحت لصالحه، فانه لن يكتفي بالوزير ابن العلقمي فقط بل على الخليفة أن يرسل الأميرين مجاهد الدين أيبك الدويدار وسليمان شاه، وهما كبار رجال دولته وقادة جيشه، فلم يوافق الخليفة على تسليمهما لهولاكو لإدراكه التام بأن القيام بمثل هذا الفعل إذا ما تطلب الأمر، فانه يعني تسليم بغداد والقضاء على روح المقاومة فيها، ومما يؤكد ذلك قيام الخليفة بإرسال ثلاثة وفود على رأسها الوزير ابن العلقمي، وفي كل منها احد

1- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص173؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية :ج3/ص520.

2- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ص233 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص466.

3- الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 263.

4- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص121.

ابنائه والابن أغلى ما يمتلكه الإنسان، إلا أنها جميعاً قوبلت بالرفض، وأصر هولاكو على تنفيذ الخليفة لهذا الطلب [1].

على ما يبدو أن عدم موافقة هولاكو كانت نتيجة إدراكه لضعف موقف الخلافة، الذي استشفه من خلال موقف الوفود التي تراسها الوزير ابن العلقمي الذي اكدت المصادر على انه أظهر نية التعاون مع هولاكو، فاتفق على بذل المساعدة لدخوله بغداد، وإقناع الخليفة على الاستسلام مقابل أن يمنحه الأمان ويجعله نائباً له عليها إذا ما تم ذلك[2]، فاخبر الخليفة عند عودته من معسكر هولاكو، بأنه عقد اتفاقاً معه، تضمن تزويج ابنته من أبي بكر ابن الخليفة،وتكون الطاعة له كما كان حال الخلافة مع السلاجقة من قبل، فينسحب هولاكو بقواته عن بغداد [3]، وقد أورد المقريزي رواية ضمن أحداث سنة 654هـ/1256م، أكد فيها على تعاون ابن العلقمي الواضح مع المغول، حيث قال: ((وفيها وصلت جواسيس هولاكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد، وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد مواعيد)) [4]، وعلى ما يبدو أن ابن العلقمي كان يسعى إلى الحصول على كتاب أمان يضمن بقاءه حياً دون تعرضه لأي أذى لا سيما انه أدرك أن الموت هو مصير كل من يقاوم قواتهم، كما أن سبب إجماع المؤرخين على هذه الرواية وتأكيد المقريزي عليها، قيامه بنقلها الذهبي ونقلها ابن تغري بردي وعدد من المؤرخين عن المقريزي[5] .

1-ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، 474 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص270 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص174.

2- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48 /ص34 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص205.

3- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر ج3/ص233 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص35 ؛ سير أعلام النبلاء : ج23/ص181 ؛ ابن تغري بردي ؛ النجوم الزاهرة :ج7 /ص50 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي : ج 3/ص519.

4- المقريزي، السلوك :ج1/ص490 - 491.

5-الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48 /ص34 ؛ سير أعلام النبلاء : ج 23/ص 180، 362 ؛ الكتبي، فوات الوفيات : ج2/ص256 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 1/ص151 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج7/ص50 ؛ مورد اللطافة : ج1/ص233 ؛ عبد القادر بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش ، ط2(المكتب الإسلامي، بيروت 1985م):ج1/ص228.

اضطر الخليفة المستعصم بالله إلى الاستجابة على طلبات هولاكو، الذي قد يلحق الأذى به وبأبنائه، إذا ما استمر في إتباع سياسة التسويف والمماطلة، فارسل كل من مجاهد الدين أيبك الدويدار وسليمان شاه إلى معسكره معتقداً بأنه سيقوم بقتلهم، إلا أن هولاكو كان أذكى من ذلك بكثير، فاستقبلهم استقبالاً جيداً وتحاور معهم، وتم الاتفاق معهم على جلب أتباعهم إلى معسكره، فسمح لهم بالعودة إلى بغداد بموجب الاتفاق،وعندما عادوا إليه مستصحبين جندهم، أمر بقتلهم جميعاً وعلى رأسهم مجاهد الدين أيبك الدويدار وابنه ركن الدين [1] وسليمان شاه في مستهل شهر صفر [2].

على ما يبدو أن هولاكو كان له هدف بعيد الأمد، وسعى إلى تحقيقه من خلال إعادة مجاهد الدين أيبك الدويدار وسليمان شاه إلى بغداد، بعد أن أمّنهم على أرواحهم ، لكي لا يترددوا في العودة مرة أخرى إلى معسكره مع جندهم، إلا أن هولاكو لم يحترم العهد الذي منحه إياهم، فقتلهم جميعاً بمجرد خروجهم من داخل بغداد، وبذلك يكون هولاكو قد تخلص بقتلهم من خيرة مقاتلة الخليفة وأمرائه وزهرة جيوشه، وقضى على جذوة المقاومة في المدينة.

بعد قتل مجاهد الدين أيبك الدويدار مع ابنه وسليمان شاه أرسل هولاكو رؤوسهم إلى الموصل حيث تابعه بدر الدين لؤلؤ، وأمره بتعليقها في المدينة [3]. وكان هذا التصرف من هولاكو جزءاً من الحرب النفسية التي كان يقوم بها هولاكو، ليبين مدى قوته وقدراته العسكرية لبقية المسلمين في الولايات التابعة له أو التي لم تخضع له بعد، من خلال إعلامهم بما حققه من نصر في بغداد عاصمة الخلافة العباسية التي تمثل اكبر قوة إسلامية، كان يبني عليها المسلمون أمالاً في دفع الخطر المغولي وكسر شوكته.

1- رُكْن الدّين ابن مجاهد الدين أيبك الدُّوَيْدار : كان من كبار الدولة المستعصمية واسمه عبد الله بن الطبرسي كان شاباً مليحاً شجاعاً كريماً استشهد على يد المغول في شهر محرم. ينظر : الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص250.

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج23 /ص 181 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص122؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 262.

3-الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص262 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص174.

لم يكن لهذه الحادثة أثرها السلبي في نفوس السكان من أهالي بغداد والنازحين اليها فحسب، بل انعكس على جميع المسلمين في العراق وغيره من الأقاليم الإسلامية، فضلاً عن تأثيره الواضح في نفسية الخليفة شخصياً، فضعفت عزيمته التي انعكست على تصرفاته، فلم يعد يمانع إي إجراء يقوم به سكان بغداد سواء من الأعيان أو العامة لعله ينفع في دفع الأذى عنهم، لا سيما بعد أن اخذوا بإرسال الوفود إلى هولاكو من اجل الحصول على الأمان، إلا أن كل ما بذلوه من جهد لم يجد نفعاً، حيث قامت القوات المغولية بقتل كل من يخرج إليها من أهالي بغداد الآمنين، فلم يجد الخليفة بداً من تسليم المدينة لهولاكو، لا سيما بعد أن يئس من الاستعانة بوزيره الذي لم يكن سوى عاملٍ مثبطاً لعزيمته، وسبب في عدم استمراره على المقاومة حتى الشهادة [1]، فأرسل إلى هولاكو يعلمه بعزمه على تسليم نفسه وأبنائه الثلاثة أبي العباس احمد البالغ من العمر خمس وعشرين سنة، وأبي الفضل عبد الرحمن (ثلاث وعشرين) سنة، وولده الأصغر أبي المناقب مبارك، فضلاً عن ثلاثة ألاف شخص خرجوا بمعيتهم، كان من بينهم كبار رجال الدولة وأعيانها وعلماؤها وقضاتها وبضمنهم أستاذ دار الخلافة محيي الدين ابن الجوزي وأبناؤه الثلاثة[2]، وتم ذلك في اليوم الرابع من صفر من سنة 656هـ/1258م[3] دون قيد أو شرط بعد أن وعده هولاكو بالأمان [4].

بقي الخليفة المستعصم بالله وأبناؤه ثلاثة أيام في الأسر قبل استسلام بغداد

1- حامد زيان غانم، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك(دار الثقافة، القاهرة:1978م)، ص 14 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص122؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ص521.

2- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص35؛ سير أعلام النبلاء :ج23/ص182؛ الصفدي، الوافي بالوفيات :ج17/ص343؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص202-203؛عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت : 1410هـ) :ج2/ص49 - 50.

3- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص122؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص89 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ص520.

4- الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ص263.

بشكل نهائي ودخول القوات المغولية إليها في اليوم السابع من صفر، حيث أمر هولاكو بوضعهم في خيمة خاصة في معسكر كتبغا المقابل لباب كلواذي وسط جو من الترحيب للوصول إلى غرضه، دون ان يستقبل الخليفة كما كان يتوقع [1].

والحقيقة إن عدم قيام هولاكو بقتل الخليفة مباشرة عند استسلامه، كان بدافع الاستفادة من مكانته الدينية لدى أهالي بغداد، وطاعتهم له من باب شرعي كإطاعة ولي الأمر، لكي يحثهم على الاستسلام، ويأمرهم بعدم مقاومة القوات المغولية عند دخولها المدينة، فاستغل هولاكو ذلك فعلاً ، واستخدم نفس الأسلوب الذي استخدمه مع مجاهد الدين أيبك الدويدار وسليمان شاه عند استسلامهما.

نجح هولاكو الماكر بإقناع الخليفة المستعصم بالله بضرورة خروج سكان بغداد جميعاً رجالاً ونساءً شيوخاً وأطفالاً من مختلف الأديان والأعراق والطوائف والمذاهب لإجراء تعداد عام لسكانها، فانطلت الخدعة على الخليفة الذي أمر بخروجهم ونودي في طرقات المدينة بذلك[2] فضلاً عن تسليم أسلحتهم لانتهاء الحرب، فاستجاب الأهالي للأمر، وما أن امتثلوا لأمر الخليفة وخرجوا إلى معسكر هولاكو حتى أمر هذا الكافر بقتلهم جميعاً [3]، وبذلك أصبح دخول بغداد أمراً يسيراً، وبدون أي عائق، وعلى الرغم من ذلك لم يكتف بما فعل بل هدم أسوار بغداد، وأقام جسراً آخر على نهر دجلة لتسهيل حركة قواته وتأمين الاتصال فيما بينها في كل من ضفتي المدينة، كما أمر بردم الخنادق وأعطى الأمر لقواته الموجودة في الضفة الغربية بعبور الجسر، ودخول الضفة الشرقية من جهة الغرب، وفي ذات الوقت تدخل القوات المعسكرة مقابل الأسوار الشرقية من

1ـ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص475 ؛ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص336 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص170، 177.

2ـ *Zaimeche , Baghdad , P. 18 ; Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , P.52.*

3ـ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر ج3/ص233 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2/ ص 191؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 472؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص123. *Zaimeche , Baghdad , P. 18.*

جهة الشرق، فكان دخولها في اليوم السابع من صفر 656هـ/1258م [1]، ليكتمل بذلك احتلال المدينة بضفتيها في هذا اليوم، واستباحتها من لدن القوات المغولية كاملاً، لتنتقل عاصمة الخلافة العباسية إلى مرحلة جديدة مظلمة لم تتعرض لها منذ تأسيسها على يد المنصور في سنة 145هـ/762م [2].

سادساً : استباحة بغداد واستشهاد الخليفة المستعصم بالله

بعد استسلام الخليفة المستعصم بالله للقوات المغولية وإتمام احتلال بغداد، وإلقاء سكانها للسلاح، الذي تسبب في استشهاد خيرة أمرائها وجندها، فضلاً عن استشهاد صفوة كبيرة من علمائها وفقهائها وقضاتها وأعيانها، لم يكتف هولاكو بكل ما فعله، فأصدر أمراً يقضي «باستباحة بغداد، كما أعطى بموجبه الحرية لجنده بفعل ما يشاؤون من أعمال تخريبية مختلفة كالقتل والسبي والسلب والنهب والسرقة وارتكاب الفواحش، فانتشرت القوات المغولية في شوارع بغداد ومحلاتها كالوحوش لتمارس كل ما تستطيع فعله، والسكان لا حول لهم ولا قوة، فلم يبق أمامهم إلا الفرار أو إغلاق الأبواب عليهم، ومع ذلك لم ينجوا من بطشهم، فكانت الأبواب تحرق أو تقلع [3]، فارتكبت أبشع المجازر التي انتشرت بسببها الجثث وسالت الدماء في مختلف أجزاء المدينة، وقتل الرجال والأطفال حتى الرضع منهم والشيوخ العزل دون استثناء، أما النساء، فكانوا يقتلونهن ويسبون ما يستحسنوه منهن[4] .

لم يكتف مقاتلو هولاكو بأعمال القتل، بل قام آخرون بأعمال تخريب وتدمير لمنشآت الدولة المختلفة كالمؤسسات التعليمية والخدمية والصحية، فضلاً عن المساجد،

1- الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص264 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 177؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص 205.

2- للمزيد عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي،ط3(دار الطليعة، بيروت : 1997م)، ص75.

3- ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص202 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص204- 205 .

4- ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر:ج3/ص233؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة :ج1/ص234.

فقد تم تدمير مكتبة بغداد واحرقت كتبها، والقي الكثير منها في نهر دجلة، مما تسبب في ضياع ما توصل إليه العلماء المسلمون من تقدم علمي، وتطور حضاري في مجال العلوم والآداب والفنون والعلوم الشرعية كتفسير القرآن والحديث والفقه والعقيدة والأخلاق، ومن علوم حياتية كالطب والفلك والهندسة والكيمياء والفيزياء والجغرافية وعلوم الأرض، ومن علوم إنسانية كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب والتاريخ والفلسفة وعلى مدى ستة قرون [1].

لم يشف تدمير مكتبة بغداد غليل القوات المغولية ويطفئ حقدها، فبدأت بتدمير كل ما هو جميل، فالمباني الأنيقة والقصور، أُحرِقت جميعاً وسُرِقَ كل ما فيها من محتويات ثمينة ونفيسة. أما المساجد فقد دمرت قبابها المذهبة، وجردت مما فيها [2]، وأكدت المصادر أن ذلك كان بتحريض من دوقوز خاتون زوجة هولاكو النسطورية، ولكن تم الحفاظ على دور النصارى من سكان بغداد ، ورفعت الصلبان ودق الناقوس في المساجد [3]، كما سمح لهم بذبح الخنازير وأكلها علناً، فضلاً عن شرب الخمور احتفالاً بذلك، ورشت الخمور في المساجد فضلاً عن استفادتهم من إلغاء الجزية المفروضة عليهم من لدن الدولة العربية الإسلامية [4] في الوقت الذي دمرت فيه منازل المسلمين ، وأجبر من بقي حياً منهم على الاشتراك في شرب الخمور دون تمييز بين أهل السنة أو الشيعة [5]، فالجميع عانوا الأمرين من جرائم الاحتلال،وهذا ما أكده ابن الوردي عندما أشار قائلاً في معرض حديثه عن مؤيد الدين بن العلقمي أن النكبة التي تعرض لها سكان

1-المكي، سمط النجوم العوالي : ج 3/ص519 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص124؛ *Zaimeche , Baghdad, p. 12.*

2- ابن تغري بردي، مورد اللطافة :ج1/ص235 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص499 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 177 .

3- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج1/ص328 ؛ الدومنيكي، الآثار المسيحية، ص 59، اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص 200؛

Missick , The Assyrian Church in the Mongolian Empire , P.94.

4 -*Iraq under Mongol and Turkoman rule 1258–1534 , P.36.*

5- خليل، سيف الدين قطز، ص 88.

بغداد لم تكن مقصورة على أهل السنة وحدهم، بل كانت نكبة عامة عانى منها أهل السنة والشيعة على حدّ سواء ((وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة ونكبت الإمام والأمة، وسفكت دماء الشيعة والسنة)) [1]، وأكد الذهبي أن المذابح التي ارتكبتها القوات المغولية في بغداد لم تكن بحق طائفة واحدة أو مذهب واحد فقط، وإنما ارتكبت بحق الجميع سنتهم وشيعتهم ويهودهم باستثناء النصارى [2].

بقيت الحال على ذلك أربعين يوماً بأكملها دون توقف حتى تحولت بغداد إلى مجرد خراب لا فائدة ترجى منه والنيران تنهش فيها، وجثث القتلى في كل مكان تنتشر كالتلال، فأمر هولاكو بالكفّ عن أعمال القتل والسلب وانسحاب قواته إلى خارج المدينة خشية انتشار الأمراض والأوبئة بين الجند [3].

لقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى الذين قضوا نحبهم على أيدي القوات المغولية،فمنهم من أشار إلى أن عددهم قدر بمليون وثمانمائة ألف نسمة [4]، ((فبلغنا أن هولاكو أمر بعد ذلك بِعَدِّ القتلى، فبلغوا ألفَ ألفٍ وثمانمائة ألف وكسر، والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف))،إلا أنهم أكدوا على أن عدد الضحايا الصحيح بلغ ثمانمائة ألف نسمة[5]، بينما أوردت بعض المصادر أن عدد الشهداء بلغ مليون نسمة [6]. أما

1- الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج23/ص362 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2/ص 190.

2- تاريخ الإسلام : ج48/ص37 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج7/ص 50.

3- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي191 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ ص 203 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي : ج 3/ص519.

4- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص270 ؛ ابن تغري بردي ؛ النجوم الزاهرة :ج7/ص50 ؛ بدران، منادمة الاطلال : ج1/ص229.

5- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص36 ؛ ابن تغري بردي ؛ النجوم الزاهرة :ج7/ص50 ؛ بدران، منادمة الأطلال : ج1/ص229 ؛

Zaimeche , Baghdad , P. 18;

Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P.117.

6- الصفدي، الوافي بالوفيات : ج17/ص344 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص472 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي : ج 3/ص519.

المقريزي فقد أشار إلى أن عدد القتلى في بغداد أثناء استباحتها بلغ ألفي ألف نسمة [مليوني شخص] [1]، على الرغم من تعدد الروايات التي اختلفت في ذكر أعداد ضحايا المجازر المغولية وعدم اتفاقها على عدد معين،إلا أن الشيء المؤكد أن ما أجمعت عليه هو استشهاد نسبة كبيرة من سكان بغداد العزل على أيدي القوات المغولية، وفي جميع الأحوال تجاوزت نصفهم ولا يقل عن ثمانمائة ألف [2].

لم تقتصر عمليات السلب والنهب والقتل على البسطاء من جند المغول، بل إن قائدهم هولاكو كان المجرم الأول والأكبر من بينهم، فقام بأعمال إجرامية لم يقم بها أي قائد عبر التاريخ، فقد أقام معسكره في محلة المأمونية عندما دخل المدينة، وفي اليوم التاسع من صفر اقتاد الخليفة ذليلاً إلى قصر الخلافة، وكان برفقته مجموعة من الأمراء المغول، وتم نهب كل ما موجود فيه من نفائس وتحف ثمينة، فضلاً عن قتل من فيه، وقال له باستهزاء نحن ضيوفك، فقدم ما تكرم به ضيوفك، فأحضر الخليفة ألفي كساء وعشرة آلاف قطعة ذهبية، وبعض الأحجار الكريمة والحلي المختلفة الأنواع، أخذها هولاكو وقام بتوزيعها على أتباعه، وطلب منه أن يخبره بالكنوز المدفونة، فأخبره بوجود جرة مليئة بالذهب مدفونة في وسط باحة القصر،فتم الحفر وأخرجت واستولى هولاكو عليها، كما تم الاستيلاء على ستمائة جارية من جواري القصر وترك للخليفة مئة جارية فقط، فضلاً عن ثلاثمائة خصي من غلمان الخلافة، ممن كانوا يعملون في خدمتها [3].

لم يكتف هولاكو بذلك، فأرسل في اليوم الثاني أي العشر من شهر صفر قائده سنجاق، الذي كان برفقة بايجو نويان إلى قصر الخلافة، فجرده من كل ما موجود فيه من ثروة جمعها خلفاء بني العباس منذ توليهم الخلافة سنة 132هـ/749م، وعاد بها إلى

1ـ المقريزي، السلوك : ج1/ص499.

2 ـ *Azeem Beg Chughtai , The Fall of Baghdad , p.535.*

3ـ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص ؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص90؛ *Hairi , Nasir AL-den ~ÜSÏ HIis , P.64.*

هولاكو فوضعها أمام خيمته، لتشكل بذلك تلاً كبيرة [1].

أما مصير الخليفة المستعصم بالله، فقد حسم بقرار من السفاح هولاكو في مساء اليوم الرابع عشر من صفر، بعد أن شاهد بأمِ عينيه ما جرى لبغداد عاصمة الخلافة العباسية، ومقر ملكها منذ خمسة قرون، حيث سيق إلى الموت بأمر من هولاكو، وكان بمعيته ولده الأكبر أبو بكر وولده أبو الفضل عبد الرحمن، وأسر أصغرهم أبو المناقب مبارك، فضلاً عن مقتل خمسة من غلمانه المخلصين الذين بقوا إلى جانبه برغم ما حل به من نوائب ومحن [2]، لقد أشار على هولاكو بعض من أتباعه المسلمين الذين يميلون للخلافة العباسية، ونصحوه بعدم إراقة دم الخليفة قائلين : ((لو سالت دماء الخليفة المسلم على الأرض، فإن المسلمين سيطلبون ثأره بعد ذلك، ولو تقادم الزمان))، عندما قال هؤلاء ما قالوه لهولاكو لم يكن دجلاً، وإنما كان بدافع الخوف على الخليفة كي لا يقوم هولاكو بقتله، فاعتقد البعض أن قتل الخليفة بهذه الطريقة كان نتيجة لقولهم، وان هولاكو استمع لهم، فقتل المستعصم بالله بطريقة لم يقتل بها أحدٌ من سلفه المقتولين [3]، كما أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى نصير الدين الطوسي، هو من كذب هذه الادعاءات، وانه دعاه هولاكو إلى عدم تصديق تلك الخزعبلات التي تحرم سفك دم الخليفة [4]، فكانت نهاية الخليفة المستعصم بالله على يد هولاكو في قرية وقف[5] القريبة من مدينة بغداد بعد أن غادرها لتعفن هوائها بسبب كثرة جثث القتلى [6]، وأشارت بعض المصادر الأجنبية إلى أن عملية قتل الخليفة المستعصم بالله تمت على يد الأمير الكرجي

1- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 179.

2- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 180 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 125؛ *Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire ,P. 52.*

3- السرجاني، قصة التتار، ص 182.

4- ابن كثير، البداية والنهاية : ج13 /ص201

5- وقف : إحدى قرى سواد بغداد وهي جزء من ريفها. ينظر : إبراهيم، ريف بغداد، ص 151 .

6- الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص91 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية :ج3/ ق2/ ص521.

قائد الكتيبة الكرجية التي أرسلها الملك داود وبأمر من هولاكو[1].

على الرغم من إجماع المؤرخين على أن استشهاد الخليفة كان في اليوم الرابع عشر من صفر، وإنه تمت بطريقة وحشية دون مراعاة شعور المسلمين[2]، إلا أنهم اختلفوا في الطريقة التي تم فيها قتله، فمنهم من يقول انه قتل رفساً بالأقدام [3]، ومنهم من أشار إلى انه قتل رفساً بأقدام الخيول بعد أن وضع في كيس [4]، كما أورد بعضهم رواية تقول انه قتل خنقاً، في حين قال آخرون إن جسده مزق إرباً حتى الموت، وأشارت روايات أخرى إلى انه لُفَّ في شِوالٍ وألقي في نهر دجلة[5].

وعلى ما يبدو أن الخليفة المستعصم بالله استشهد، وهو مقتول رفساً بالأقدام سواءً وضع في عدل أم لم يوضع، وذلك لأن أغلب الروايات التاريخية تشير إلى موته بهذه الطريقة، بينما لا يوجد إجماع على الطرق الأخرى.

إن قتل هولاكو الخليفة بهذه الطريقة لم يَأْتِ بناءً على ما قيل له أو اعتقاداً بصحته،وإنما أكدت مصادر أخرى على أن هذه الطريقة كانت جزءاً من العادات المغولية السائدة في مجتمعهم، فهم لا يعتمدونها إلا في أثناء قتل الملوك من اجل عدم سفك دمائهم[6]، ومما يؤكد ذلك مقتل العديد من ملوك البلاد التي دخلوها بهذه الطريقة

---

1 - *Boyle , The Mongol World Empire , P. 149.*

2- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج7 /ص694 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي : ج 3/ص519.

3- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص37 ؛ ؛ سير أعلام النبلاء :ج23/ص183.

4 - *Henry H. Haworth , History of the Mongol From the 9th to 19th century , (Bartfranklin , New York : NO. D.) : Vol. 3/P.128 ; Saunders , A history of Medieval Islam (No. P. , London :1972) , P.182 ; Zaimeche , Baghdad ,P. 18.*

5- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر :ج3/ص233 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص472؛ ابن كثير البداية والنهاية : ج13 /ص201 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ج7/ص51

6- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (دار الكتب العلمية، بيروت : 2004 م) : ج23/ص190.

من جهة، ودفن الخليفة في مكان مجهول من جهة أخرى حسبما أشار إليه السيوطي [1]، وهو ما دأب عليه المغول في طريقة دفن الملوك، وهذا ما رجّحه الأستاذ الصيّاد أثناء مناقشة طريقة قتل الخليفة المستعصم بالله وأضم رأيي إلى رأيه فيما ذهب إليه [2].

لم يكتف هولاكو بقتل الخليفة وولديه أبا بكر احمد وعبد الرحمن بل قام بتتبع أفراد الأسرة العباسية، فقتلهم جميعاً [3]، وذلك من أجل التخلص من أية منافسة سياسية من لدن أي منهم من ناحية، والقضاء على ظهور أي نوع من المقاومة من ناحية أخرى، أذا ما قام منهم احد وأعلن نفسه خليفةً [4]، ثم رحل هولاكو عن المدينة بعد أن اطمأن على عدم قيام أية ردة فعل ضده [5].

بعد احتلال القوات المغولية لبغداد عاصمة الخلافة، واستشهاد الخليفة المستعصم بالله في سنة 656هـ/1258م[6]، أصبح العالم الإسلامي عامة والعراق خاصة بدون خليفة[7] وخالياً من الشخصية القيادية التي تنظم شؤون المسلمين وتسوسهم، مما أوجد فراغاً كبيراً شعر به جميع المسلمين نتيجة لتلك المأساة الأليمة التي حلت بهم، لذلك كان أول عمل قام به هولاكو بعد أن انتهت مدة استباحة بغداد، هو تنظيم الجانب الإداري في المدينة، وتنصيب حاكمٍ عليها بهدف تعزيز سلطته على العراق، فأصدر هولاكو أمراً يقضي بتنصيب الوزير مؤيد الدين بن العلقمي حاكماً لإدارة بغداد والإعمال التابعة

1- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص2466 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج 48/ص 261.
2- الصياد، المغول في التاريخ :ج1/ ص270.
3- الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص 262 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات :ج 29/ص155.
4- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 182.
5- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 127.
6- الخربوطلي، الإسلام والخلافة، ص 277 ؛ بيتر توراو، الظاهر بيبرس، ترجمة : محمد جديد (د.م.، عمان :2002م)،ص 114.
7- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص279 ؛ عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط2 (دار النهضة العربية، القاهرة : 1976م)، ص 354 ؛ توراو، الظاهر بيبرس، ص114.

لها [1]، إلا أنه وضعه تحت إشراف ومراقبة دقيقة من لدن أمراء مغول [2]، حيث قام بتعيين إثنين من كبار أمرائه كحكام عسكريين لمتابعة إدارة ابن العلقمي للبلاد، فضلاً عن متابعة حكام المدن الأخرى، وكان برفقتهم ثلاثة آلاف فارس مغولي لكي يتمكنوا من الحفاظ على الأمن واستتبابه، كما خصص لهؤلاء الأمراء مكاناً لإقامتهم مع جندهم يسمى الدركاه كان يأتي إليه حكام بغداد لتلقي الأوامر المغولية، ثم يعودون إلى أعمالهم[3]، كما عين علي بهادر الخرساني شحنة على بغداد لحفظ الأمن وتنظيم الجيش والشرطة[4]، في حين أبقى فخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان في وظيفته[5].

أما فيما يتعلق بالوظائف الدينية، فبعد أن كان الخليفة يمثل أعلى رجل دين في الدول أصبح قاضي القضاة هو من يشغل هذه المكانة، وعُينَ نصير الدين الطوسي من لدن هولاكو مشرفاً على جميع الأوقاف الإسلامية في دولة المغول الإيلخانيين، في حين عُينَ شهاب الدين بن عبد الله مشرفاً على الأوقاف الإسلامية في بغداد [6].

وعلى الرغم من تعيين الوزير ابن العلقمي حاكما على بغداد، إلا أنه لم يكن إلا صورة رمزية للحاكم فقط. أما السلطة الفعلية فكانت بيد المغول الذين استبدوا بجميع جوانب الحياة،كما هي عادتهم وسياسة كل محتل عبر التاريخ، فأصبح ابن العلقمي معرضاً للإهانة والإذلال في كل وقت ومكان [7]، دون مراعاة مكانته السابقة ومنصبه في دولتهم كحاكم لبغداد، ومما تعرض له الوزير ابن العلقمي، قيام المغول بجعله تابعاً

1- السرجاني، قصة التتار، ص 111؛ الصلابي، المغول والتتار، ص 202.

2- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ق2/ص522 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ ص275.

3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج2/ص 295.

4- ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص239.

5- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج2/ص22 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 361.

6- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 500 ؛ الصلابي، المغول والتتار، ص 202.

7- الذهبي، سير أعلام النبلاء :ج23/ص362 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات :ج1/ص151؛ ابن كثير، البداية والنهاية :ج13/ص41.

لنجم الدين احمد بن عمران، الذي كان مجرد خادم في بلاط الخليفة المستعصم بالله، ولم يكن له أي منصب يذكر[1]، كما أشار السيوطي إلى أن المغول عاملوه معاملة غلمانهم ((وصار معهم في صورة بعض الغلمان))[2] وان دل هذا التصرف من لدن المغول على شيء، فإنما يدل على سعيهم لتحطيم الجانب النفسي للحاكم ورعيته في ذات الوقت.

ومن الأمثلة على الإهانات التي تعرض لها ابن العلقمي، أن عجوزاً رأته راكباً على برذون، فقالت له أكان هذا حالك أيام أمير المؤمنين المستعصم بالله، فأثر ذلك فيه كثيراً، وبقي يحز في نفسه حتى وفاته بعد ثلاثة أشهر من احتلال بغداد عن عمر ناهز الثلاث وستين سنة، فَعُيِّن ولده عز الدين أبو الفضل بدلاً عنه في حكم بغداد، إلا انه لم يدم طويلاً، إذ وافته المنية سريعاً فلحق بوالده[3]، وتم تعين الجويني صاحب الديوان نائباً لهولاكو وابن درنوش وزيراً[4] لتنتقل بغداد إلى حكم الأسرة الجوينية، فتدخل في حقبة استبداد مظلمة استمرت طيلة عصر سيطرة المغول الإيلخانيين.

*** *** ***

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 361 ؛ الصياد، المغول في التاريخ:ج1/ ص274

2- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ص473.

3- السرجاني، قصة التتار، ص 111 ؛ الصلابي، المغول والتتار، ص 202.

4- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 127.

الفصل السادس

استكمال عمليات الاحتلال المغولي العراق

من الجدير بالذكر أن التسريع في إسقاط أية دولة من الدول والقضاء على نظامها، لا يتم بشكل كامل إلا باحتلال عاصمتها التي تمثل قلبها النابض، وبالتالي القضاء على روح المقاومة فيها، مما يسهل استكمال احتلال ما يتبقى من أجزاء تلك الدولة دون عناء، وكذلك كان الحال في قصة الاحتلال المغولي للعراق في سنة 656هـ/1258م، فقد تم احتلال قسم من أراضيه في أثناء سير القوات المغولية إلى بغداد، وجاء ذلك متزامناً مع احتلالها، أما احتلال القسم الآخر فقد تم بعد احتلالها، فكانت إربل من المدن التي احتلت بالتزامن مع احتلال بغداد، وبما أننا سنتناول عملية استكمال احتلال الأراضي العراقية حسب التسلسل الزمني، فإن التطرق إلى الاحتلال المغولي لإربل سيكون في مقدمة الفصل :

أولاً : الاحتلال المغولي لمدينة إربل سنة 656هـ/1258م

أصبحت المنطقة الشمالية من العراق عامة، وإمارة إربل خاصة مهددة بالاحتلال المغولي، بعد الغارات المتعددة التي شنها المغول عليها منذ سنة 618هـ/1229م، وكان لهذه الغارات أثرها السلبي على مدينة إربل، فقد أضعفت قوتها العسكرية، وقدرتها على الدفاع عن نفسها أمام الأخطار الخارجية، فأدرك صاحبها ابن الصلايا أن المصلحة تستوجب تنظيم دفاع مشترك، وإقامة علاقات طيبة مع القوى المجاورة للتصدي للمغيرين[1].

وعلى الرغم من ذلك ظلت إربل تعاني من التهديد المغولي، لا سيما بعد انتقالها

1- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص158.

للتبعية العباسية في بغداد، مما نبهّ الخلافة إلى الخطر المحدق بها، والذي قد يطرق أبوابها بين الحين والآخر، لا سيما أن ولاة إربل كابن الصلايا كانوا دائماً على اتصال مباشر بالخلافة، وينقلون أخبار الغزو المغولي إليها، فضلاً عن تحذيراتهم المستمرة من خطره[1]، واستعداد الجيوش المغولية بقيادة هولاكو للزحف نحو العراق واحتلاله كاملاً، مستغلاً ضعف قوة الخلافة العباسية وعدم قدرتها على التصدي لهم من ناحية، والفرقة السائدة بين الحكام المسلمين بسبب صراعاتهم من ناحية أخرى، والتي حالت دون إقامة جبهة إسلامية تستطيع الوقوف في وجههم لذلك لم يكن احتلال العراق، لا سيما عاصمته بغداد سنة 656هـ/1258م حدثاً مفاجئاً، بل إنما كان نتيجةً حتمية لضعف العالم الإسلامي والذي أتاح الفرصة للمغول لشن غاراتهم وغزو البلاد الإسلامية[2].

توقفت غارات المغول على إربل ولم يعاودوا الكرة حتى سنة 656هـ/1258م لانشغالهم بالأوضاع الداخلية السيئة التي عمت البلاد بسبب التنافس بين أبناء البيت الإمبراطوري لتولي منصب الخان [3]، وعندما اسند قوبيلاي خان (693-655هـ/-1257 1294) أمر احتلال العراق والقضاء على الخلافة العباسية إلى أخيه هولاكو في سنة 655هـ/1257م شرع بالإعداد للحملة الكبرى، واكتملت التجهيزات والإعدادات اللازمة لاحتلال بغداد، توجهت القوات المغولية في سنة 656هـ/1258م بقيادة هولاكو نحو مدينة بغداد لاحتلالها لأنها تمثل مركز السلطة العليا للعالم الإسلامي، وبيدها القوة الدينية والروحية للمسلمين[4].

لقد كان دخول القوات المغولية إلى الأراضي العراقية عبر حدودها الشمالية، وعلى ما يبدو أن هولاكو كان يدرك ضرورة احتلال الأجزاء الأخرى من العراق، لا سيما الواقعة على خط سير الحملة أو القريبة منها متزامناً مع الحملة على بغداد، من

1- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص35، 40 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج7 /ص16.

2- حسن، تاريخ الإسلام : ج4/ص130؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص121.

3- للمزيد من التفاصيل عن الأوضاع الداخلية لإمبراطورية المغول في هذه السنوات. ينظر : إقبال، تاريخ المغول، ص172 - 181.

4- بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 147 - 150.

اجل قطع أي اتصال قد يحدث بينها، فضلاً عن الحيلولة دون وصول الإمدادات إليها، لضمان نجاح حملته وتحقيق الأهداف المرسومة لها، وتطبيقاً لخطته أرسل هولاكو قسماً من قواته بقيادة احد أمرائه المدعو أرقيو نويان لاحتلال مدينة إربل [1] وتوجه هو إلى بغداد عن طريق حلوان [2]، لا سيما بعد أن وصله وهو في ((طريقه كتاب ابن الموصلايا صاحب إربل وفيه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم إلى هلاكو [هولاكو] يستحثه لقصد بغداد ويهون عليه أمرها)) [3].

على ما يبدو أن هولاكو وجد في ذلك فرصة سانحة لمنع أية محاولة لإنجاد بغداد من ناحية، فضلاً عن توفير جميع الأسباب لنجاح حملته من ناحية أخرى، كما يتضح من خلال هذا النص الدور الذي أداه صاحب إربل تاج الدين بن الصلايا، بالاتفاق مع الوزير مؤيد الدين بن العلقمي على تسهيل مهمة احتلال هولاكو لبغداد، من خلال كشف مواقع الضعف التي تنتاب الخلافة، وكان هدفهم من وراء هذا الفعل الحصول على أمان لحياتهم، والحفاظ على مناصبهم، بعد أن أيقنوا مدى العجز والوهن الذي تعاني منه الخلافة العباسية مقارنة بالقوة التي يتمتع بها هولاكو، وان احتلاله لبغداد أصبح أمراً لا مفر منه.

عندما وصلت القوات المغولية إلى إربل نجحت في الاستيلاء على مناطق الأطراف التابعة لها، وفرضت حصاراً شديداً على قلعتها الحصينة [4]، وفي أثناء هذا الحصار وصمود السكان يظهر الدور الضعيف والمتهاون لحاكمها تاج الدين بن الصلايا، الذي آثر الاستسلام على مقاومة القوات المغولية الغازية، وتقديم كل فروض الطاعة والولاء لهولاكو طمعاً في البقاء كحاكم للمدينة، ومن أجل تحقيق مآربه سعى جاهداً إلى إقناع الأهالي المحاصرين في القلعة على تسليمها للقوات المغولية مقابل

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج 2/ج1/ص298.
2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 436.
3- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج3/ص662.
4- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج 2/ج1/ص299.

حصولهم على أمان، إلا انه لم يفلح في إقناعهم فهرب إلى القوات المغولية [1].

رفض أهالي إربل المحاصرون الاستسلام للمغول، وقاوموهم أروع مقاومة وقاتلوهم قتال مَنْ أيس من الحياة، فضربوا أروع صور البطولة والشجاعة من خلال الغارات التي كانوا يشنونها على القوات المغولية ليلاً موقعين بها خسائر بشرية ومادية فادحة [2]، وعندما يئس أرقيو نويان قائد القوات المغولية من الاستيلاء على القلعة، وأدرك استحالة دخولها أرسل كتاباً إلى بدر الدين لؤلؤ - حاكم الموصل - الذي قدّم كل فروض الطاعة للمغول، ودخل في تبعيتهم منذ سنة 634هـ/1236م، وطلب منه أرقيو نويان تقديم المساعدة العسكرية [3]، وعلى الرغم من قيام لؤلؤ بإرسال قوة عسكرية للاشتراك في احتلال إربل من جهة، والتشديد المغولي في حصار القلعة من جهة أخرى، إلا أن القوات المغولية فشلت في تحقيق الانتصار واحتلال القلعة بفضل صمود سكانها وإيمانهم وشجاعتهم الباسلة [4].

شعر قائد القوات المغولية بعدم جدوى التشديد في الحصار فقط لاحتلال المدينة وإخضاعها لسيطرتهم، فلجأ إلى بدر الدين لؤلؤ لاستثمار خبراته والاستفادة منها للخروج من هذا المأزق الذي كلفّهم الكثير[5]، فما كان من الأخير إلا أن نصحه بان يؤجل أمر الاستيلاء على القلعة حتى حلول فصل الصيف، للاستفادة من ترك الأكراد للقلعة ولجوئهم إلى الجبال في هذا الفصل هرباً من الحر، قائلاً له : ((أما الآن فالجو معتدل، وعندهم ذخائر وافرة والقلعة غاية في الإحكام، لا يتيسر فتحها إلا بالحيلة والتدبير)) [6].

1- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 472 ؛ تاريخ الزمان، ص308؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج 2/ج1/ص298.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج 2/ج1/ص298.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص128 ؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص298.

4- قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص72.

5- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص231.

6- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص299 ؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين :ج1/ص214.

إن لجوء القائد المغولي لبدر الدين لؤلؤ للتدبير عليه في كيفية احتلال القلعة، ناتج عن أمرين أولهما : الشعور بالإحباط والعجز وعدم القدرة على احتلال المدينة وإخضاعها لسيطرتهم بطريقة الحصار، وثانيهما : إدراكه لمعرفة بدر الدين لؤلؤ وخبرته في كيفية احتلال القلعة لكونه من سكان المنطقة، وعلى معرفة بإربل من حيث الظروف البيئية والمناخية فضلاً عن طبوغرافية المنطقة.

وفي نهاية المطاف قرر القائد أرقيو نويان الانسحاب من مدينة إربل وترك حصارها واللحاق بقوات هولاكو المتوجهة لاحتلال بغداد، وترك مهمة احتلالها لتابعهم المتواطئ بدر الدين لؤلؤ - حاكم الموصل -، فاستمر في حصارها لمدة سنة للضغط على السكان، وإجبارهم على الاستسلام، كما هدم أسوار المدينة بالتدريج شيئاً فشيئاً، مما سهل عليه تحقيق النجاح في مهمة احتلال القلعة ودخولها في نهاية المطاف، بعد ان دك أسوارها في سنة 657هـ/1259[1]، وضعفت بالتالي قابلية سكانها على الصمود والمقامة،ويعزو ابن الفوطي أسباب ضعف المقاومة واحتلال بدر الدين لؤلؤ للقلعة إلى مغادرة بعض المقاتلين مدينة إربل والتجائهم إلى الجبال، لا سيما بعد أن علموا بمغادرة القائد المغولي ارقيو نويان ورفع يده عن مدينتهم من ناحية، واحتمالية نفاذ ذخيرتهم أو نفاذ الماء بسبب طول فترة الحصار وشدته من ناحية أخرى، كما حدث في حصار سنة 634هـ/1237م[2]، حيث ساء الوضع الاقتصادي للمدينة وتدهورت أسواقها [3].

بعد أن نجح أمير الموصل ؛ بدر الدين لؤلؤ في حصاره واحتلال مدينة إربل، واقتحام قلعتها [4]، قام بإرسال حاكمها تاج الدين ابن الصلايا إلى معسكر هولاكو في السنة ذاتها ووشى عليه، وحرضه على قتله، متهماً إياه بطمعه بالخلافة، ويدفعه في ذلك انتسابه لآل البيت، وطاعة الناس له إذ ما أعلن ذلك[5]، فأمر هولاكو بقتل ابن

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص298 - 299.
2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص128.
3- حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص232.
4- المقريزي، السلوك :ج1/ص 135 ؛ حسين، أربيل في العهد الأتابكي، ص 330.
5- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص40، 296.

الصلايا [1]، وكافأ بدر الدين بان ضم إربل إلى ممتلكاته، لما قدّمه من خدمة جليلة لهم، مقابل مبلغ من المال يضمنه لهم سنوياً [2]، في حين أشارت مصادر أخرى إلى أن سبب قتله هو عدم قدرته على إقناع سكان إربل على الاستسلام للمغول، فحوكم محاكمة واعدم على هذا الجرم[3]، وهذه هي الرواية الأرجح، وذلك لعدم تمكن ابن الصلايا من الدخول في تبعية المغول وإقناع الأهالي على الاستسلام، مما اضطره بالتالي إلى الخضوع لإرادة السكان، والبقاء معهم، فعومل معاملة المقاوم، إذ كان الموت العقوبة المقررة لمن يقاوم القوات المغولية ولا يعلن الخضوع والتبعية لها.

في الحقيقة إن تحريض بدر الدين لؤلؤ لهولاكو ضد ابن الصلايا، وتبريره الأنف الذكر لم يكن صحيحاً، بل كان الدافع الرئيس الذي يقف وراء ذلك، هو اطلاع ابن الصلايا على بعض المراسلات بين بدر الدين وبين الخليفة، والتي تدور حول الاستعدادات المغولية لغزو العراق والقضاء على الخلافة في بغداد، فخشي من أخبار هولاكو بها، فشعر بضرورة التخلص منه[4].

إن موقف بدر الدين لؤلؤ من الغزو المغولي موقف معروف، وفي اعتقادي إن مراسلته للخلافة لم تكن بدافع الخوف عليها أو الحرص على مصلحة المسلمين، وإنما من اجل تحقيق مصالحه الشخصية وضمان بقائه في حكم الموصل، في كلتا الحالتين سواء انتصار القوات المغولية من عدمه، فإذا ما انتصر المغول بقي، وإذا ما صمدت الخلافة ولم تتعرض لسوء بقي أيضاً.

بعد نجاح بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في استكمال عملية احتلال إربل وضمها لمناطق نفوذ هولاكو، قام الأخير بمنح حكمها لتابعه المطيع بدر الدين لؤلؤ مقابل مبلغ من المال يدفعه كضمان للمغول ويقدر بسبعين ألف دينار، وعلى الرغم من

1- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى :ج8/ص274 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج3/ص 663.
2- ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، 134 .
3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص298.
4- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص90-87.

ذلك استولى على حكمها شرف الدين الكلالي بعد أن طرد عمال بدر الدين لؤلؤ منها بأمر من هولاكو، مما أثار حفيظة بدر الدين لؤلؤ الذي دبر مؤامرة لاغتياله فتم له ما أراد [1].

ونتيجة لعلو شأن النصارى في دولة المغول الإيلخانيين، فقد تم تعيين المختص سليمان النصراني خلفاً لجلالي، وبعد وفاته في سنة 660هـ/1262م أعقبه ولده تاج الدين عيسى[2]،إلا انه لم يلبث أن خلع في سنة 666هـ/1268م عن الحكم ونصب صالح بن هذيل بدلاً عنه ليستمر مسلسل التعيين والخلع في حكم إربل طلية العهد الإيلخاني وفق ما تقتضيه مصلحة المغول [3].

ثانياً: استكمال احتلال الأعمال التابعة لبغداد

لقد ضم العراق بالإضافة إلى المراكز المعروف كبغداد والموصل وإربل وسنجار، العديد من البلدات الصغيرة والقصبات والقرى، التي تشكل جزءاً من الأعمال التابعة لبغداد والقريبة منها، وبعد قضاء القوات المغولية على الخلافة العباسية بشكل نهائي، وقتل الخليفة المستعصم بالله؛ أصبحت مهمة احتلال هذه المناطق من الأمور السهلة، لا سيما بعد أن تم القضاء على روح المقامة فيها باحتلال مدينة بغداد مركز العراق وعاصمة الخلافة، إذ إن احتلال عاصمة أي دولة يعني القضاء عليها بشكل كامل، وهذا ما أشرنا إليه بشكل مفصل في صفحات سابقة.

بعد احتلال هولاكو لمدينتي إربل وبغداد، بدأت أجزاء العراق الأخرى بالخضوع له الواحدة تلو الأخرى، لا سيما انه أرسل الرسل إلى سكانها يهددهم ويتوعدهم بالدمار إذا ما اختاروا طريق المقاومة، وعدم تسليم مدنهم للقوات المغولية، فكان نصير الدين

1- محيي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق : عبد العزيز الخويطر (الرياض : 1976)، ص88.

2- للمزيد من التفاصيل ينظر : قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص 132 - 134

3- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص380

الطوسي مبعوثه إلى مدينة الحلة ((أنفذ هولاكو الخواجه نصير الدين الطوسي إلى الحلة))، التي أعرب سكانها عن موافقتهم على الاستسلام خشية أن يحل بهم ما حل بالمناطق والمدن التي دخلتها القوات المغولية، فبادر بعض أعيانها وعلمائها إلى إرسال الهدايا إلى هولاكو من اجل كسب وده وعطفه، كما فعل محمد بن الحسن المعروف بابن طاووس الحلي، الذي أهدى كتابه (البشارة) لهولاكو ،فحقق من وراء ذلك أمرين أولهما : نجاة مدينة الحلة من التخريب المغولي، وثانيهما : استرجاعه منصب نقابة الأشراف العلويين في البلاد الفراتية، فبقي فيه حتى وفاته [1].

جهز هولاكو جيشاً كبيراً لاستكمال إخضاع الأجزاء الجنوبية من العراق، وجعل على رأس القيادة صـــهره بوقا تيمور، فسار الأخير إلى مدينة الحلة لإخضاعها للسيطرة المغولية[2]،ويرجع تحركه هذا وابتداؤه بهذه المدينة حسبما أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن سكانها، هم من قام بمراسلة هولاكو أثناء حصاره لمدينة بغداد، وطلبوا الأمان مقدمين له الطاعة والخضوع ((وأرسل بوقا تيمور إلى الحلة ليمتحن أهلها هل هم على الطاعة أم لا))[3]، كما طلبوا منه إرسال قوات مغولية ليتم تسليم المدينة لها، فضلاً عن مطالبتهم بإرسال أمير لإدارة المدينة، وان يكون معيناً من لدن هولاكو مباشرة، وعندما وصل بوقا تيمور إلى نهر الفرات خرج سكان المدينة لاستقباله بمنتهى السرور والفرح، فأقاموا جسراً على النهر،لتسهيل مهمة عبور القوات المغولية، وما أن عبر بوقا تيمور نهر الفرات حتى قابله السكان وسط جو كبير من الترحيب والحفاوة، فدخل بقواته المدينة [4]، ومن ثمة توجه إلى مدينة الكوفة

1ـ آغا بزرك الطهراني، الأنوار الساطعة في المائة السابعة « طبقات أعلام الشيعة»، حقيق: علي نقي فنروي (دار الكتاب العربي، بيروت : 1972م)، ص155، 157 ؛ العودة، كيف دخل التتر بلاد الإسلام، ص62 - 63 .

2- بدر، محنة الإسلام، ص 185.

3- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 475 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص39 ؛ الطهراني، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص 156.

4- بدر، محنة الإسلام، ص 185.

التي فتحت أبوابها للقوات المغولية حالها في ذلك حال مدينة الحلة، فعين هولاكو شحنة لكل منهما[1].

لم تكتف القوات المغولية التي يقودها بوقا تيمور بما حققته، فقرر قائدها استغلال الفرصة، لاستكمال السيطرة على الأجزاء الجنوبية الأخرى من الأراضي العراقية، فسار إلى مدينة واسط التي امتنعت عن الاستسلام للقوات المغولية [2]، وأبدى سكانها استعداداً كبيراً لمقاومة المحتلين والتصدي لهم بالغالي والنفيس، فكانت النتيجة أن فرض عليها الحصار في اليوم السابع عشر من صفر 656هـ/1258م، وضرب خلاله السكان أروع صور البطولة والمقاومة الباسلة، فلم يستسلموا على الرغم من شدة الحصار الجائر الذي تسبب في قلة المياه والمؤن والمواد الغذائية داخل المدينة، مما زاد من حنق القوات المغولية التي عانت الأمرين من اجل دخولها، إلا أنها دخلتها في نهاية المطاف بالسيف مرتكبةً أبشع المجازر، فضلاً عن ممارستها مختلف أعمال السلب والنهب والتخريب [3] التي استمرت سبعة أيام متتالية، وقد أشارت بعض المصادر التاريخية القديمة إلى أن عدد شهداء مدينة واسط الذين قضوا نحبهم على أيدي القوات المغولية كان كبيراً جداً ((وقتل بها خلقاً كثيراً أسبوعاً)) [4]، في حين قدر الأستاذ بدر عدد الشهداء بأربعين ألف نسمة [5].

بعد مراجعة المصادر والمراجع التاريخية والبحث الدقيق فيها لم نتمكن من العثور على أي رواية تؤيد ما ذهب إليه أو المصادر التي نقل عنها روايته.

بعد أن تم للقوات المغولية احتلال الحلة والكوفة وواسط عين هولاكو على كل منها شحنة ووالياً، فتولى الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر بن ليث النيسابوري ولاية واسط

1- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص39.
2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 475.
3- بدر، محنة الإسلام، ص 186.
4- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 457.
5- بدر، محنة الإسلام، ص 186.

وشحنكيتها [1]، ثم أخذت هذه القوات بالتوغل جنوباً حتى تمكنت من السيطرة على مدينة البصرة [2]، وما تبقى من أراضي الجنوب العراقي الواقعة بينها وبين بغداد، واسندت وظيفة الشحنة فيها إلى الملك عز الدين النيسابوري شحنة واسط فجمع بينهما[3]، فعادت القوات المغولية بعد ذلك إلى بغداد في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 656هـ/1258م، حيث المقر الرئيس للقوات المغولية [4].

ثالثاً : الاحتلال المغولي لمدينة الموصل660هـ /1262م

بقيت إمارة الموصل تعيش في مرحلة التبعية للمغول بعد وفاة حاكمها بدر الدين لؤلؤ في سنة 657هـ/1259م [5]، وتولي ولده الكبير الملك الصالح ركن الدين إسماعيل [6]، الذي انتهج سياسة أبيه في التعاون مع المغول وتقديم فروض الطاعة لهم، واستمرت هذا الخضوع حتى سنة 660هـ/1258م، حيث أعلن الثورة على المغول بعد انتصار المماليك على القوات المغولية في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م [7]، إذ إن هذا الانتصار الكبير قلب موازين القوة في المنطقة، لا سيما بعد أن شرع المماليك بملاحقة القوات المغولية وتصميمهم على تحرير بلاد الشام والجزيرة من ربق السيطرة المغولية [8].

1- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج50/ص98 ؛ الطهراني، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص 90.

2- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص39.

3- الطهراني، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص 90.

4- بدر، محنة الإسلام، ص 186.

5- اليافعي، مرآة الجنان :ج 4/ص148 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص510.

6- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 486 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص230.

7- للمزيد عن المعركة من حيث أسبابها ونتائجها.ينظر : ابن الفوطي ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 374 ؛ الشاعر، مصر قاهرة المغول، ص55-54 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 145 - 147.

8- ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص220 - 221.

في الحقيقة إن الانتصار الذي حققه المماليك على المغول في معركة عين جالوت، التي تعد من المعارك الفاصلة في التاريخ، لما أسفرت من نتائج مهمة وكبيرة غيرت وجه التاريخ وشجعت أمراء القوى الإسلامية الأخرى على إعلان الثورة ضد المغول، حيث وجدوا في المماليك المخلص لهم من هذا الوضع المزري، وكان بضمنهم الملك الصالح ركن الدين إسماعيل وأشقاؤه في سنجار وجزيرة ابن عمر.

لقد كان الملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار أول من أعلن الثورة ضد التبعية المغولية، وغادر متجهاً إلى مصر في سنة 658هـ/1262م من اجل الحصول على دعم المماليك، وفي أثناء وجوده في القاهرة كان يشجع أخاه الملك الصالح صاحب الموصل على الثورة ضد المغول، واخذ يرسل إليه الكتب الواحد تلو الآخر، ويخبره فيها بمدى قوة المماليك ودعمهم له ضد المغول، ويشجعه في ذات الوقت على التوجه إلى مصر، للاستفادة من دعم المماليك وعزمهم على تحرير العراق من الاحتلال المغولي،[1]، لقد شجعت هذه الوعود الملك الصالح ركن الدين على المغادرة إلى مصر، إلا انه تريث قليلاً، ولكن وقوع إحدى الرسائل التي أرسلها إليه شقيقه بيد احد أمرائه عجل في مغادرته الموصل خشية وصولها إلى هولاكو، كما انه حث أخاه الأخر صاحب جزيرة ابن عمر على المغادرة معه إلى مصر، وما أن وصلوها حتى لقوا أجمل ترحيب من الملك الظاهر بيبرس الذي كتب لهم تقليداً بحكم بلادهم [2].

عاشت مدينة الموصل بعد مغادرة الملك الصالح ركن الدين في نوع من الاضطراب الداخلي بسبب غياب الشخصية القادرة على حكمها وإدارة أمورها الداخلية، فتمكنت زوجته تركان خاتون ابنة خوارزم شاه[3] من فرض السيطرة على الأوضاع

1- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 492 -493.

2- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 114 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان :مج1/ص542 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر : ج8/ص81 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن وردي : ج2/ص202 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص536.

3- أشار الذهبي إلى أنها ابنة هولاكو. ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج 23/ص357 ؛ والحقيقة إنها ابنة خوارزم شاه زوجها له هولاكو بعد مقتل أبيها ووقوعها أسيرة بيده .

وإدارة المدينة بمساعدة شحنة الموصل الأمير ياسان، وأغلقت أبوابها بوجه الأمير علم الدين سنجر وعدد من أمراء الموصل ممن آثروا العودة إلى مدينتهم، بعد اختلافهم مع الملك الصالح ركن الدين أثناء طريقهم، فقاموا بمحاصرة المدينة عدة أيام، ودخلوها في نهاية المطاف بمساعدة عدد من أنصارهم الذين فتحوا لهم أبوابها من الداخل، فهربت تركان خاتون وشحنة المدينة إلى قلعتها،وأرسلا في طلب العون والنجدة من القوات المغولية المتواجدة في بلاد الجزيرة، فبادر القائد المغولي نوين بالتحرك لنجدتهم، وما أن علم سنجر بأمر هذا التحرك، حتى قرر التصدي للقوات المغولية خارج المدينة، فوقعت المواجهة الحاسمة بينهما بالقرب من مدينة نصيبين، وكانت النتيجة سلبية على قوات الموصل التي كُبدت بخسائر فادحة، بسبب قلة عددها وعدتها مقارنة بالقوات المغولية من جهة، واستشهاد قائدها الأمير علم الدين سنجر أثناء نشوب القتال من جهة أخرى [1].

توجه الأمير نوين على رأس القوات المغولية اثر هذا الانتصار نحو الموصل، وفي طريقه عطف نحو جزيرة ابن عمر التي نجح في احتلالها، كما أرسل هولاكو قوات أخرى لتسانده في مهمته، وجعل الأمير سنداغو نويان قائداً عاماً للحملة [2] التي تجاوز عدد مقاتليها الخمس وعشرين ألف مقاتل حسبما أشارت المصادر التاريخية، إذ إن مقاتلي سنداغو نويان بلغ عشرة آلاف [3]، في حين بلغ عدد مقاتلي صدر الدين التبريزي عشرة آلاف أيضاً[4]، ومقاتلي نوين ثلاثة مائة، فضلاً عن مقاتلي الملك المظفر قرة أرسلان الأرتقي صاحب ماردين الذي أعلن الطاعة للمغول وقاتل إلى جانبهم[5].

1- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص494- 495 ؛ ابن الفوطي ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 375.

2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 495 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص410.

3- ابن كثير، البداية والنهاية : ج 13/ص234.

4- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص327.

5- ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات :ج9/ص116.

لقد تزامن مسير الملك الصالح ركن الدين من مصر إلى الموصل إثر استدعاء مكانها له مع مسير الحملة المغولية المتوجهة نحوها، وكان بمعيته ما يقرب من سبعمائة فارس،فابطأت تلك القوات في مسيرها، لكي يسنى لها الوصول إلى الموصل بعد وصول الملك الصالح، فتحاصره داخل المدينة[1]، وبالفعل وصل الملك الصالح إلى المدينة، فدخلها في العشرين من ذي الحجة سنة 660هـ/1262م بعد أن قضى أكثر من خمسة أشهر بعيداً عنها[2]، وعلى الرغم من تأكيد رشيد الدين الهمذاني على عودة الملك الصالح إلى الموصل، إلا انه أشار إلى أن عودته لم تكن من اجل الدفاع المدينة، وإنما عاد من اجل جمع أمواله وكنوزه والهروب بها إلى مصر [3].

في الحقيقة لا يمكن التسليم بهذه الرواية، ويمكن الرد عليها من خلال إمعان النظر وإعمال العقل فيها، وبذلك يمكن القول أنه لو أراد الهرب بأمواله لنقلها منذ بداية هروبه إلى مصر، لا سيما انه لم يباغت من قبل القوات المغولية، بل كان في يده متسع من الوقت لنقل كل ما يحتاجه وما يمتلكه من أموال ونفائس لو أراد ذلك .

وصلت القوات المغولية وعلى رأسها الأمير سنداغو نويان إلى الموصل في اثر الملك الصالح، وفرضوا عليها حصاراً شديداً أقاموا خلاله سوراً حول المدينة، ونصبوا عليها المنجنيقات[4]، وعلى الرغم من شدة الحصار وضخامة القوات المغولية، وما امتلكته من الآلات المعدة خصيصاً لحصار المدن، فقد قاتل سكان الموصل قتال من يئس من الحياة ملتفين حول الملك الصالح، وشنوا بعض الغارات على القوات المغولية، فضلاً عن قيامهم برميها بالمنجنيقات من داخل أسوار المدينة، ونتيجة للخسائر التي تكبدتها أدرك سنداغو نويان ضرورة الإسراع بدخول المدينة والسيطرة على تلك

---

1. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 495؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص492 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام :ج48/ص410.
2. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص116.
3. رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص327.
4. ابن أيبك، كنز الدرر : ج8/ص81؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص545.

المنجنيقات، فاعد خطة جريئة للتسلل إلى داخلها، وقام بتنفيذها مجموعة كبيرة من مقاتليه، إلا أن الفشل الذريع كان من نصيب هذه المحاولة، بسبب الموقف الصمودي للسكان ومقاتلي المدينة، إذ قاموا بقتلهم جميعاً، والقوا برؤوسهم إلى القوات المغولية من أعلى الأسوار [1].

على ما يبدو أن الهدف من وراء قيام السكان بإلقاء رؤوس القتلى إلى صفوف القوات المغولية، إن دل على شيء فإنما يدل على سعي السكان إلى إدخال الرعب في قلوب مقاتليها واليأس إلى نفوسهم لعله ينفع في إجبارهم على الانسحاب وترك المدينة.

بعد هذه المحاولة الفاشلة قرر سنداغو نويان قائد القوات المغولية أن يكتب إلى هولاكو في تبريز لإعلامه بسير العمليات في الموصل، ويبين له مدى صمود سكانها ومقاتليها الذين يقودهم الملك الصالح ركن الدين على الرغم من شدة الحصار[2]، كما طلب في الوقت ذاته إمداده بقوة إضافية لتسهيل مهمة احتلال الموصل والتسريع بها ، فأرسل إليه هولاكو بفرقة مغولية لم تشر المصادر إلى عددها، ليصبح الفارق العددي بين الطرفين كبيراً جداً، حيث لم يزد مقاتلي الملك الصالح على ألف مقاتل، فضلاً عمن انضم إليه من سكان المدينة [3]، مما اضطره إلى مراسلة الملك الظاهر بيبرس وطلب العون منه، فأمده الأخير بقوة عسكرية كبيرة انطلقت من مصر يقودها الأمير سنقر الرومي، فضلاً عن إصداره أمراً إلى صاحب دمشق يقضي بالخروج شخصياً على رأس مقاتلي دمشق والتوجه إلى مدينة الموصل لنجدة الملك الصالح ركن الدين[4]، وعلى الرغم من تأكيد المصادر على إرسال هذه القوة من لدن الملك الظاهر في مستهل شهر جمادي الأولى، إلا انه لم يرد فيها ما يشير إلى اشتراكها في أي فعالية عسكرية

1ـ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص228.

2ـ رشيد الدين الهمذاني، المصدر نفسه : مج2/ج1/ص328 ؛ الذهبي، العبر في خبر من عبر :ج5/ ص258.

3ـ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص492 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88.

4ـ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 117 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88.

ضد القوات المغولية المحاصرة للموصل، بل إنها لم تشر إلى وصولها إلى الموصل اصلاً [1].

لم يكتف الملك الصالح بطلب النجدة من الملك الظاهر بيبرس، فارسل في طلبها من الأمير اقوش البرلي صاحب حلب[2] الذي ساءت علاقته بالمماليك في مصر اثر تمرده عليهم من اجل الاستقلال بحكم المدينة [3]، فلبى الأمير اقوش طلب الملك الصالح، وخرج على رأس قواته متوجهاً نحو الموصل [4]، وقدر عدد القوة التي برفقته بألف وأربعمائة مقاتل حسبما أشار الصفدي[5]، فاستولى على سنجار وعزل واليها ثم نصب نفسه أميراً عليها في أثناء سيره لنجدة الموصل، كما أرسل إلى الملك الصالح ركن الدين رسالة يحثه فيها وسكان الموصل على الصمود، ويخبرهم انه في طريقه لنجدتهم على رأس عدد كبير من قواته، إلا أن سوء حظ المدينة أوقع هذه الرسالة بيد القوات المغولية، إذ إنه ربطها في جناح طائر، فشاءت الأقدار أن حط الطائر على أحد المنجنيقات المغولية، فامسك به احد جنودهم، فأخذها مباشرةً إلى سنداغو نويان [6]، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لها مردود ايجابي على سكان الموصل المحاصرين، إذ دب الخوف والرعب بين صفوف القوات المغولية التي همت على الانسحاب عنها لولا وصول رسول هولاكو إليها، فقوى من عزيمتها وطمأنها، من خلال إخبار قائدها بقلة عدد القوات الحلبية التي يقودها أقوش البرلي، كما حثهم وشجعهم على الخروج للتصدي

1- قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص 103.

2- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص117 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116.

3- الذهبي ؛ تاريخ الإسلام :ج48/ص76 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون :ج 5/ص439.

4- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص114 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص492-493 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88.

5- الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116.

6- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص 328 -329 ؛ ابن الفوطي ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 378.

لها،ليكونوا في موقع قوة لا موقع ضعف، فيعزز من صمود سكان الموصل [1].

أرسل سنداغو نويان فرقةً من قواته بلغ تعدادها عشرة آلاف فارس، للقاء القوات الحلبية فوقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين في 14جمادي الأخرى من السنة ذاتها بالقرب من مدينة سنجار، وأسفرت عن هزيمة القوات الحلبية التي كبدت بخسائر بشرية فادحة، كما أصيب قائدها أقوش البرلي بجروح خطيرة اضطرته على الهرب إلى بلاد الشام[2]، ومنها توجه إلى مصر ليكون في خدمة السلطان المملوكي [3].

أما القوات المغولية فقد اتبعت أسلوب الخدعة والمكر، فلبس جنودها زي القوات الحلبية التي عادت خاسرة إلى بلادها، وانطلقوا نحو الموصل، وعندما شاهدهم السكان ظنوا أن النجدة القادمة لمساعدتهم قد وصلت، فخرج قسم منهم لاستقبالها، وما أن اقتربوا منهم حتى أحاطوا بهم وقتلوهم جميعاً، وعلى الرغم من هذه المكيدة التي ألحقت بالموصليين خسائر فادحة، لم تتمكن القوات المغولية من السيطرة على قلعة المدينة، واستمرت صامدة لأكثر من ستة أشهر بعد هذه الخدعة[4].

في الحقيقة لم تكن استجابة الأمير أقوش لطلب صاحب الموصل خشيةً على المدينة وسكانها، بقدر ما كانت من اجل تحقيق مكاسب سياسية لمصلحته الشخصية، فيبدو انه هدف من خلالها إلى تحقيق أمرين أولها : التقرب من الملك الظاهر بيبرس وكسب رضاه، وثانيهما: الحصول على مكاسب سياسية على حساب إمارة الموصل من خلال ضم بعض المناطق التابعة لها إلى دائرة نفوذه، وهذا ما حدث عندما استولى على سنجار فعزل واليها ونصب نفسه أميراً عليها أثناء سيره لنجدة الموصل.

1- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص492؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88.

2- أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص218 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 496؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص545.

3-ابن الفوطي ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 378 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ ص234.

4- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص 83 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص321.

انقلبت النتيجة من ايجابية لصالح سكان الموصل المحاصرين إلى سلبية اثر الانتصار المغولي على القوات الحلبية من ناحية، وعدم وصول النجدة المملوكية من لدن الملك الظاهر من ناحية أخرى، لا سيما أن الأقوات بدأت تقل في داخل المدينة مع قلة الأسلحة منذ بدء الحصار، يقابلها تعزيز قدرة القوات المغولية والتشديد في الحصار[1]، وبعد مضي ستة أشهر توالت خلالها الهجمات المغولية باستمرار، لكن دون جدوى، اذ ضرب خلالها السكان أروع الأمثلة في الصمود ومقاومة الغزاة ، فادركت القوات المغولية خلالها بان لا سبيل لإجبار السكان على الاستسلام وتسليم المدينة إلا التشديد في فرض الحصار، مما أدى إلى نفاذ الطعام داخل المدينة فاضطر السكان إلى اكل لحم الميتة، فانتشرت الأوبئة وارتفعت الأسعار، كما كان حدوث القحط الذي تزامن مع هذه سبباً مكملاً لكل تلك المصائب [2].

بدأت القوات المغولية تستغل الظروف التي بدأت تعاني منها المدينة وسكانها بسبب الحصار المفروض عليها، فلجأ قائدها سنداغو نويان إلى اتباع أسلوب الخداع، فارسل في مستهل شهر شعبان [3] كتاباً إلى الملك الصالح ركن الدين ونسبه إلى هولاكو، يأمره فيه بإرسال ولده علاء الدين البالغ من العمر ثلاث سنوات، كرهينة لحين إتمام عقد الاتفاق الذي سيبرم بين الطرفين، فاضطر الملك الصالح على الموافقة، وأرسل ولده إلى المعسكر المغولي بسبب عدم قدرته على الصمود ومواصلة القتال وتوفير الغذاء [4]، فبقي محتجزاً لدى القوات المغولية اثني عشر يوماً ظن الملك الصالح أن سنداغو نويان أرسله إلى هولاكو[5].

1- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص495؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ ص329؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص492-493.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص 329 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 377 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص 83 .

3- ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص89 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116.

4- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص329 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88..

5- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص492 - 493.

لم يلبث أن عاد سنداغو إلى إتباع ذات الأسلوب الماكر، فأرسل كتاباً آخر إلى الملك الصالح يأمره بتسليم المدينة، مستخدماً أسلوب التهديد والوعيد، ويحذره من عدم الامتثال ففي هذه الحال لا يلومن إلا نفسه، وعليه تقع مسؤولية الحفاظ على حياته وحياة عائلته ورعاياه جميعاً، ونتيجة لذلك قرر جمع السكان والجند للخروج بحل ينقذهم مما هم فيه، إلا انه وقع تحت ضغط الجند والأمراء الذين تقاعسوا عن القتال، فأشاروا عليه بتسليم نفسه، فاستسلم مجبراً، على الرغم من انه كان يدرك أن الموت مصيره المحتوم، وحذرهم من الوثوق بوعود المغول، وأنهم سيقتلون جميعاً دون استثناء [1]، وأمام هذا الموقف الصعب قام الملك الصالح بمراسلة قائد القوات المغولية طالباً الأمان لنفسه، ومعرباً له عن ندمه على ما قام به، وانه سيسلم نفسه على أن يقوم سنداغو نويان بالعفو عما فعله سابقاً، وإرساله إلى هولاكو ويتشفع له عنده لكي لا يقتل، فمنحه قائد القوات المغولية كتاب أمان [2].

استسلم الملك الصالح في يوم الجمعة الخامس عشر من شعبان 660هـ/1262م، بعد حصار قاس على المدينة دام اثنى عشر شهراً [3]، فخرج إليهم وهو في حالة يرثى لها، فوضع تحت حراسة مشددة، ولم يسمح له بمقابلة سنداغو نويان، ونودي بمنح سكان المدينة الأمان على أرواحهم وأموالهم، فظهر كل من اختفى من سكان المدينة وتم تسليمها، فقامت القوات المغولية بهدم أسوارها، ودخلتها في اليوم السادس والعشرين من شعبان[4].

1- ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص88 -89 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص330.

3-ابن الفوطي ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 375 ؛ في حين اشارت بعض المراجع الحديثة التي اعتمدت على ابن تغري بردي الى ان الحصار استمر عشرة أشهر. ينظر : النجوم الزاهرة : ج7/ص211 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص 321 ؛ العودة، كيف دخل التتر بلاد الإسلام، ص45.

4- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ :مج2/ج1/ص330 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ ص494؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص89 .

اتفقت المصادر التاريخية على اليوم والشهر الذي دخلت فيه القوات المغولية إلى مدينة الموصل، أما فيما يتعلق بالسنة التي تم فيها ذلك، فقد أشار ابن أيبك منفرداً إلى انه تم في شعبان سنة 661هـ/1263م [1] في حين أشار رشيد الدين الهمذاني وتؤيده مصادر أخرى إلى انه تم في شعبان سنة 660هـ/1262م [2].

بعد مراجعة المصادر التاريخية التي فصلت في حصار القوات المغولية للموصل واحتلالها، تبين بشكل جلي أن التاريخ الصحيح هو سنة 660هـ/1262م، وليس 661هـ/1263م، وذلك لإجماع المؤرخين عليه، كما أن رشيد الدين الهمذاني (ت718هـ) أقدم زمنياً من ابن أيبك (ت736هـ)، أما بالنسبة للسنة التي أوردها ابن أيبك فمن المؤكد أن الخطأ وقع أثناء عملية نسخ الكتاب فيما بعد، والدليل على ذلك اتفاقه الدقيق مع رشيد الدين الهمذاني وبقية المصادر الأخرى في سرد تفاصيل الحادثة بدقة كذكر الأيام والأشهر، فضلاً عن كونه قريباً زمنياً من الحدث أيضاً.

دخلت القوات المغولية إلى مدينة الموصل، فاستبيحت المدينة لتسعة أيام تم خلالها اسر جميع أصحاب الحرف والمهن،، وارتكبت أبشع المجازر، فضلاً عن أعمال السلب والنهب، وانتهاك الأعراض [3]، وفي ذات الوقت ينفرد فيه ابن العبري بالإشارة إلى أن المدينة استبيحت ثمانية أيام متتالية [4].

بعد البحث والتمحيص بدقة في المصادر التاريخية التي أوردت الحادثة تبين أن الرواية الأولى هي الأرجح، وذلك لإجماع المؤرخين عليها، وانفراد ابن العبري فيها،

1- ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص89.

2- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ :مج2/ج1/ص330 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 375 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص495 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص89 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ج7/ ص211 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب: ج5/ص300.

3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص330 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 377 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116.

4- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 496.

ومهما كان طول المدة سواء ثمانية أيام أم تسعة، فان القوات المغولية مارست خلالها أبشع الجرائم التي لم تشهد مثلها مدينة الموصل سابقاً، ومما يدلل على حجم الخسائر البشرية وفداحتها، ما أشارت إليه المصادر عندما قدرت عدد الناجين بألف شخص ممن التجأوا إلى الجبال [1]، كما أكد الذهبي عظم الكارثة، وأشار إلى انه لا يستطيع وصفها من خلال قوله ((وبعث سنداغو فنازل الموصل أشهرا وجرى ما لا يعبر عنه)) [2].

أجمعت المصادر على أن الملك الصالح ركن الدين تم قتله تم بطريقةٍ لا تقل وحشية عن الطريقة التي قتل فيها الخليفة المستعصم بالله، بسبب حنق هولاكو عليه، فأمر بوضعه في جلد شاة محكم الربط ومملوء بالدهن الحيواني المستخلص من لية الأغنام، ووضع تحت أشعة شمس الصيف الحارة لمدة أسبوع، فتحول الدهن إلى ديدان أخذت تأكل جسمه تدريجياً، واستمر حياً لشهر كامل يعاني من الآلام التي كانت سبباً في وفاته [3]، أما ابن الفوطي فينفرد بالإشارة إلى أن هولاكو أمر بسلخ وجه الملك الصالح ركن الدين وهو حيٌّ ثم قتل بعدها[4]، ومن خلال البحث الدقيق في الروايات التاريخية التي تناولت الموضوع يبدو جلياً أن الرواية الأولى التي أوردها كل من ابن العبري ورشيد الدين الهمذاني وغيرهما هي الأرجح، وذلك لإجماع المؤرخين عليها وانفراد ابن الفوطي في روايته، فضلاً عن أن كلاً من ابن العبري ورشيد الدين الهمذاني هما اقرب زمنياً إلى الحدث من ابن الفوطي. أما علاء الدين بن الملك الصالح فقد قتل وشطر جسمه إلى نصفين، وأرسل إلى الموصل ليعلق فيها على الجسر المقام على نهر دجلة، وبقيت حثته معلقة حتى تعفنت وتناثرت [5].

1- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ :مج2/ج1/ص330؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ ص495 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: ج8/ص89.

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج23/ص 358.

3- ابن العبري تاريخ مختصر الدول، ص 496 ؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ ص330 ؛ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116.

4- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 378.

5- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص84 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات : ج 9/ص116 ؛ اليافعي، مرآة الزمان : ج4/ص152.

بعد انتهاء القوات المغولية من احتلال مدينة الموصل في نهايات سنة 660هـ/1262م، لم يبق أمامها إلا استكمال احتلال ما تبقّى من أعمالها لا سيما الواقعة إلى الشمال منها، والتي خضعت للسيطرة المغولية صلحاً دون مقاومة لفقدانها مركز ادارتها الرئيس، فكانت العمادية والمناطق التابعة لها واحدة من الأعمال التي الحقت بالموصل منذ عهد بدر الدين لؤلؤ، الذي عين عليها الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله البدري، فأعلن الأخير خضوعه للمغول ودخل مستسلماً في طاعتهم في سنة 661هـ/1263، وحصل على تفويض من هولاكو بقي بموجبه حاكماً عليها، وفق شريعة المغول التي تقضي بابقاء من يخضع لهم ويعلن الولاء[1]، فضلا عن إعلان التبعية والولاء للمغول من لدن القرى والقصبات الأخرى التي يشكل النصارى غالبية سكانها في كل من دير مار متى وقرة قوش وغيرها [2]، ممن فضلوا الاحتلال المغولي على حكم أبناء بدر الدين لؤلؤ، وبذلك انتهت العمليات العسكرية المغولية في الموصل وأعمالها لتنتقل إلى سنجار.

بعد نجاح القوات المغولية في احتلال مدينة الموصل وأعمالها وقضائها على حكم أسرة بدر الدين لؤلؤ بقتل الملك الصالح ركن الدين وولده، أصبحت الموصل إحدى المدن التابعة إدارياً لحكم المغول الإيلخانيين في بلاد فارس، بل مركزاً لحكم ولاية الجزيرة [3]، فعينوا عليها حكاماً من سكان الموصل والأعمال التابعة لها، ممن أعلنوا التبعية والخضوع لهم، فضلاً عن الحكام العسكريين من ذوي الأصول المغولية، كما أن المغول لم يعتمدوا في تعيين هؤلاء الحكام على قاعدة الكفاءة والمقدرة على إدارة الحكم، بل كان همهم الأكبر جني اكبر قدر ممكن من الأموال دون الاهتمام بمصلحة المدينة وسكانها، فعينوا عليها من يدفع لهم مبالغ مالية اكبر، لا سيما أن مسألة شراء وبيع المناصب أصبحت أمراً شائعاً في تلك الحقبة تحت غطاء إتباع سياسة التضمين [4].

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص468.
2- قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص 98.
3- قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص126.
4- ابراهيم، ريف بغداد، ص 237 - 239.

لقد تم تعيين الأمير شمس الدين الباعشيقي - نائب بلدة نينوى السابق - بأمر من هولاكو، وهو أول أمير عين عليها بعد الاحتلال المغولي، ويرجع تعينه إلى ما قدمه من خدمات للمغول أثناء عملية حصار الموصل وكان لها دورها الكبير في نجاح القوات المغولية في تحقيق هدفها [1] أولاً، وما قام به من دور خياني ضد الملك الصالح ركن الدين ثانياً، عندما قام بسرقة الرسالة التي أرسلها إليه أخوه الملك المظفر صاحب سنجار من مصر، وكان يحثه فيها على الثورة ضد المغول، فسلم تلك الرسالة لقائد القوات المغولية [2].

على الرغم مما قام به الباعشيقي من دور خياني كبير ضد الموصل وسكانها من اجل تحقيق مصالحه الشخصية من حيث المكاسب المادية من لدن المحتل المغولي من جهة، وما حصل عليه فعلاً من جهة أخرى، إلا انه لم يتوانَ عن خيانتهم أيضاً إذ قام بسرقة الخزينة، وقدم الرشا لجباة المغول لكي لا يتم ايصال ما قام به إلى هولاكو، فكان ذلك سبباً في إصدار الأخير أمراً يقضي بقتله سنة 661هـ/1263م، فكانت هذه خاتمته وجزاءه وهي خير خاتمة وجزاء لكل من خان أهله وبلده، فتم تعيين الزكي الإربلي، كمكافأة له على الدور الكبير الذي أداه في كشف ما قام به الباعشيقي [3]، إلا انه لم يلبث أن قتل بعد سنتين من حكمه حيث كانت خاتمته كخاتمة سابقه، وعين بدلاً عنه رضي الدين بابا القزويني الذي قام بقتل الإربلي بنفسه [4] ليتوالى على حكم الموصل العديد من الولاة التابعين المطيعين لقوات الاحتلال المغولي، وممن كان لهم دور كبير في ازدياد سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الموصل والأعمال التابعة لها.

1- ابن، العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 493.

2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 494 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج 1/ص542 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص536.

3- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 496 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ ص 236؛ الكتبي، عيون التواريخ : 20/ ص 299.

4-ابن، العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 496 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ص385.

رابعاً : الاحتلال المغولي لمدينة سنجار660هـ/1262م

اصبحت مدينة سنجار من نصيب الملك المظفر علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ[1]،الذي سار على نهج أبيه وشقيقه صاحب الموصل في إعلان التبعية للمغول، واستمرت في ذلك حتى ثورته على المغول في سنة 658هـ/1260م [2]، لتنطلق شرارة أول ثورة عراقية ضد المغول من مدينة سنجار، يدفعه إلى ذلك ما حققه المماليك من انتصارات على القوات المغولية في معركة عين جالوت، ليصبحوا اكبر قوة إسلامية تسعى لقيادة العالم الإسلامي من ناحية،ورفضه لممارسات المغول ضد المسلمين من ناحية أخرى.

أعلن الملك المظفر علاء الدين الثورة على المغول رافضاً الاعتراف بسيادتهم على سنجار، فسلم حكمها للعادل نور الدين ابن شقيقه الملك الصالح ركن الدين صاحب الموصل 658هـ/1260م، بينما غادر هو إلى مصر ساعياً إلى الحصول على دعم المماليك، فتم اكرامه بشكل كبير [3]، وفي أثناء وجوده في القاهرة كان يحث أشقاءه في الموصل وجزيرة ابن عمر على الثورة أيضاً،ويرسل إليهم الكتب الواحد تلو الآخر، ويخبرهم بمدى قوة المماليك ودعمهم لهم ضد المغول، ويشجعهم على التوجه إلى مصر للترتيب وإعداد العدة بالتعاون مع المماليك لتحرير العراق من الاحتلال المغولي [4]، فغادر الملك العادل نور الدين مع والده الصالح إلى مصر في سنة 659هـ/1261م تاركاً حكم سنجار لقاضيها فخر الدين [5].

أما الملك المظفر علاء الدين فقد عينه الظاهر بيبرس نائباً عنه في حكم مدينة

1- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص69 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص 195 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5/ص422، 440 .

2- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص370 .

3- الذهبي، سير أعلام النبلاء :ج23/ص170 ؛ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2/ص207 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ج13/ص296.

4- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 492 – 493 ؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص201.

5- قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص 135.

حلب للاستفادة من قربها من سنجار والموصل، فيتمكن من دعم أشقائه في ثورتهما ضد المغول، إلا أن سياسته التي انتهجها أثناء حكم حلب أثارت سخط سكان المدينة الذين ثاروا عليه وخلعوه من الحكم، والقوا القبض عليه وأودعوه السجن، ولم يتم إطلاق سراحه، إلا بعد تدخل مباشر من قبل الملك الظاهر بيبرس فعاد المظفر إلى القاهرة، ليواصل منها متابعة سير الثورة في كل من الموصل وسنجار[1]، وحل الأمير أقوش البرلي محله في نيابة المدينة [2].

وفي أثناء الحصار المغولي للموصل، وقيام الملك الصالح ركن الدين بطلب النجدة من الأمير أقوش نائب حلب، قام الأخير بالاستيلاء على سنجار أثناء توجهه إلى الموصل، فعزل القاضي فخر الدين، ونصب نفسه أميراً عليها [3]، وعلى الرغم من استيلائه على سنجار وتعزيز سيطرته عليها، لم يستمر حكمه لها إلا بضعة أشهر اضطر إلى مغادرتها والتوجه إلى الشام بعد أن مني بهزيمة على يد القوات المغولية في سنة 660هـ/1262م [4]، فأصبحت مدينة سنجار خالية ممن يديرها، ويقود المقاومة فيها، فتم للقوات المغولية احتلالها في السنة ذاتها دون عناء كبير [5].

إن الذي يبدو من خلال دراسة العمليات العسكرية التي قامت بها القوات المغولية في العراق، أن احتلال مدينة سنجار كان أسهل ما يكون، إذا ما قارناه بعملية احتلال كل من بغداد وإربل والموصل وواسط، كما إن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي مقاومة تذكر، فان دل هذا على شيء، فإنما يدل على ضعف إمكانات المدينة الاقتصادية

1- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص114؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص370 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ج2/ص202.

2- المقريزي، السلوك : ج1/ص536.

3- رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج1/ص 328 – 329 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 378.

4- أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص218 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 496 ؛ المقريزي، السلوك : ج1/ص545.

5- ابن أيبك، كنز الدرر : ج8/ص90.

والعسكرية من ناحية وغياب الشخصية القيادية في مثل هكذا ظروف من ناحية أخرى، لا سيما أنها كانت تنتقل من أمير إلى أخر ابتداء بالملك المظفر ومنه إلى ابن شقيقه العادل، ومن ثم وصول قاضيها إلى سدة الحكم، لينتهي به الأمر بالخلع من قبل الأمير اقوش الذي استولى على حكمها، وفر منها بعد هزيمته على يد القوات المغولية.

بعد دخول القوات المغولية إلى سنجار قام قائدها بتعين علم الدين قيصر الموصلي حاكماً عليها، فقدم خلال فترة حكمه خدمات جليلة للمغول، إلا انه عزل عن الحكم ونصب بدلاً عنه قوام الدين محمد اليزدي [1] واستمر توالي الحكام عليها وكان يخلع كل من يخرج عن طاعة المغول وإرادتهم، مما كان له أسوأ الأثر على المدينة وسكانها طيلة حقبة الحكم الإيلخاني لها.

*** *** ***

1. قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص 135.

الفصل السابع

أسباب ونتائج احتلال العراق وانهيار الخلافة العباسية

أولاً : الأسباب التي أدت إلى احتلال العراق وانهيار الخلافة العباسية

لم يكن احتلال القوات المغولية للعراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص والقضاء على الخلافة العباسية نتيجة لسبب واحد، وإنما كان نتيجة مباشرة لأسباب رئيسة كثيرة خلفتها تراكمات السنين الماضية، ولذلك لا يمكن أن نلقي اللوم أو كل اللوم كما فعل بعض المؤرخين على الخليفة المستعصم بالله أو وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي أو على قادة جيشه المتمثلين بالأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار وسليمان شاه وشرف الدين إقبال الشرابي فقط، وعلى الرغم من قيام الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين بتوجيه اللوم عليهم بشكل مباشر، فقد كان مقدار هذا اللوم وشدته يتحدد باتجاه أو مذهب أو عرق هذا المؤرخ أو ذاك، بل إن بعضهم بالغ في ذلك، فحمل الخليفة المستعصم بالله مسؤولية الاحتلال المغولي لبغداد وانهيار الخلافة العباسية كما فصلنا في متن الكتاب، في حين عزى البعض الآخر منهم حادثة احتلال بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله إلى الوزير ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي تحديداً دون غيرهم،وألقى البعض الآخر منهم كل المسؤولية على عاتق كبار أمراء جيش الخلافة الثلاثة السالفي الذكر.

وعلى الرغم مما تقدم ذكره ، وبعد الاطلاع على مجريات الأحداث السياسية السائدة آنذاك، ودراسة تفاصيل الغارات المغولية الاستطلاعية والحملات الرئيسة التي شنتها على مختلف أنحاء الأراضي العراقية، فضلاً عن الإحاطة بالظروف التي سبقت الزحف المغولي تبين أن هناك الكثير من الأسباب الرئيسة التي يجب التطرق إليها والخوض في تفاصيلها بشكل دقيق، كما أنها تنقسم إلى أسباب داخلية وأخرى خارجية :

أ- الأسباب الداخلية

1. الصراعات والنزاعات التي تفشت بين كبار رجال الخلافة العباسية وموظفيها، كالوزراء وكبار أمراء الجيش من اجل الحصول على مكاسب شخصية سواء مادية أو تشريفية، فضلاً عن سعي كل منهم للتقرب إلى الخليفة دون مراعاة المصلحة العامة للمسلمين [1].

2. لقد كان انتشار الفتن والاضطرابات الداخلية بين طوائف المجتمع الإسلامي في نهاية العصر العباسي من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى إضعاف الخلافة العباسية وانهيارها على يد المغول، ومن أشهر هذه الفتن ما جرى من اقتتال بين أهل السنة والشيعة في السنوات الأخيرة من عهد المستعصم بالله ، فضلاً عن الفتنة بين اليهود والشيعة التي أدت الى مقتل الكثير منهم [2].

3. بطانة السوء وحاشية الخداع المحيطة بالخلفاء العباسيين لا سيما في نهايات عصر الخلافة، وتحديداً عهد الأربعة المتأخرين منهم - الناصر لدين الله وولده الظاهر والمستنصر بالله والمستعصم بالله - ونتيجة لاستغلال أفراد هذه الحاشية لصلاحياتها على حساب مصادرة صلاحيات الخليفة أو استغلالها، فضلاً عن عدم قولهم لكلمة الحق، وخداعهم للخليفة المستعصم بالله في كثير من الأمور كإدعاء قادة الجيش بامتلاكهم القوة الكافية للتصدي لزحف القوات المغولية، إذا ما جد الجد وحانت ساعة المواجهة، كما أن انخداع الخليفة بقول وزيره الذي نجح في إقناعه بالتمكن من عقد الصلح مع الطاغية هولاكو، وما عليه إلا أن يقوم بتسليم بغداد مقابل الحصول على عهد أمان له ولأبنائه ورعيته، فكان سوء هذه الحاشية وادعاءاتها من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في انهيار الخلافة

1- محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (دار النفائس، القاهرة : 1997م)، ص68.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 255 ؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ج١/ص ٢٦٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان: مج1/ص86 ؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص360 ؛ العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص150.

العباسية، وكانت في ذات الوقت عاملاً مشجعاً للغزاة المغول على مهاجمتها الأراضي العراقية واحتلال العاصمة بغداد.

4. موقف الخلافة العباسية الذي اتسم بالضعف والتهاون ليس إزاء الغزو المغولي للعالم الإسلامي كالدولة الخوارزمية وبلاد فارس أولا وشمالي العراق ثانياً، بل إنها لم تتخذ موقفاً حازماً من الغارات المغولية على أطراف بغداد نفسها، ولا يتحمل الخليفة المستعصم بالله وحده تبعية هذا الموقف، وإنما يشترك معه في ذلك كل من الخليفة الناصر لدين الله والظاهر والمستنصر بالله [1].

5. عدم ارتقاء الخلافة العباسية بقوتها العسكرية نحو المستوى المطلوب، الذي يمكنها من التصدي للأخطار الخارجية المحدقة بها، من خلال تقوية جيشها وتعزيز قدرته في العدد والعدة [2]، وإتباعها للأساليب القديمة التي كانت تعتمدها في أثناء مواجهة الفتن والاضطرابات الداخلية، كتطوع العامة من الرعية للدفاع عن خلافتهم ودولتهم كواجب شرعي من ناحية، والقتال للدفاع عن أنفسهم وأسرهم وأموالهم وممتلكاتهم من ناحية أخرى، وهذا ما لا يتناسب مع حجم الغزو المغولي وخطره المحدق بالأمة [3].

6. عدم قيام الخلافة العباسية بإنفاق الأموال الكافية على إعداد جيوشها والكفيلة لانخراط المقاتلة في صفوفها، أو قلة هذه الأموال، إذا ما قارناه بما كان ينفق منها على جيوش الأمراء المسلمين الآخرين في مناطق الأطراف [4]، فضلاً عن قطع رواتب الجند الأمر الذي أدى إلى ترك الكثيرين منهم للخدمة، فرفعت

1- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص304؛ الحياة السياسية في العراق عهد السيطرة المغولية، ص92 ؛ خصباك، العراق في عهد المغول، ص12 ؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص122.

2- فوزي، الخلافة العباسية، ص120؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 354.

3- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص310؛ النقيب، سياسة الناصر لدين الله، ص162.

4- القزاز، المرجع نفسه، ص305 - 306؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص22.

أسماؤهم من ديوان الجند واضطروا إلى مغادرة العراق والتوجه إلى بلاد الشام من اجل كسب العيش من خلال الانضمام إلى صفوف جيوش أولئك الأمراء[1].

7. كما أن عدم لجوء الخلافة العباسية إلى حل المشاكل القائمة بين أمرائها وكبار موظفيها، واعتمادها سياسة إثارة التحريض والإيقاع، لا سيما بين الأمراء الذين يشقون عصا الطاعة عليها، أدى إلى إشعال نار الحرب بينهم، فاستعانت الخلافة بأي طرف كان يقف إلى جانبها من اجل التخلص من خصومها الأمر الذي أضعفها كثيراً [2].

8. لقد كان لأهل الذمة كاليهود والنصارى دور كبير في إضعاف الخلافة العباسية، فنشأت العديد من الفتن والخلافات بين اليهود و الشيعة، وكان لتدخل كبار رجال الدولة فيها أثره الكبير في تحول أحياء العاصمة بغداد وشوارعها إلى مسرحٍ للمعارك[3]، إلا أن اليهود على الرغم من ذلك كان موقفهم مشرفاً، فقاتلوا إلى جانب سكان بغداد دفاعاً عنها ضد خطر المغول، أما النصارى فكان موقفهم متهاوناً، إذ رحبوا بالمحتل المغولي من اجل الحصول على المكاسب المادية والمناصب، فارتفع شأن النصارى منذ بداية الاحتلال المغولي للعراق، وكان ذلك بتشجيع من دقوز خاتون زوجة هولاكو النسطورية وبعض أمرائه [4].

ب- الأسباب الخارجية

1. ضعف الخلافة العباسية وتفكك أوصالها، بحيث أصبحت عاجزة عن الصمود والمقاومة أمام هذه الهجمة الشرسة، وذلك نتيجة لعدم تمكنها من توحيد القوى الإسلامية التابعة لها، وتوجيه إمكانياتها لوقف الزحف المغولي، بسبب انشغال

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص261؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر : ج3/ص208.

2- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص300-306.

3- طقوش، تاريخ المماليك، ص 68.

4- طقوش، تاريخ المماليك، ص70 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص130؛ *Zaimeche , Baghdad , P.23.*

قسم من هذه القوى بالخلافات القائمة فيما بينها من اجل تحقيق مصالحها الضيقة أو السعي للتوسع كل على حساب مناطق نفوذ الطرف الآخر، في حين تنازع القسم الأخر منها مع الخلافة نفسها [1] ، فكادت الوحدة بين الأقاليم الإسلامية تكون مستحيلاً [2]، مما جعل الطريق مفتوحاً أمام القوات المغولية المتوجهة إلى بغداد، وسهل عليها عملية احتلال الأراضي العراقية والقضاء على الخلافة العباسية [3] .

2. إن نجاح الخليفة العباسي المستعصم بالله في حل النزاعات القائمة بين بعض الأطراف الخارجية كالأمراء الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر [4] وامتثال هؤلاء الأمراء لطاعته، جعله يتوهم بإمكانية الاستعانة بهم في التصدي للغزو المغولي، إذا ما دهم الخطر أبواب عاصمته وأصبح بحاجة إليهم، في حين أن هؤلاء الأمراء لم يمتثلوا لأمر الخليفة المستعصم بالله إلا من اجل الحصول على اعترافه بهم لإضفاء الشرعية على حكمهم لمناطق نفوذهم من ناحية، وضعف إماراتهم ودولهم وتفككها على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي من ناحية أخرى، مما جعلهم عاجزين عن تقديم العون والنجدة للخلافة العباسية وبالتالي خذلان الخليفة، فأصبحت بغداد لقمة سائغة للقوات المغولية الغازية [5].

3. تآمر الأطراف الخارجية منها ما هو إسلامي، ومنها ما هو غير إسلامي وتعاونها مع المغول ضد الخلافة العباسية، كالأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

1- فوزي، الخلافة العباسية، ص122-120 ؛ سلطان، التاريخ الإسلامي : ج2/ص267.
2- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص148 ؛ طقوش، تاريخ المماليك، ص70.
3- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص35 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج2/ص270 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج7/ص49 ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص302- 303؛ فوزي، الخلافة العباسية، ص122.
4- اليونيني، ذيل مرآة الزمان : مج1/ص173؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : ج5 / ص415.
5- بدر، محنة الإسلام، ص 219.

الذي أرسل فرقة عسكرية بقيادة ولده الملك الصالح ركن الدين، للمشاركة في حصار بغداد إلى جانب هولاكو، فضلاً عن الأمير أبي بكر سعد بن زنكي أتابك شيراز الذي قام بالدور الخياني نفسه الذي قام به بدر الدين لؤلؤ [1].

4. مشاركة نصارى الشرق المتمثلين بالأرمن والكرج الذين أرسل ملوكهم قوات عسكرية كبيرة ساهمت في عملية احتلال بغداد، وتدميرها إلى جانب القوات المغولية[2]، ولم يتوقف دور الأرمن على احتلال بغداد فقط بل تعداه إلى مشاركتهم في احتلال بلاد الشام والجزيرة، فبلغ عدد الجيش الأرمني المشارك في هذه الحملة ستة عشر ألف رجل بقيادة الملك هيثوم الأول[3]، حيث انزل مذبحة كبيرة بمسلمي مدينة ميافارقين الأيوبية ودمرها، بعد ان ساهم مع المغول في إسقاطها، وكذلك فعل في نصيبين وحران والرها والبيرة وسروج[4] فضلاً عن تحالف الصليبيين في بلاد الشام مع المغول للقضاء على الخلافة العباسية التي تمثل اكبر قوة إسلامية آنذاك[5].

5. سوء العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية كان له دور كبير في تشجيع المغول على مهاجمة الدولة الخوارزمية، والقضاء على سلطانها، وضمّ أراضيها إلى حظيرة الإمبراطورية المغولية، مما جعلها مجاورة لمناطق نفوذ الخلافة، فأصبح الطريق سالكاً إلى العراق بعد زوال الدولة الخوارزمية التي

1- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص35 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى : ج2/ص270 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج7/ص49.

2-ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 308 ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان : ج1/ص78 ؛ الذهبي، العبر : ج5 /ص 225 ؛ العيني، عقد الجمان : ج2 /ص 167.

3- *Saunders, The History of the Mangol, p. 113; Buell , Historical Dictionary of the Mongol World Empire , p.52.*

4 () *R. Grousset, A History des Croisades et du Royaume (Franc De Jersalen, Paris: 1934-1936):Vol. III, p. 580 ; M. Cbm ,Three Italian Travelers (No.p. , Moscow : 1965) , p. 18.*

5- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية : ج3/ص522 ؛ قداوي، التحالف المغولي الأرميني الصليبي : ع10 / ص10 ؛ طقوش، تاريخ المماليك، ص71 ؛ *Zaimeche , Baghdad , P.*

كانت تمثل سداً حاجزاً بين الطرفين[1].

6. كما تعد قوة الجيوش المغولية وحسن تدريبها وعددها وعدتها الكبيرة وشدة بأسها من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في نجاح عملية الاحتلال المغولي لبغداد، وسهلت كثيراً مهمة القضاء على الخلافة العباسية بسرعة لا يمكن تصورها، إذا ما قارناها بطول حقبة حكمها التي امتدت أكثر من خمسة قرون (656-132هـ/ 749 - 1258م) [2].

7. ومن الأسباب التي أدت إلى إضعاف الخلافة وجعلتها لقمة سائغة للغزاة المغول، ما كان يمر به العالم الإسلامي من أوضاع سياسية صعبة قبيل الغزو المغولي للأراضي العراقية، وتمثلت بالعديد من الأخطار مثل مذابح المغول في الشرق، وسيطرتهم على الدولة الخوارزمية، فضلاً عن الخطر الصليبي في بلاد الشام، حيث احتل الصليبيون أجزاء من البلاد الإسلامية، واستنزفوا خيراتها، فحيث بقيت مصر تتعرض للحملات الصليبية وخطر الإسماعيلية التي أقامت لها دولة في بلاد فارس، ونشرت الخوف والرعب في العالم الإسلامي.

8. إن اتساع الرقعة الجغرافية لمناطق نفوذ الإمبراطورية المغولية شرقاً وغرباً، جعلها تحيط بمناطق نفوذ الخلافة العباسية من جميع الجهات تقريباً، مما كان له دور كبير في إضعافها، فأصبحت غير قادرة على المقاومة بل وعاجزة تماماً عن التصدي للخطر المغولي.

*** *** ***

1- القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص301؛ صالح، الأوضاع الاقتصادية،ص191.
2- بدر، محنة الإسلام، ص 219.

ثانياً : نتائج احتلال العراق وانهيار الخلافة العباسية

لقد أفرزت عملية الاحتلال العراق والقضاء على الخلافة العباسية نتائج مهمة كان لها أثر على الصعيدين الداخلي (العراق) والخارجي (العالم الإسلامي)، لا سيما أن هذه الحادثة كانت من الحوادث الكبرى التي حدثت في تاريخ البشرية، وكان لها أبعادها المستقبلية على جميع الشعوب الإسلامية على اختلاف مذاهبهم وأعراقهم [1]، فضلاً عن تأثيرها على دولهم وثقافاتهم ولغاتهم، ويمكن إجمال هذه النتائج كالآتي :

1. فقدان مدينة بغداد لدورها السياسي الذي مارسته كعاصمة للعالم الإسلامي بل ومثلت قلبه النابض لمدة خمسة قرون من الزمان، وتحولت إلى مدينة ثانوية قليلة الأهمية نتيجة لفقدانها مركز الرئاسة [2]، لا سيما بعد أن انتقلت عاصمة العالم الإسلامي إلى مدينة تبريز، فكان من الطبيعي أن تتوجه عناية واهتمام المغول الإيلخانيين إلى بلاد فارس مركز حكمهم دون العراق، الذي أصبح احدى الولايات الرئيسة والمهمة التابعة لدولة المغول الإيلخانيين في بلاد فارس، وفي كثير من الأحيان كان يطلق على تلك الولايات اسم ممالك وعلى حكامها لقب ملك، بينما بقيت مدينة بغداد عاصمة العراق الإقليمية،التي أطلق عليها في المؤلفات التاريخية وكتابات البلدانيين المعاصرة لتلك الحقبة اسم مدينة السلام. أما ما يتعلق بالجانب الإداري للعراق، فقد تم تقسيمه من لدن المغول إلى ثلاث وحدات إدراية رئيسة، وشملت كل واحدة منها مناطق متعددة وواسعة وهي :

أ. العراق العربي ويمتد ما بين الزاب الأعلى إلى عبدان طولا ومن القادسية إلى حلوان عرضاً.

ب. الجزيرة الفراتية، وضمت كل من مدينة الموصل وسنجار والعمادية وأربيل (إربل).

1- الصياد، المغول : ج1/ص 283.

2- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص148 ؛ بدر، محنة الإسلام، ص 219.

ج. بلاد الجبل وشملت المنطقة الشمالية من العراق ومركزها مدينة شهر زور[1].

2. لم يكن سقوط الخلافة في بغداد نهاية للخلافة العباسية، لأنها عادت مرة اخرى إلى الحياة لتستمر أكثر من قرنين من الزمان، لكنها في هذه المرة لم تكن في بغداد عاصمة العراق، وإنما انتقل مقرها الجديد إلى مدينة القاهرة عاصمة البلاد المصرية، وعلى الرغم من إحيائها، لم تعد مكانتها السياسية والاجتماعية بل وحتى الدينية، كما كانت عليه سابقاً، حيث فقدت هيبتها ومكانتها وأصبح خلفاء بني العباس في القاهرة مجرد رموز دينية شكلية، لا حول لهم ولا قوة ويستفيد منهم السلاطين المماليك في الحصول على الشرعية فقط، لإضفاء الشرعية على حكمهم، وبذلك كان حالهم حال أي شيخ من مشايخ الطرق الصوفية [2].

3. إضمحلال الحياة العلمية وانهيارها في العراق عامة وبغداد خاصة بسبب مقتل الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء أثناء عملية احتلال بغداد واستباحتها على أيدي القوات المغولية الغازية، وهرب من بقي منهم حياً من بطش المغول، وتدمير مكتبة بغداد العظيمة وإحراق كتبها القيمة التي ضمت جهود علماء المسلمين في مختلف الاختصاصات العلمية [3]، مما أدى إلى فقدان مدينة بغداد لدورها العلمي والحضاري، وحلت القاهرة محلها في هذا الجانب [4]، فكان لذلك أثره على الحضارة العربية الإسلامية التي أخذت بالاتجاه نحو التدهور[5]، كما أدى الاحتلال المغولي للعراق إلى اضمحلال استخدام اللغة العربية في عملية تأليف الكتب في بعض المجالات الشرعية كالفقه وغيرها في حين نشطت اللغة

1- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ (دار الحرية، بغداد : 1983م)، ص549.
2- بدر، محنة الإسلام، ص2219 ؛ 223 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 134.
3- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،ص148 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص136.
4- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ج7 /ص 51 ؛ المكي، سمط النجوم العوالي :ج3/ ص519 ؛ بدر، محنة الإسلام، ص 220.
5- *Zaimeche , Baghdad , P. 19.*

الفارسية، بسبب تشجيع دولة المغول الإيلخانيين لذلك، وطمس كل ما هو عربي الطابع والهوية [1]، فضلاً عن إقامة مقرها في إيران، كما انهارت الكثير من العلوم، ونشطت العلوم التي يمكن الإفادة منها في الحياة اليومية فقط كالحساب الذي يستخدم في إحصاء الأموال وجبي الضرائب، وعلم الطب الذي يستخدم في العلاج، والفلك أو النجوم لمعرفة المواقيت[2].

4. تدمير المساجد والجوامع في بغداد، وتعطيل دورها الديني والسياسي والإداري الذي تقوم به كقاعدة أساسية في مثل هكذا ظروف، إذ تنطلق منها الدعوات للجهاد في سبيل الله والتشجيع على مقاومة المحتل، كما تم تخريبها ونهب كل ما هو نفيس فيها، حيث تم خلع السقوف المذهبة فيها [3].

5. أما الجانب الاجتماعي في مدينة بغداد، فقد عانت شرائح المجتمع وطوائفه ومذاهبه المختلفة سنتهم وشيعتهم ويهودهم من ضنك العيش وسوء معاملة المغول على حدٍ سواء[4]، بل تعدى ذلك إلى النصارى الذين لاقوا الأمرين على يد الحكومات المغولية في بغداد على الرغم من ترحيبهم بالمغول وتقديم المساعدة لهم، وبذلك فقدوا جميع الامتيازات التي تمتعوا بها طوال العصر العباسي، فحصدوا نتيجة ما فعلوا [5]،وعلى ما يبدو أن هذه سنة الله في خلقه فهذا مصير الخائن المتعاون مع المحتل عبر التاريخ مهما كان انتماؤه العرقي والديني والمذهبي.

6. لقد كانت آثار الاحتلال المغولي واضحة جداً على جانب آخر من جوانب

1- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص148.

2- ابن طباطبا الفخري في الآداب السلطانية، ص 260 ؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص 15.

3- ابن تغري بردي، مورد اللطافة :ج1/ص235 ؛ المقريزي، السلوك :ج1/ص499 ؛ بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 177 .

4- الذهبي، سير أعلام النبلاء : ج23/ص362 ؛ تاريخ الإسلام : ج48/ص37 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي :ج2/ص 190 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :ج7/ص 50.

5- بدر، محنة الإسلام، ص 221 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص135.

المجتمع العباسي، الذي أصابه التمزق الحاد، بسبب سعي جميع عناصره إلى كسب ود المحتل من اجل الحصول على مكاسب مادية واعتلاء المناصب والوظائف الإدارية، وفي المقابل أن تقريب المحتل لأي عنصر أو دين أو مذهب لابد انه سيكون على حساب الطرف الآخر، مما أدى بالتالي إلى ازدياد الفرقة والتمزق بين أبناء المجتمع الواحد الذي عانى كثيراً من مذابح الاحتلال.

7. ومن نتائج الاحتلال المغولي للعراق والتي بانت ظاهرة للعيان معاناة المسلمين الكبيرة من جراء تهميش الشريعة الإسلامية، وعدم العمل بها من قبل الدولة إلا في ما يخدم جانبها [1].

8. مقتل أعداد كبيرة من الرعية، مما تسبب في خلق الكثير من المشاكل الاجتماعية التي عمت المجتمع، نتيجة للحرب التي خلفت آلاف الأرامل والأيتام بسبب قتل أعداد كبيرة من الرجال، وفقدان الكثير منهم دون معرفة مصيرهم، فضلاً عن اغتصاب النساء وقتل صغار السن من الأطفال الأبرياء بالجملة دون رحمة، فبلغت أعداد القتلى حداً ضخماً لم يتصوره المؤرخون بل عده بعضهم بأنه كارثة العصر التي لم يحدث في الزمان مثلها [2]، في حين أشار آخرون إلى أنها كانت الحدث الأكثر هولاً مقارنة بالأحداث التي مر بها المسلمون منذ تأسيس دولتهم[3].

9. انهيار الحياة الاقتصادية في العراق بسبب السياسة الجائرة التي اعتمدها الغزاة المغول وعملاؤهم أثناء عملية الاحتلال العسكري للبلاد وإدارتها فيما بعد من لدن الأمراء التابعين الطانعين لهم، حيث كان هذا شأن المحتل في كل زمان ومكان، وسياسته في سلب خيرات الشعوب واستنزاف طاقاتها، من

1- الذهبي، دول الإسلام :ج 2، ص123 .

2- ابن كثير، البداية والنهاية :ج 13/ص 201؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء : ج23/ ص181؛ *Zaimeche , Baghdad , P. 18 ; Iraq under Mongol and Turkoman rule 1258–1534 ,P.32.*

3 -*Eboo Jamal , Surviving the Mongols , p.8.*

خلال فرض المزيد من الضرائب الجائرة على الرعية بشكل دون تمييز، وزيادة كمياتها ومقاديرها والتعسف في جبايتها دون مراعاة المستوى المعيشي والاجتماعي لهم، وظهرت أنواع جديدة من الضرائب التي أثقلت كاهل الرعية، ولم يعهدها المجتمع العباسي من قبل كضريبة الرؤوس وضريبة البيوت والأسواق وضريبة المراعي وحصة الديوان من الأوقاف ومقدارها العشر[1]، ففي كثير من الأحيان كانت تشكل حملات لجمع الأموال تحت ذريعة مساعدات طارئة لحكومة الاحتلال [2]، والى جانب فرض الضرائب الفادحة كان هناك أسباب أخرى أدت إلى اضمحلال النشاط الاقتصادي وتدهوره كانعدام الأمن وانتشار قطاع الطرق واللصوص على طرق التجارة الداخلية والخارجية الوافدة إلى الأراضي العراقية والخارجة منها، مما أسهم في تدهور النشاط التجاري والصناعي أيضا [3].

ومن العوامل الأخرى التي أفرزتها سياسة المحتل المغولي، وأدت إلى تدهور الحياة الاقتصادية في العراق وشلها نتيجة الإهمال الكبير من لدن رجال الإدارة التابعين للغزاة المغول لمشاريع الري وإقامة السدود وعدم إدامتها وبناء ما هو جديد منها لتعزيز النشاط الزراعي ودعمه، لا سيما أن رخاء العراق يعتمد بالدرجة الأولى على الزراعة، حيث يقوم ازدهارها على نظام الري، مما أدى بالتالي إلى حدوث نكبات وأوبئة متلاحقة في السنوات 676هـ/1277م و683هـ/1284م و725هـ/1324م وغرق الحلة والكوفة في سنة 685هـ/1286م [4].

1- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص551 ؛

Iraq under Mongol and Turkoman rule1258-1534 , P.34.

2- وشاح، موقف الشيعة من غزو المغول للعراق، ص175.

3- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 334 ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،ص 255، 321.

4- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص 551؛

Iraq under Mongol and Turkoman rule1258-1534 , P.35.

في الحقيقة إن كل ذلك الفساد والتدهور في الجانب الاقتصادي كان بسبب انشغال المحتل وأذنابه بعمليات السلب والنهب، حيث سعوا جاهدين من خلالها إلى تحقيق المزيد من المكاسب المادية والواردات المالية لأغراضهم الشخصية على حساب المصلحة العامة للمسلمين، فانعكست آثار هذه السياسية سلباً على النشاط الزراعي والصناعي والتجاري[1].

10. لقد كان انتشار العملة المزورة ورواجها في الأسواق في بغداد وغيرها من المدن العراقية الأخرى من الآثار التي ظهرت نتيجة للاحتلال المغولي، وما إنتهجه من سياسة اقتصادية فاشلة، أدت إلى شيوع عمليات غش النقود أثناء سكها، من خلال إنقاص نسبة الذهب والفضة فيها [2].

11. إن احتلال مدينة بغداد من قبل القوات المغولية وقتل الخليفة المستعصم بالله وأفراد عائلته وأقاربه من أبناء البيت العباسي، قضى على ولادة أي محاولة لحركة المقاومة [3]، مما أدى إلى سرعة تهاوي أجزاء العراق الأخرى، واستسلامها للقوات المغولية كالحلة[4] والكوفة وواسط [5] والبصرة [6]التي استسلم بعضها خشية أن يحل بها ما حل ببغداد، وقاوم البعض الآخر، إلا أن مقاومته كانت ضعيفة بسبب عدم وجود عمق للمقاومة.

12. إن القضاء على الخلافة العباسية، يعني القضاء على أخر حكومة عربية، وان لم تسيطر على العالم الإسلامي بشكل كامل، فكان لها سيطرة اسمية استمدتها

1- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص 243، 261-259، 269، 331،333 ؛ للمزيد من التفاصيل عن هذه الصراعات ينظر : بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص 134-133 ؛ الصياد، المغول في التاريخ : ج1/ص253.

2- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص 551.

3- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص147.

4- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 475 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص39 ؛ الطهراني، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص 156.

5- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 475.

6- الذهبي، تاريخ الإسلام : ج48/ص39.

من مكانتها الدينية، وقيام حكومة فارسية بدلاً عنها تسوس العالم الإسلامي وتدير شؤونه[1]، وكان العراق احد الولايات التي نصب عليها حاكم عسكري من لدن هولاكو مباشرة إلى جانب حاكم محلي يتم اختياره من قبلهم أيضاً، وكان صاحب الديوان يقوم بدور الحاكم الأعلى للعراق وهو من يقوم بتعيين كبار الموظفين التابعين له، لا سيما بعد أن ألغيت الكثير من الدواوين، وتم دمج ديوان الزمام وديوان الوزير تحت سلطة

13. صاحب الديوان، أما بقية الجهاز الإداري فبقي كما كان عليه في العصر العباسي سابقاً [2].

14. إن احتلال بغداد والقضاء على الخلافة العباسية، جعل مهمة القوات المغولية لاحتلال بلاد الشام والجزيرة أكثر سهولة من أي وقت مضى، لا سيما أن تلك القوى كانت تنظر للخلافة العباسية وعاصمتها بغداد نظرة القوة التي لا يمكن أن يتجرأ أحد على مهاجمتها أو الإغارة على عاصمتها [3]، فاحتلت كلاً من مدينة دمشق وحلب وسائر مدن الشام وآمد وميافارقين ونصيبين وغيرها من مدن الجزيرة، وتم بذلك القضاء على بقايا دولة الأيوبيين، وسلب من بقي منهم حق المطالبة بالعرش الأيوبي[4].

15. ظهور سلطنة المماليك بعد معركة عين جالوت كقوة عظمى قادت العالم الإسلامي في التصدي للأخطار الخارجية، فاكتسبت شرعيتها من خلال إحياء الخلافة العباسية في القاهرة وتفويض للظاهر بيبرس بالسلطنة

16. لقد كان الأثر النفسي احد النتائج السيئة التي خلفها الاحتلال المغولي للعراق

1- بدر، محنة الإسلام، ص222.

2- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، ص 549؛

Iraq under Mongol and Turkoman rule1258–1534 , P.34.

3- طقوش، تاريخ المماليك، ص 70

4- العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص150-151.

والقضاء على الخلافة العباسية، فكان أثره عميقاً في نفوس المسلمين، وكان أكثر وقعاً وتأثيراً في نفوس الشعراء الذين نظموا آلاف الأبيات الشعرية والقصائد الطويلة التي تصف الألم الشديد والحزن العميق الذي عانوه من جراء هذه الحادثة [1].

1- بدر، محنة الإسلام، ص219 -223 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص 134.

الملاحق والخرائط

ملحق رقم (1)

جدول بأسماء الخلفاء العباسيين الذين عاصروا ظهور المغول

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
1.	المتقي لأمر الله بن المستظهر	(530 - 555هـ/1135 - 1160م)	
2.	المستنجد بالله بن المتقي	(555 - 566هـ/1160 - 1170م)	
3.	المستضيء بأمر الله بن المستنجد	(566 - 575هـ/1170 - 1179م)	
4.	الناصر لدين الله بن المستضيء	(622-575هـ/1225-1179م)	
5.	الظاهر بأمر الله بن الناصر	(622 - 623هـ/1225 - 1226م)	حكم تسعة أشهر
6.	المستنصر بالله بن الظاهر	(623 - 640هـ/1226 - 1242)	
7.	المستعصم بالله بن المستنصر	(640 - 656هـ/1242 - 1258م)	قتله المغول

نقلاً عن : عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص269.

ملحق رقم (2)

جدول بأسماء سلاطين الدولة الخوارزمية

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
1.	نوشتكين	(470 - 490هـ/1077 - 1096م)	
2.	قطب الدين محمد	(490 - 521هـ/1096 - 1127م)	
3.	أتسز	(521 - 551هـ/1127 - 1156م)	
4.	أيل ارسلان	(551 - 568هـ/1156 - 1172م)	
5.	سلطان شاه محمود	(568 - 568هـ/1172 - 1172م)	عزل في نفس العام
6.	علاء الدين تكش	(568 - 596هـ/1172 - 1199م)	
7.	علاء الدين محمد	(596 - 617هـ/1199 - 1219)	توفي طريداً من المغول
8.	جلال الدين منكبرتي	(617 - 628هـ/1219 - 1231م)	قتل على يد احد الأكراد

نقلاً عن : حمدي، الدولة الخوارزمية، ص318.

ملحق رقم (3)

جدول بأسماء أتابكة الموصل

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
1.	عماد الدين زنكي بن اقسنقر	(521-541هـ/1127-1146م)	
2.	سيف الدين غازي الأول بن زنكي	(541-544هـ/1146-1149م)	
3.	قطب الدين مودود بن زنكي	(544-564هـ/1149-1169)	
4.	سيف الدين غازي الثاني بن مودود	(564-572هـ/1169-1176م)	
5.	عزالدين بن مسعود الأول بن مودود	(572-589هـ/1176-1193م)	
6.	نورالدين ارسلان شاه الأول بن مسعود	(589-607هـ/1176-1210م)	
7.	عزالدين مسعود الثاني بن ارسلان شاه	(607-616هـ/1210-1219م)	
8.	نورالدين ارسلان شاه الثاني بن مسعود	(616-616هـ/1219-1220)	حكم سنة تقريباً
9.	ناصرالدين محمود بن عزالدين مسعود	(616-631هـ/1220-1233م)	قتله بدرالدين لؤلؤ
10.	الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ	(631-657هـ/1233-1258م)	
11.	الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ	(657-660هـ/1258-1261م)	

نقلاً عن : عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص266.

ملحق رقم (4)

جدول بأسماء أتابكة سنجار

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
1.	عماد الدين زنكي الثاني بن مودود	(566-594هـ/1170-1197م)	
2.	قطب الدين محمد بن عمادالدين زنكي	(594-616هـ/1197-1219م)	
3.	عماد الدين شاهنشاه بن محمد	(616/1219م)	حكم عدة أشهر
4.	جلال الدين محمود بن محمد	(616-617هـ/1219-1220م)	
5.	الملك الأشرف الايوبي	(617-635هـ/1220-1237م)	تابعة الأشرف
6.	الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ	(635-657هـ/1237-1258م)	
7.	المظفر علاء الدين بن لؤلؤ	(657-660هـ/1258-1261م)	

نقلاً عن : عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص267-266.

ملحق رقم (5)

جدول بأسماء خانات الإمبراطورية المغولية في قرة قورم

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
1.	جنكيز خان	(603-624هـ/1206-1227م)	
2.		(624-626هـ/1227-1229م)	تولى الحكم في الفترة الانتقالية بين وفاة جنكيز خان وانتخاب اوكتاي خان
2.	اوكتاي خان	(626-639هـ/1227-1241م)	بقي العرش شاغراً خمس سنوات لحين انتخاب كيوك خان أعظم حسب قاعدة الانتخاب لا الوراثة

	توراكنه خاتون	(639-644هـ/1241-1246م)	تولت تصريف الحكم للفترة بين وفاة زوجها اوكتاي خان وانتخاب كيوك خان
3.	كيوك خان	(644-647هـ/1246-1249م)	
	أوغل غايميش	(647-649هـ/1249-1251م)	تولت تصريف الحكم للفترة بين وفاة زوجها كيوك خان وانتخاب منكو خان
4.	منكو خان	(649-655هـ/1251-1257م)	بقي العرش شاغراً ثلاث سنوات لحين انتخاب قوبلاي خاناً حسب قاعدة الانتخاب لا الوراثة
	اريق بوقا- قوبلاي	(655-658هـ/1257-1260م)	فترة الصراع والحرب بينهماعلى منصب الخان وانقسام حكم الامبراطورية بينهما
٥.	قوبلاي خان	(658-693هـ/1260-1293م)	

نقلاً عن : حمدي، الدولة الخوارزمية، ص320.

ملحق رقم (6)

جدول بأسماء إيلخانات المغول في بلاد فارس

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
	هولاكو	(654-663هـ/1256-1265م)	
	ابقا خان	(663-680هـ/1265-1282م)	
	أحمد تكودار	(680-683هـ/1282-1284م)	
	ارغون	(683-690هـ/1284-1291م)	
	كيخاتو	(690-694هـ/1291-1295م)	
	بايدو	694 هـ / 1295 م	حكم اقل من سنة
	غازان	694-703هـ/1295-1303م)	
	اولجايتو	703-716هـ/1303-1317م)	
	أبو سعيد بهادر خان	(716-736هـ/1317-1336م)	
	اربخان	736هـ/1336 م	حكم اقل من سنة
	موسى	736 هـ / 1336 م	

نقلاً عن : حسن باشا، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، (القاهرة : 1972) : ج2 / ص483.

ملحق رقم (7)

جدول بأسماء أمراء إربل

ت	الاسم	فترة الحكم	الملاحظات
1.	زين الدين علي كوجك	(ت 563هـ/1167م)	
2.	زين الدين أبو المظفر يوسف بن علي	(563-586هـ/1167-1190م)	
3.	مظفرالدين أبو سعيد كوكبري بن علي	(586-630هـ/1190-1232م)	

نقلاً عن : عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص67.

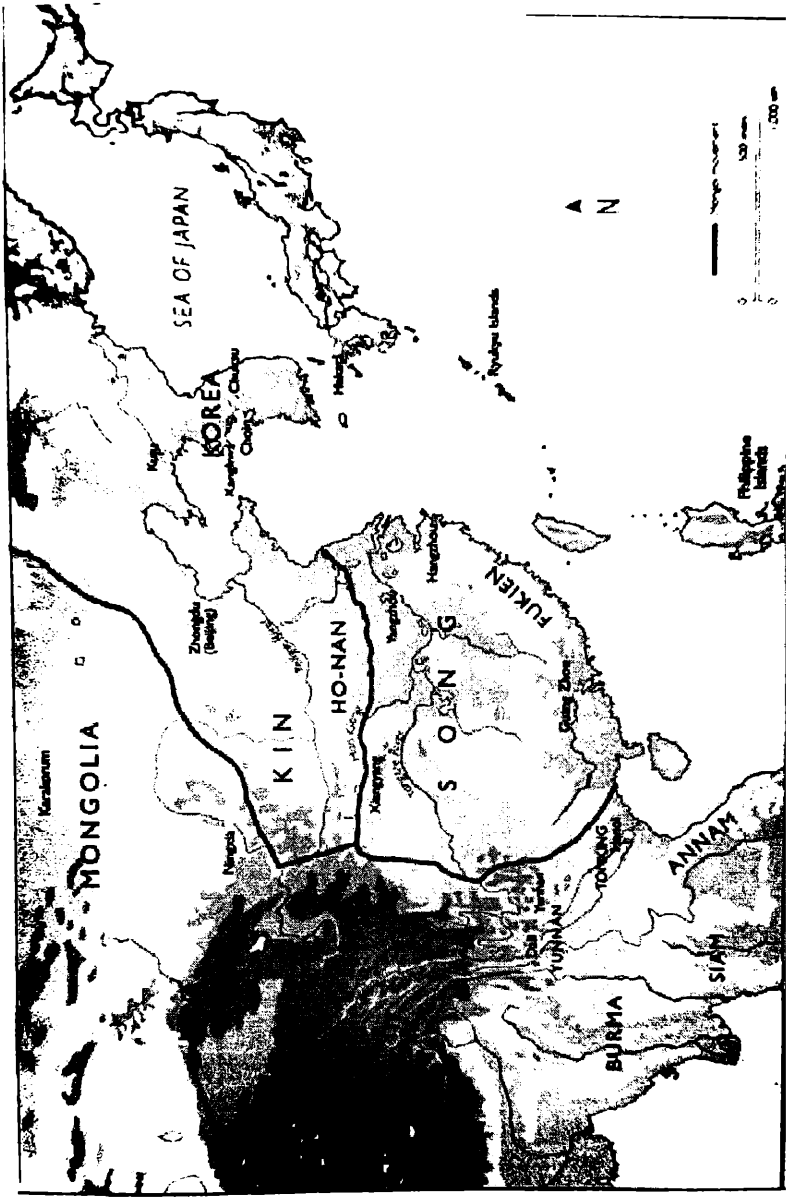
السيطرة المغولية على بلاد الصين في عهد اسرة كين واسرة سونج الحاكمين فيها خلال ١٢١١-١٢٧٣م
MONGOLIA
KIN
HO-NAN
SONG
FUKIEN
KOREA
SEA OF JAPAN
ANNAM
SIAM
BURMA
YUNNAN
N

خارطة رقم (1)

CASPIAN SEA
PERSIAN GULF
CALIPHATE
INDIA
HITAI
BALUCHISTAN
KHORASSAN
Khajand
Otrar
Samarkan
Termes
Balakh
Bukhara
Merv
Horat
Nishapur
Rai
Kirman
Hamadan
Ujench

خارطة رقم (2)

العالم الإسلامي والإمبراطورية المغولية في سنة ١٢٢٧هـ/١٢١٤م
قبائل عربية متفرقة

خارطة رقم (3)

الإمبراطورية المغولية في سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م
الإمبراطورية المغولية
سلطنة الروم
الدولة الموحدية
بجاية
تونس

خارطة رقم (4)

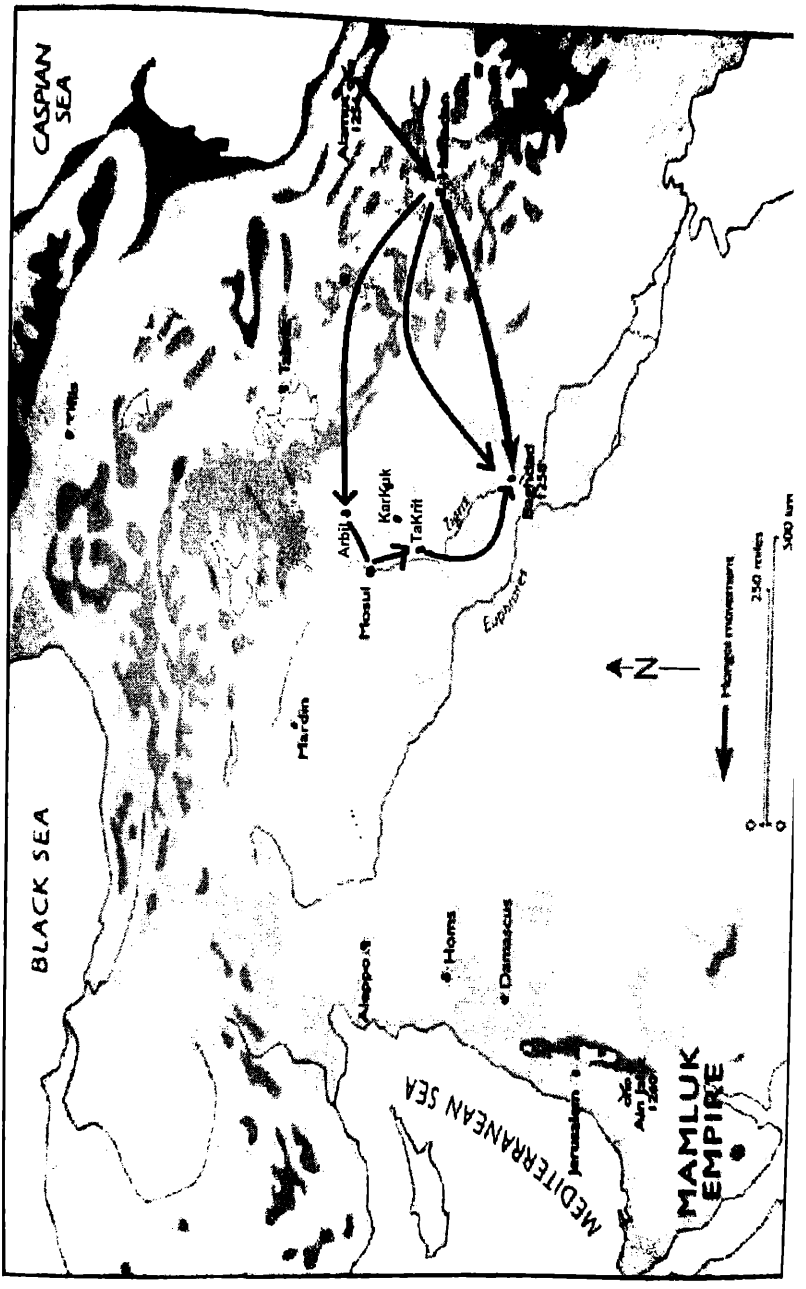

خط سير حملة هولاكو بالمشرق الثلاثة لاحتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م

خارطة رقم (5)

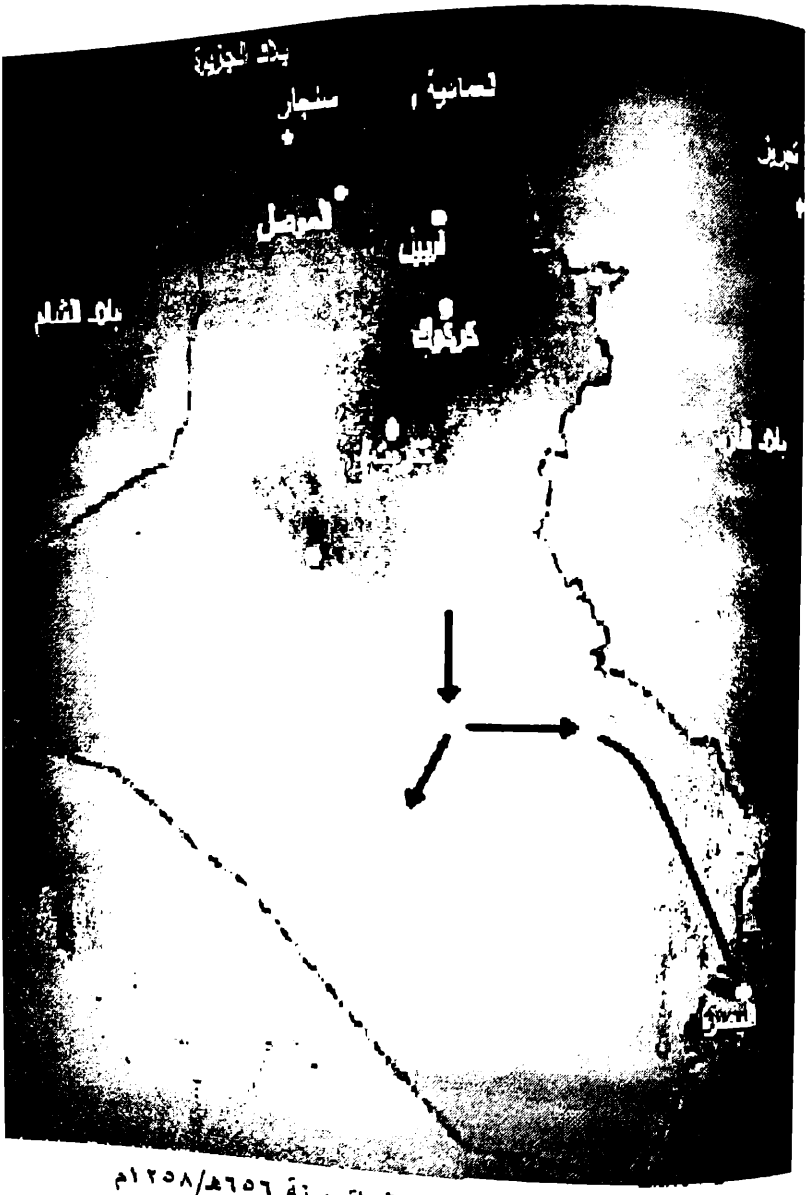

عمليات الاحتلال المغولي لجنوب العراق سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م

خارطة رقم (6)

الامبراطورية المغولية في سنة ١٢٦٠م / ٦٥٨
الامبراطورية المغولية
بخارى
سمرقند
الكرج
الروسيا
الملاحدة
حلب
دمشق
القدس
الحجاز
القاهرة
مصر

خارطة رقم (7)

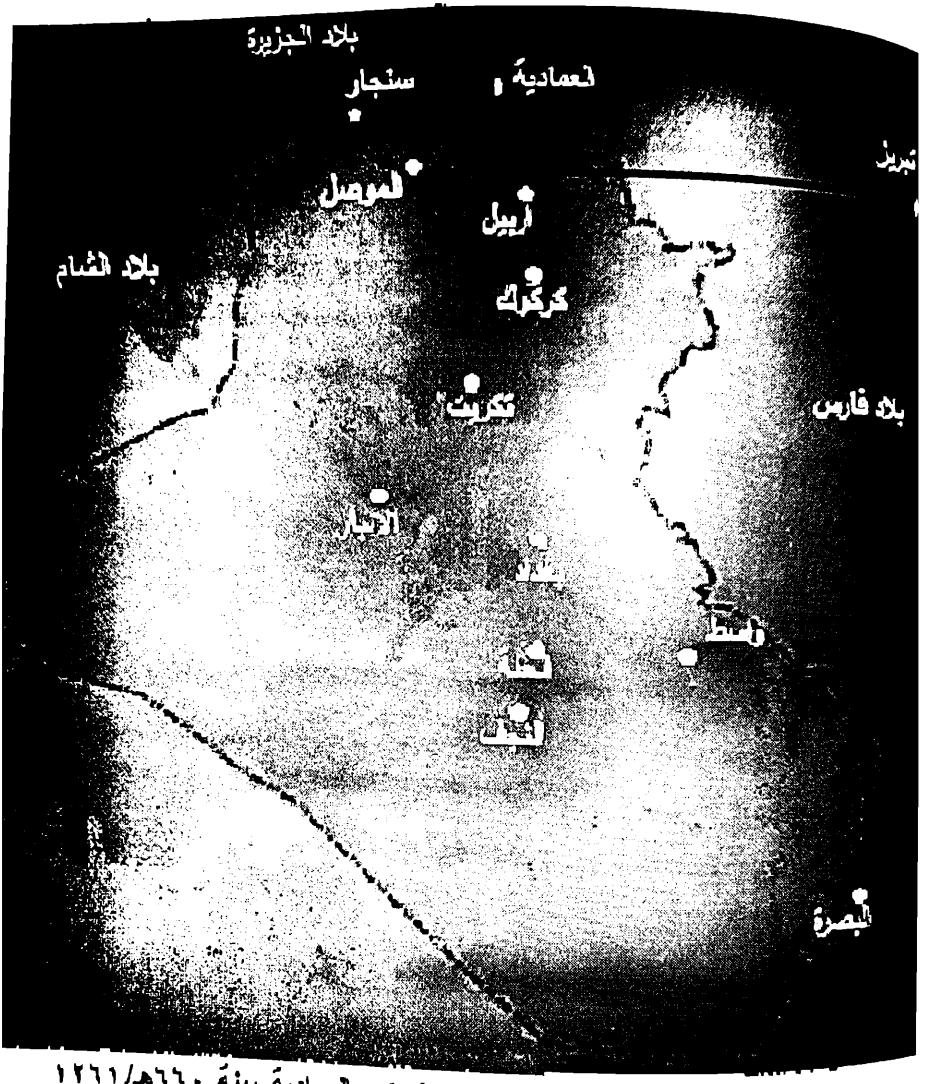

الاحتلال المغولي للموصل وسنجار والعمادية سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١

خارطة رقم (8)

ثبت المصادر والمرجع

أولاً : المصادر الأولية

1. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم(ت630هـ).

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية تحقيق : عبد القادر احمد طليمات (مطبعة الاستقلال، القاهرة : 1963م).

- الكامل في التاريخ، تحقيق:عبد الله القاضي(دار الكتب العلمية، بيروت : 1415هـ).

- الكامل في التاريخ (دار الفكر العربي، بيروت : 1978م) : ج9.

- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق : محمد إبراهيم البناء وآخرون (دار الشعب، بيروت : د.ت.).

2. الأصفهاني، عماد الدين أصفهاني (ت597هـ).

- البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين (مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان :1987).

3. ابن أيبك، أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري(توفي في القرن الثامن الهجري)

- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق : اولرخ هارمان (المعهد الألماني للآثار، القاهرة : 1971م).

4. البلاذري، أبو الحسن (ت279هـ).

- فتوح البلدان، مراجعة : رضوان محمد رضوان (بيروت : 1978م).

5. ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت874هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(وزارة الثقافة والإرشاد القومي،مصر: د.ت.).

- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد (دار الكتب المصرية ، القاهرة :1997م).

6. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبر الأندلسي(ت614هـ).

- رحلة ابن جبير، تحقيق:محمد مصطفى زيادة (دار الكتاب اللبناني،بيروت: د. ت.).

7. الجويني، علاء الدين عطا ملك(ت681هـ).

- تاريخ فاتح العالم " جهان كشاي "، تحقيق : محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة : السباعي محمد السباعي (الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة : 2007م).

- تاريخ فاتح العالم " جهان كشاي "، تصحيح : محمد عبد الوهاب القزويني (مطبعة بريل، ليدن:١٩٣٧م) : ج٢ .

8. الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف(ت631هـ).

- تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: أبو العبد دودو (مطبعة الحجاز، دمشق : د.ت.).

9. الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري(ت1098هـ).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط (دار بن كثير ، دمشق : 1406هـ).

10. ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي(ت 805هـ).

- تاريخ ابن خلدون، ط5(دار القلم، بيروت:1984م).

- مقدمة ابن خلدون، ط5 (دار القلم، بيروت : 1984م).

11. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد(ت668هـ)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس (دار الثقافة،

بيروت : د.ت).

12. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت748هـ).

- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخر، ط9(مؤسسة الرسالة، بيروت : 1413هـ).

- العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت: 1985م).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق:عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، بيروت :1987م).

13. الرمزي، م.م. (ت1130هـ).

- تلفيق الأخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار (المطبعة الكريمية الحسينية، اورنبورغ : 1908م).

14. السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي(ت771هـ).

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وأخر، ط2 (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م, : 1413هـ).

15. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ).

- تاريخ الخلفاء، تحقيق:سعيد محمود عقيل، (دار الجيل للنشر، بيروت: 2003م).

16. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ).

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق : حلمي احمد (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة : 1956م).

- الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي محمد (د.م.،القاهرة :١٩٦٢م).

- الذيل على الروضتين، ط2(دار الجيل، بيروت :1974م)

17. ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع(ت632هـ).

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق : جمال الدين الشيال (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة : 1964م).

18. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت674هـ).

- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخر (دار إحياء التراث، بيروت :2000م).

19. ابن طباطبا، محمد بن علي (ت709هـ).

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (دار صادر، بيروت : د.ت.)

20. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ).

- تأريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف، القاهرة : 1979م).

21. ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت692هـ).

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق : عبد العزيز الخويطر(د.م. الرياض:1976م).

22. ابن العبري، غريغوريوس ابي الفرج بن اهرون الملطي(ت680هـ).

- تاريخ الدول السرياني، منشور في مجلة المشرق اللبنانية، بقلم : إسحاق أرملة،ع38 48 لسنة 1954م، ع50 – 54 لسنة 1956م.

- تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة : أنطوان صالحاني اليسوعي ط2(دار الرائد اللبناني، لبنان :1983م).

- تاريخ الزمان، تعريب : الأب اسحق أرملة (دار المشرق، بيروت :1986م).

23. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة(ت660هـ).
- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق:سهيل زكار (دار الفكر، عمان :د.ت.).
- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق : خليل المنصور (دار الكتب العلمية، بيروت:1996 م).
24. ابن العميد،المكين جرجيس(ت672هـ).
- أخبار الأيوبيين، تحقيق : كلود كاهن، (د.م.، دمشق : 1958).
25. الغساني، الملك الأشراف إسماعيل بن العباس(ت803هـ).
- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك (دار البيان، بغداد: 1975م).
26. الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي(ت732هـ).
- المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم (دار المعارف، القاهرة : 1999م).
27. الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت170هـ).
- كتاب العين، تحقيق : مهدي المخزومي وأخر (دار ومكتبة الهلال، د.م: د.ت.).
28. ابن ابي الفضائل، المفضل(توفي في القرن السابع الهجري).
- النهج السديد والعقد الفريد في تاريخ ما بعد ابن العميد، تحقيق : بلوشيت (د.م، باريس : 1932م).
29. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق (ت723هـ).
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق : بشار عواد معروف وآخر، (دار الغرب الإسلامي، بيروت:1997م).
30. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ).

- آثار البلاد وأخبار العباد(دار صادر، بيروت :د.ت)

31. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة (ت555هـ).

- ذيل تاريخ دمشق (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت : 1908م).

32. القلقشندي أبو العباس احمد بن علي(ت821هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: عبد القادر زكار (وزارة الثقافة، دمشق :1981).

33. ابن الكازروني، ظهير الدين علي ابن محمد(ت697هـ).

- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد (مطبعة الحكومة، بغداد: 1970م).

34. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد(ت764هـ).

- فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وآخر(دار الكتب العلمية، بيروت : 2000م).

35. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ).

- البداية والنهاية (مكتبة المعارف، بيروت : د.ت.).

36. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي (ت450هـ).

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، مصر : 1960م).

37. المدائني، ابن أبي الحديد (ت656هـ).

- فصل من شرح نهج البلاغة (دار لارماتون، باريس : 1995م).

38. مغلطاي، علاء الدين مغلطاي بن قلنج بن عبد الله (ت762هـ).

- مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق : اسيا كليبان علي البارح (دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة :2000م).

39. المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت390هـ).
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2(مطبعة بريل، ليدن : 1906م).
40. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت845هـ).
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة :1970م).
41. المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي(ت1111هـ).
- سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية، بيروت : 1998م).
42. النسوي، محمد بن أحمد(ت639هـ).
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق : حافظ أحمد حمدي (مطبعة الاعتماد، القاهرة : 1953م).
43. النعيمي، عبد القادر بن محمد(ت978هـ).
- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت : 1410هـ).
44. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : مفيد قمحية وآخرون (دار الكتب العلمية، بيروت : 2004 م).
45. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله(ت718هـ).
- جامع التواريخ، تعريب : محمد صادق نشأت وآخرون (دار إحياء الكتب العربية، مصر: د. ت).
46. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ).
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق : جمال الدين الشيال (المطبعة

الأميرية، القاهرة : 1957م) :ج1.

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور وآخر(مطبعة دار الكتب، القاهرة : 1972م) :ج4.

47.ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ).

- تاريخ ابن الوردي (دار الكتب العلمية، بيروت:1996م).

48.اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت768هـ).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة : 1993م) :ج4.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان(دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٧ م): ج4.

49.ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت626هـ).

- معجم البلدان (دار صادر، بيروت : 1977م).

50.اليونيني، قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد(ت726هـ).

- ذيل مرآة الزمان، (مطبعة دار المعارف العثمانية، الداكن : 1955م).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

1. إبراهيم، ناجية عبد الله.

- ريف بغداد (دار الشؤون الثقافية، بغداد : 1988م).

2. إقبال، عباس.

- تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة : عبد الوهاب علوب (المجمع الثقافي، أبو ظبي: 2000م).

3. الأمين، حسن.

- الغزو المغولي، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت: 1976م).
- الإسماعيليون والمغول ونصر الدين الطوسي(الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت : ١٩٩٧م).

4. أيوب، إبراهيم.
- التاريخ العباسي السياسي والحضاري (الشركة العالمية للكتاب، بيروت :1989م).

5. بارتولد، فاسيلي فلاديمير.
- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة : احمد السعيد سليمان (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة : 1958م).
- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله من الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم، (د.م.، الكويت: 1981م).

6. باشا، حسن.
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار(مكتبة النهضة العربية، القاهرة : 1957م).

7. بدر، مصطفى طه.
- محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول،ط2(الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة : 1999م).

8. بدران، عبد القادر.
- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، ط2(المكتب الإسلامي، بيروت : 1985م).

9. بروي، ادوارد.
- تاريخ الحضارات العام، ترجمة : يوسف اسعد داغر (منشورات عويدات،

بيروت : 1965م).

10. التكريتي، سلمان.

- بغداد مدينة السلام وغزو المغول (د.م، بغداد : 1988م).

11. التكريتي، محمود ياسين.

- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (دار الرشيد للنشر، بغداد :1981م).

12. توراو، بيتر.

- الظاهر بيبرس، ترجمة : محمد جديد (د.م.، عمان :2002م).

13. التونجي، محمد.

- التيارات الأدبية أبان الزحف المغولي (د. م. دمشق :1987م).

14. الجاوشلي، هادي رشيد .

- تراث اربيل التاريخي (مطابع جامعة الموصل، جامعة الموصل :1985م)

15. جب، هاملتون.

- صلاح الدين الأيوبي، حرير : يوسف ايبش (المؤسسة العربية للدراسات، بيروت : 1973م).

16. جمال الدين، محمد السعيد.

- علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق (د.م.، القاهرة : 1982م).

17. الجميلي، رشيد عبد الله.

- دولة الأتابكة في الموصل (دار النهضة، بيروت : 1970م).

18. الجنابي، هاشم خضر.

- مدينة اربيل دراسة في جغرافية الحضر (مديرية دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل : 1987م).

19. حبشي، حسن.
- نور الدين والصليبيون (دار الفكر العربي، القاهرة : 1948م).
20. حسن، حسن إبراهيم.
- تاريخ الإسلام، ط15 (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة : 2001م).
21. حسين، محسن محمد.
- أربيل في العهد الأتابكي (مطبعة اسعد، بغداد :1976م).
22. الحلبي، علي بن برهان الدين.
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (دار المعرفة، بيروت : 1400هـ).
23. حمدي، حافظ احمد.
- الدولة الخوارزمية والمغول (دار الفكر العربي، مصر: 1949م).
- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (دار الفكر العربي، مصر: 1950م).
24. الخالدي، إسماعيل عبد العزيز.
- العالم الإسلامي والغزو المغولي (مكتبة الفلاح، الكويت :1984م).
25. الخربوطلي، علي حسني.
- غروب الخلافة الإسلامية، (مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة: د. ت).
- الإسلام والخلافة، (دار بيروت، بيروت : 1996م).
26. خصباك، جعفر حسين.
- العراق في عهد المغول الإيلخانيين، (مطبعة العاني ، بغداد: 1968م).
27. الخضري بك، محمد.
- تاريخ الأمم الإسلامية (دار الفكر العربي، القاهرة : د.ت).
28. خليل، عماد الدين.

- عماد الدين زنكي، ط3(مطبعة الزهراء، الموصل : 1985م).

29. خليل، نور الدين.

- سيف الدين قطز قاهر المغول (مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية : 2005م).

30. الدوري، عبد العزيز.

- العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط3(دار الطليعة، بيروت : 1997م).

31. الدومنيكي، جان موريس فييه.

- الآثار المسيحية في الموصل، ترجمة : نجيب قاقو (مطبعة الطيف، بغداد: 2000م).

32. رنسيمان، ستيفن.

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : الباز العريني (دار الثقافة، بيروت :1997م).

33. الروزبياني، محمد جميل.

- داقوق "دقوقاء" في التاريخ (د.م، د.م. : 1954م).

34. زيدان، جرجي.

- تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة : حسين مؤنس (دار الهلال، القاهرة: د. ت).

35. الساداتي، احمد محمود.

- تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها(دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة: 1979م).

36. الساعدي، محمد الشيخ.

- مؤيد الدين بن العلقمي وأسرار سقوط الخلافة، (مطبعة النعمان، النجف : 1972م).

37. السامرائي، خليل إبراهيم.
- تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(دار الكتب،موصل: 1988م).

38. السرجاني راغب.
- الموسوعة المسيرة في التاريخ الإسلامي، (مؤسسة إقرأ، القاهرة: 2005م).

39. سعفان، كامل.
- موسوعة تاريخ الاديان القديمة (دار الندى، القاهرة : 1999م).

40. سلطان، طارق فتحي.
- التاريخ الإسلامي في العصر العباسي (ابن الأثير، موصل: 2005م).

41. سليمان، احمد السعيد.
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة (دار المعارف، القاهرة :1972م).

42. الشاعر، محمد فتحي.
- مصر قاهرة المغول في عين جالوت (دار المعارف، القاهرة : 1995م).

43. شبولر، بارتولد.
- العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة : خالد اسعد عيسى، راجعه، سهيل زكار (دار حسان، دمشق: 1982م).

44. الصائغ ، سليمان .
- تاريخ الموصل (المطبعة السلفية، مصر : 1923م).

45. صبرة، عفاف سيد.

- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (دار الكتاب الجامعي، القاهرة : 1985م).
- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية (دار الكتاب الجامعي، القاهرة : 1987م).

46. الصقار، سامي بن خماس.
- إمارة إربل في العصر العباسي (دار الشواف، الرياض :1992م).

47. الصلابي، علي محمد .
- الدولة الزنكية (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت : 2007م).
- المغول والتتار بين الانتشار والانكسار(الأندلس الجديدة، بيروت : 2009م).

48. الصياد، فواد عبد المعطي.
- المغول في تاريخ (دار النهضة العربية، بيروت : 1980م).

49. طقوش، محمد سهيل.
- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (دار النفائس، القاهرة : 1997م).

50. عاشور، سعيد عبد الفتاح.
- الأيوبيين والمماليك في مصر وبلاد الشام (دار النهضة العربية، القاهرة : 1996م).
- الحركة الصليبية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة :1963م).
- العصر المماليكي في مصر والشام، ط2 (دار النهضة العربية، القاهرة : 1976م).

51. العبادي، احمد مختار.

- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (دار النهضة العربية، بيروت: 1986م).
- في تاريخ الأيوبيين والمماليك (دار النهضة العربية، بيروت : 1995م).

52. عبد الحكيم، منصور.
- جنكيزخان إمبراطور الشر وقاهر العالم (دار الكتاب العربي، القاهرة : 2008م).

53. عبد الحليم، رجب محمد.
- انتشار الإسلام بين المغول (دار النهضة العربية، القاهرة : 1986م).

54. عبد الرؤوف، عصام الدين.
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي (دار الفكر العربي، القاهرة :1976م).

55. العبود، نافع توفيق.
- الدولة الخوارزمية، (مطبعة الجامعة، بغداد: 1978م).

56. العدوي، إبراهيم احمد.
- العرب والتتار(المكتبة الثقافية، القاهرة :1963م).

57. العريني، السيد الباز.
المغول (دار النهضة العربية، بيروت : 1986م).

58. العزاوي، عباس.
- تاريخ العراق بين احتلالين، (د.م.، بغداد: 1953م).

59. عكاشة، ثروت.
- إعصار من الشرق " جنكيزخان "، ط5 (دار الشروق، القاهرة : 1992م).

60. عمران، سعيد.

- المغول وأوربا (دار المعرفة الجامعية، القاهرة : 1997م).

61. عوض، محمد مؤنس.

- الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية (دار الشروق، عمان : 1999م).

62. غانم، حامد زيان.

- صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك(دار الثقافة، القاهرة :1978م).

63. فامبري ارمنيوس.

- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة : احمد محمود الساداتي، مراجعة : يحيى الخشاب (مكتبة نهضة الشرق، القاهرة: 1978م).

64. فهمي، عبد السلام عبد العزيز.

- تاريخ الدولة المغولية في إيران (دار المعارف، القاهرة : 1981م).

65. فوزي ، فاروق عمر.

- الخلافة العباسية في العصور المتأخرة (د.م.، د. م: 1983م).

66. أبو قريحة، نائف بن حمود بن محمد.

- النظم الحربية عند السلاجقة (د.م. د.م. :1423هـ).

67. القزاز، محمد صالح داود.

- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، (مطبعة القضاء، النجف: 1970م).

- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (مطبعة القضاء، النجف: 1971م).

68. كوك، ريجارد .
- بغداد مدينة السلام، ترجمة : فؤاد جميل (مطبعة شفيق، بغداد : د/ت).
69. كون، كارلتون.
- القافلة قصة الشرق الأوسط، ترجمة : برهان دجاني (مطابع الكريم، بيروت : 1959م).
70. كيتشانوف، ي. ا..
- حياة تيموتشجين (جنكيزخان)، ترجمة : طلحة الطيب (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي : 2005م).
71. لامب، هارولد.
- شعلة الإسلام، ترجمة : محمود عبد الله يعقوب (مكتبة المثنى، بغداد : 1967م).
72. لسترنج، كي.
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2 (مؤسسة الرسالة، بيروت : 1985م).
73. مجموعة مؤلفين.
- العراق في التاريخ (دار الحرية، بغداد : 1983م).
74. محمد، صبحي عبد المنعم.
- سياسة المغول الايلخانيين تجاه المماليك في مصر والشام (العربي للنشر والتوزيع،القاهرة : 2000م).
75. محمد، هشام.
- دولة التتار الشروق والغروب (دار طيبة، القاهرة، 2008م).
76. المشهداني، محمد جاسم حمادي.

- في محكمة التاريخ ابن العلقمي والطوسي، (د.م. دمشق: 2000م).

77. مؤنس، حسين.
- ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل (دار المعارف، القاهرة : 1980م).

78. نسيم، جوزيف.
- الوحدة وحركات اليقضة العربية أبان العدوان الصليبي (مطبعة الإسكندرية،الإسكندرية : 1967م).

79. هلال، عادل إسماعيل محمد.
- العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة : 1997م).

80. هنتس، فالتر.
- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة : كامل العسلي (مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمان : 1970م).

81. هوخام ، هيلدا.
- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة : اشرف محمد كيلاني (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: 2002م).

82. اليوسف، عبد القادر احمد.
- علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، (د.م.، بيروت: 1969م).

ثالثاً : الرسائل الجامعية

1. صالح، خالد يوسف.

- الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة العباسية (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية – موصل : 2005م).

2. عزيز، شكيب راشد.

- الموصل ودورها في التصدي للغزو الصليبي، (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – موصل : 2002م).

3. قداوي، علاء محمود خليل.

- المغول في الموصل والجزيرة (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - جامعة الموصل :1985م).

4. القصاب، محمد يونس فلح.

- مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك الايلخانيين، (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - موصل: 2004م).

5. النقيب، أحلام حسن مصطفى.

- سياسة الناصر لدين الله الداخلية (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – بغداد: 1988م).

6. وشاح، غسان محمود.

- موقف الشيعة من غزو المغول للعراق (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب- غزة :2008م).

رابعاً : البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات

1. اشرف، صالح محمد سيد.

- الغزو المغولي صفحة دموية في تاريخ الحضارة الإسلامية، بحث منشور في مجلة الزيتونة (تونس : ابريل/ 2011م).

2. الجميلي، رشيد عبد الله.

- الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، بحث منشور ضمن موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل، الموصل :1992م) :ج2.

3. رشاد، عبد المنعم.

- احتلال المغول لبغداد، مجلة آداب الرافدين، (الموصل: 1970م) : ع 1.
- الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي، مجلة آداب الرافدين، (الموصل: 1971م): ع2.

4. قداوي، علاء محمود خليل.

- التحالف المغولي الأرميني الصليبي لاحتلال مصر وبلاد الشام، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع10، 1999م.
- النساء الحاكمات في إمبراطورية المغول، مجلة المجمع العلمي العراقي، م 46، ج 4، 1999م.

خامساً : البحوث والمقالات المنشورة على الانترنيت

1. الحشود، علي بن نايف.

- موسوعة الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، الكتاب موافق للمطبوع ومنشور على موقع الوراق : ***http://www.alwarraq.com.***

2. السرجاني، راغب.

- قصة التتار، منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

www.almeshkat.net.

3. الطَرَسوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي.

- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق : عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي،ط 2، ص12، الكتاب موافق للمطبوع ومنشور على موقع الوراق :

http://www.alwarraq.com.

4. العودة، سليمان بن حمد.

- كيف دخل التتر بلاد المسلمين، بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

www.almeshkat.net

5. المستادي، ريهام ،رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحّد، - دورية كان التاريخية - العدد الرابع : يونيو2000 م،. بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

www.historicalkan.com .

سادساً : البحوث والمقالات الأجنبية المنشورة على الانترنيت

1. *Azeem , Beg Chughtai.*

- *The Fall of Baghdad*

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع : **WWW.Google.com**

2. *Mccoy, Erin .*

- *Chinggis Khan: Conquering the army that conquered the world*

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

WWW.csa.com/discoveryguides/discoveryguides-main.php

3. *Missick , Stephen Andrew.*

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

- *The Assyrian Church in the Mongolian Empire as Observed by World Travelers in the Late 13th and Early 14th Centuries , in Journal of Assyrian Academic Studies.*

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع : ***WWW.googl.com***

4. *No. author.*

- *Iraq under Mongol and Turkoman rule,1258–1534.*

بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع : ***WWW.google.com***

سابعاً : البحوث والمقالات الأجنبية المنشورة في الدوريات

1. *Bongila , Jean-Pierre.*

- *Shaping Influences on the Leadership of Genghis Khan , George Washington, and Nelson Mandela: Applications for Educators , in Journal of Leadership Education Volume 10, Issue 2 – Summer 2011.*

ثامناً: المراجع الأجنبية

1. *Aligle , Denise.*

- *Iran under Mongol domination (Orient et Méditerranée , Paris :No.D).*

2. *Bosworth , Clifford Edmund.*

- *The Islamic Dynasties (No. P. , Edinburghat : 1967).*

3. *Boyle , J. A.*

- *The Mongol World Empire 1206–1370 (No. P. ,London : 1977).*

4. *Buell , Paul D.*

- *Historical Dictionary of the Mongol World Empire (The Scarecrow Press, Oxford : 2003).*

5. *Cbm , M..*

- *Three Italian Travelers (No.p. , Moscow : 1965).*

6. *Eboo Jamal , Nadia.*

- *Surviving the Mongols: Nizari Quhistani and the Continuity of Ismaili Tradition in Persia (The Institute of Ismaili Studies, London : 2002).*

7. *Golubeva ,T.*

- *Early Russia theussr historical shetchers (No. P. Moscow : 1976).*

8. *Grousset, R.*

-A History des Croisades et du Royaume (Franc De Jersalen, Paris: 1934-1936).

9. *Hairi , Abdulhadi.*

- *Nasr AL-Din ~ÜSÏ His Supposed Political Role in the Mongol invasion 0f Baghdad (University Montreal , Canada : 1968).*

10. *Haworth , Henry H.*

- *History of the Mongol From the 9th to 19th century , (Bartfranklin , New York : NO. D.).*

11. *Kahn , Paul.*

- *the secret history of the Mongols (north point press ,San*

الفهرس

الآية القرآنية.....5
الإهداء.....7
قائمة المختصرات.....9
المقدمة.....13

الفصل الأول: قيام الإمبراطورية المغولية

أولاً: أصل المغول وموطنهم.....23
1. أصل المغول.....23
2. موطن المغول.....25
ثانياً: مكونات المجتمع المغولي.....27
ثالثاً: الديانة المغولية.....36
رابعاً: جنكيزخان وتأسيس الإمبراطورية المغولية.....40
1. جنكيزخان.....40
2. تأسيس الإمبراطورية المغولية (حروب جنكيزخان).....44
خامساً: دور جنكيزخان في تنظيم الشؤون الداخلية.....49
1. تأسيس القوريلتاي.....49
2. وضع دستور الإمبراطورية المغولية (الياسا).....51
سادساً: موت جنكيزخان.....58

الفصل الثاني: التوسع المغولي في آسيا في عهد جنكيزخان وخلفائه

التوسع المغولي في آسيا في عهد جنكيزخان.....63

أولاً: المغول والدولة القرة خطائية.....65
ثانياً: المغول والدولة الخوارزمية.....66
ثالثاً: قضاء المغول على الإسماعيلية في بلاد فارس.....73

الفصل الثالث: الأوضاع السياسية في العراق قبيل الغزو المغولي

أولاً: الأوضاع السياسية للخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي.....79
1. الأوضاع الداخلية في بغداد.....79
2. الخلافة العباسية والقوى الإسلامية.....87
ثانياً: الأوضاع السياسية في أتابكة الموصل.....95
1. الأوضاع الداخلية في أتابكية الموصل.....95
2. أتابكية الموصل والقوى الإسلامية.....98
ثالثاً: الأوضاع السياسية في إمارة إربل قبيل الغزو المغولي.....101
رابعاً: الأوضاع السياسية في أتابكية سنجار قبيل الغزو المغولي.....110

الفصل الرابع: الزحف المغولي لاحتلال العراق والقضاء على الخلافة العباسية

أولاً: المحاولات المغولية الأولى لاحتلال إربل.....121
ثانياً: الزحف المغولي لاحتلال الموصل.....130
1. المحاولات المغولية الأولى لاحتلال الموصل.....131
2. تبعية الموصل للمغول في عهد الأمير بدر الدين لؤلؤ.....134
ثالثاً: المحاولات المغولية الأولى لاحتلال سنجار.....136
رابعاً: المحاولات المغولية الأولى لاحتلال بغداد وأعمالها.....139
خامساً: موقف الخلفاء الأربعة المتأخرين من الغزو المغولي.....151

الفصل الخامس: الاحتلال المغولي لبغداد سنة 656هـ/ 1258م

أولاً: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بغداد قبيل دخول المغول.....159

ثانياً: استعداد هولاكو للزحف إلى بغداد وموقف الخلافة منه.....169

ثالثاً: المراسلات التي تمت بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله.....173

رابعاً: خط سير الحملة المغولية إلى بغداد.....181

خامساً: احتلال بغداد واستباحتها.....185

1 ـ معركة بغداد والاستيلاء على ضفتها الغربية.....185

2 ـ حصار ضفة بغداد الشرقية واحتلالها.....188

سادساً: استباحة بغداد واستشهاد الخليفة المستعصم بالله.....197

الفصل السادس: استكمال عمليات الاحتلال المغولي للعراق

أولاً: الاحتلال المغولي لمدينة إربل 656هـ/ 1258م.....207

ثانياً: استكمال احتلال الأعمال التابعة لبغداد.....213

ثالثاً: الاحتلال المغولي لمدينة الموصل 660هـ/ 1262م.....216

رابعاً: الاحتلال المغولي لمدينة سنجار 660هـ/ 1262م.....229

الفصل السابع: أسباب ونتائج احتلال العراق وانهيار الخلافة العباسية

أولاً: الأسباب التي أدت إلى احتلال العراق وانهيار الخلافة العباسية.....233

1. الأسباب الداخلية.....234

2. الأسباب الخارجية.....236

ثانياً: النتائج.....240

الملاحق.....251
ملحق رقم (1) جدول بأسماء الخلفاء العباسيين الذين عاصروا ظهور المغول.....251
ملحق رقم (2) جدول بأسماء سلاطين الدول الخوارزمية.....251
ملحق رقم (3) جدول بأسماء أتابكة الموصل.....252
ملحق رقم (4) جدول بأسماء أتابكة سنجار.....253
ملحق رقم (5) جدول بأسماء خانات الإمبراطورية المغولية في قرة قورم.....253
ملحق رقك (6) جدول باسماء إيلخانات المغول في بلاد فارس.....255
ملحق رقم (7) جدول بأسماء أمراء إربل.....255
خارطة رقم (1) تبين السيطرة المغولية على بلاد الصين في عهد جنكيزخان.....256
خارطة رقم (2) تبين اجتياح المغول لبلاد خوارزم في عهد جنكيزخان.....257
خارطة رقم (3) تبين العالم الإسلامي والإمبراطورية المغولية سنة 624هـ/ 1227م.....258
خارطة رقم (4) تبين الإمبراطورية في سنة 629هـ/ 1232م.....259
خارطة رقم (5) تبين خط سير حملة هولاكو بأقسامها الثلاثة لاحتلال بغداد في سنة 656 هـ/ 1258م.....260
خارطة رقم (6) تبين عمليات الاحتلال المغولي لاحتلال جنوب العراق 656هـ/1258م.....261
خارطة رقم (7) تبين الإمبراطورية المغولية في سنة 658هـ/ 1258م.....262
خارطة رقم (8) تبين عملياتالاحتلال المغولي للموصل وسنجار والعمادية سنة669هـ/1261م.....263
ثبت المصادر والمراجع.....265
ثبت المحتويات.....291

المؤلف في سطور

الاسم : الدكتور فتحي سالم حميدي اللهيبي

محل وتاريخ الولادة : جمهورية العراق ـــ محافظة نينوى 1974م

العنوان الوظيفي : جامعة الموصل / كلية العلوم الإسلامية / الحضارة الإسلامية

البريد الالكتروني : fathe.salim@gmail.com

هاتف : 07707420186

الاختصاص العام : تاريخ إسلامي

الاختصاص الدقيق : تاريخ العباسي

اللقب العلمي:

حصل على لقب أستاذ مساعد في 24/11/2008م

الشهادات الجامعية :

- بكالوريوس / تاريخ / آداب/جامعة الموصل في 1997م
- ماجستير تاريخ إسلامي / آداب /جامعة الموصل 2000م
- دكتوراه فلسفة في تاريخ إسلامي / آداب /جامعة الموصل2005م

النشاطات العلمية :

- عدد الكتب المنشورة :1

1. تاريخ الدولة العباسية (العصر العباسي الثاني) /دار الفكر/الأردن/ عمان/2010 .
2. دراسات في علاقة الأرمن والكرج بالقوى الإسلامية في العصر العباسي / قيد النشر في دار الكتب العلمية

- عدد البحوث المنشورة ضمن أعمال المؤتمرات والندوات العراقية : 8

ـ عدد البحوث المنشورة في المجلات العربية : 3

ـ عدد البحوث المنشورة في المجلات العراقية : 14

ـ عدد البحوث المقبولة للنشر في المجلات العراقية : 5

ـ المهام التدريسية (الموضوع) :

1. مادة « وطن عربي في العصور الوسطى « في قسم التاريخ /كلية الآداب/جامعة الموصل .

2. مادة « الفلسفة الإسلامية « في أقسام الشريعة والأصول والحضارة الإسلامية /كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل .

3. مادة « تاريخ الحضارات القديمة» في قسم الحضارة الإسلامية /كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل

4. مادة «منهج بحث «في قسم الحضارة الإسلامية وقسم أصول الدين/كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل .

5. «الفتوحات الإسلامية» في قسم الحضارة الإسلامية /كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل.

ـ النشاطات الإدارية :

1. مدير التخطيط والمتابعة في كلية العلوم الإسلامية للعام 2006-2004م .

2. عضو الهيئة التدريسية في قسم التاريخ / كلية الآداب/جامعة الموصل/للفترة من 2002- 2004م .

3. عضو الهيئة التدريسية في قسم الشريعة /كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل / للعام الدراسي 2005-2004م .

4. عضو الهيئة التدريسية في قسم الحضارة الإسلامية /كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل / للعام الدراسي 2006-2005م

5. عضو اتحاد المؤرخين العرب.

6 . عضو نقابة المعلمين فرع نينوى .

7 . عضو رابطة التدريسيين الجامعيين العراقية المستقلة.

8. عضو اللجنة العلمية في كلية العلوم الإسلامية / قسم الحضارة الإسلامية

9. ـ عضو هيئة تحرير مجلة كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل

المؤلف في سطور

الاسم : الدكتور فتحي سالم حميدي اللحيبي

محل وتاريخ الولادة : جمهورية العراق ــ محافظة نينوى ١٩٧٤م

العنوان الوظيفي : جامعة الموصل / كلية العلوم الإسلامية / الحضارة الإسلامية

الاختصاص العام : تاريخ إسلامي

الاختصاص الدقيق : التاريخ العباسي

اللقب العلمي: حصل على لقب أستاذ مساعد في ٢٠٠٨/١١/٢٤م

الشهادات الجامعية :

- بكالوريوس / تاريخ / اداب/جامعة الموصل في ١٩٩٧م
- ماجستير تاريخ إسلامي / أداب /جامعة الموصل ٢٠٠٠م
- دكتوراه فلسفة في تاريخ إسلامي / أداب /جامعة الموصل٢٠٠٥م

ـ النشاطات الإدارية :

١ـ مدير التخطيط والمتابعة في كلية العلوم الإسلامية للعام ٢٠٠٤-٢٠٠٦م .

٢ـ عضو الهيئة التدريسية في قسم التاريخ / كلية الاداب/جامعة الموصل/للفترة من ٢٠٠٢- ٢٠٠٤م .

٣ ـ عضو الهيئة التدريسية في قسم الشريعة /كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل / للعام الدراسي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م .

٤ ـ عضو الهيئة التدريسية في قسم الحضارة الإسلامية /كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل / للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠١٢م

٥ ـ عضو اتحاد المؤرخين العرب.

٦ ـ عضو نقابة المعلمين فرع نينوى .

٧ ـ عضو رابطة التدريسيين الجامعيين العراقية المستقلة.

٨ ـ عضو اللجنة العلمية في كلية العلوم الإسلامية / قسم الحضارة الإسلامية

٩ ـ عضو هيئة تحرير مجلة كلية العلوم الإسلامية/جامعة الموصل

ISBN 614-402-568-0